

الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز

سلسلة الجوائز
٩



21.9.2015

رواية

إفريده يلينك

العاشقات

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر

رواية

إلفريده يلينك

العاشقات

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

يلينك، إلفرلده
الماشقات / الفرلده يللنك ؛ ؤرجمة وؤقءللم
مصؤفى ماهر . . القاهرة: الهلئة المصرللة العامة
للؤاب، ٢٠٠٦ .

٣٦٠ ص ؛ ٢٢ سم . . (سلسلة الؤوائؤ)

ؤءمك ٠٠-٢٠٦-٤١٩-٩٧٧ .

١- القصص الإنؤللزلة .

أ - ماهر، مصؤفى (مؤرؤم ومؤدم) .

ب - العنوان

رقم الإلءاع بءار الؤؤب ١٤٩٦٣ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-206-0

ءلوى ٨٢٣

- الكتاب : «العاشقات» Die Liebhaberinnen
- الكاتبة : إلفريدة يلينك Elfriede Jelinek
- المترجم : دكتور مصطفى ماهر
- العنوان الأصلي : DIE LIEBHABERINNEN
- Copyright © 1975 by Rowohlt Verlag GmbH,
Reinbek bei Hamburg.
- يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من
دار النشر الألمانية Rowohlt Verlag GMBH,
Hamburg strabe 17, D - 21 465 Reinbek bei Hamburg.
- جميع الحقوق محفوظة للهيئة المصرية العامة
للكتاب فى مصر.
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- التصميم الجرافيكى: دكتور مدحت متولى
- الإخراج الفنى: صبرى عبد الواحد

سلسلة الجوائز

تواصل سلسلة الجوائز تجديد نفسها فى الأعداد التالية، من خلال تطوير الشكل، كما تحاول جاهدة استيعاب أبرز ملامح المشهد الإبداعى عربياً وعالمياً، هادفة إلى تقديم أعمال تتميز بالخصوصية والجودة، التى اتفقت عليها لجان مهمتها التحكيم لمنح جوائز عالمية ومحلية لأهم الكتب وأكبر الكُتَّاب.

وخطة السلسلة أن تنشر أعمال أدبية مترجمة من كل لغات العالم الحية، من خلال تلك الجوائز التى تمتد من نوبل إلى الجوائز المحلية الكبيرة فى كل بلدان العالم، لكى يضمن القارئ العربى قراءة عمل متفق على جودته وجدديته، ولكى يتسنى له الإطلاع على أحدث الاتجاهات فى الكتابة الأدبية، ذات القيمة العالية فى حقول الإبداع المختلفة: الشعر، الرواية، القصة القصيرة، السيرة الذاتية، المسرح.

وتحرص الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهى تحتفى بالكتب والكُتَّاب وبجوائزهم، مراعاة الحفاظ

على حقوق الملكية الفكرية، والحصول عليها من الناشرين الأصليين والمؤلفين طبقاً للقانون.

لقد كان إقبال الجمهور على الثمرة الأولى من «سلسلة الجوائز» مشجعاً لنا على الاستمرار في تقديم نماذج من الأدب العالمي والعربي المتميز. وهما المجموعة الثانية من إصدارات هذه السلسلة تتوجها «جائزة نوبل» للأدب، وهي أرفع جائزة في العالم، حصلت عليها الكاتبة النمساوية «الفريده يلنيك»، ونقدم لها روايتها «العاشقات» ترجمة الدكتور مصطفى ماهر، وسوف نقدم لها أيضاً رواية «أوقات رائعة» في مرحلة لاحقة.

وعملياً الترجمة والمراجعة والإعداد تجرى الآن لتقديم المزيد من حائزي نوبل سنقدمهم تباعاً، وهم: الكاتب الإنجليزي «هارولد بنتر»، والكاتب البرتغالي «ساراماجو»، والكاتب الجنوب إفريقي «كوتزي»، بالإضافة إلى الكاتب التركي «أورهان باموق»، والتي نالت أعماله الأدبية مجموعة من الجوائز المحلية والعالمية.

ناصر الأنصاري

كلمة المترجم

هذه الرواية التي طلبت منى هيئة الكتاب أن أنقلها إلى العربية، رواية لها سماتها الخاصة، فهي رواية نمساوية شكلاً وموضوعاً، حظيت باهتمام عالمي، حيث نقلت إلى العديد من اللغات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لأن القراء الذين ينظرون إلى ما وراء حدود بلادهم، يهمهم أن يعرفوا ما يكتب أدباء البلاد الأخرى، ولهم أن يفيدوا من الأعمال المترجمة، ولهم أن يعجبوا بها، ولهم أن ينتفعوا بها أو بشيء منها، ولهم أن يرفضوها كلها أو بعضها، ولكن عليهم على كل حال أن يدركوا أنها نشأت في قلب ثقافة مختلفة، بلغة مختلفة، تعالج موضوعات مختلفة، وتتجه إلى قراء مختلفين، أي أنها لم تكتب لنا، ولهذا فنحن نبذل جهداً خاصاً لكي نفهم النص في إطاره الصحيح.

ولهذا تحب شريحة من قراء الترجمات أن يمدهم المترجم بترجمة وملحوظات هامشية تعينهم على هذا

الفهم السليم الذى يأخذ فى اعتباره اللغة والجغرافيا والتاريخ والثقافة فى البيئة النمساوية التى نشأت فيها الرواية، والذى يأخذ فى اعتباره أيضاً سمات كاتب الرواية ومقوماته الفنية والأسلوبية ومقاصده. وله إن شاء أن يدرك أنه بهذا يفهم الشيء الآخر، والإنسان الآخر، ويقترب من فهم أصح للإنسانية على اختلاف مشارب الشعوب التى تكونها، دون أن يفقد هويته، أو يغير من ثقافته ما لا يرى خيراً فى تغييره. وهذا النهج الذى نستصوبه فى فهمنا الآخر، نتوقع من الآخر أن ينتهجه فى فهمه إيانا. وقد نسمى هذا النهج: الرحلة إلى الآخر.

من البديهي أن يعرف القارئ العربى بادئ ذى بدء شيئاً عن حياة صاحبة هذه الرواية الفريدة يلينك Elfriede Jelinek التى أدرك القاصى والدانى مكانتها بعد أن حصلت على جائزة نوبل فى عام ٢٠٠٤، وأضيف أننى لن أدخل معه فى تفاصيل حياتها، بل سأختار بناءً على الرواية التى نحن بصددنا بعض الأساسيات لأبنى عليها كلمتى التمهيدية هذه. وليس منهجى هذا هنا هو المنهج الوحيد الذى أتبعه فى كل الأحوال، فإذا صح أن لكل مجال مقالاً، صح أن لكل مقال منهجاً أو مناهج تناسبه، ومن البديهي أن الدراسات الأدبية النقدية تعرف مناهج أخرى قيّمة تربط ربطاً وثيقاً بين حياة الأديب وما يكتبه، فيدخل المنهج السيكلوجى فى تفاصيل فرضية العلاقة التسببية بين المبدع والإبداع، وقد يتبع مدرسة بعينها

من المدارس السيكلوجية، وهو جهد مطلوب
ومحمود.

أما فى هذا المقام فقد أثرت لهذه الدراسة أن أركز
اهتمامى على الفكرة وأهدافها وتجسيماها الفنى
المرتبط بواقع ثقافى واجتماعى أجنبى غريب محدد
بزمان ومكان.

لا بأس بأن نعرف أن اللفريدة يلىنك أدبية
نمساوية ولدت فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦ فى
مورستسوشلاج Mürzzuschlag بولاية شتايرمارك
النمساوية Steiermark ، ونشأت فى العاصمة فيينا
Wien ، ودرست علم المسرح وتاريخ الفن والموسيقى
واهتمت بالفكر الفلسفى وعلم الثقافة وعلم الاجتماع
وعلم النفس وعلم الجنس.

ظهرت لها قصائد ونصوص نثرية متفرقة ضمن
كتب مختارات وفى مجلات أدبية قبل أن يخرج أول
كتاب لها بعنوان «يا صغيرى نحن طيور استدراجية
تغرى كالطعم». وقد تنبه النقاد إلى موهبتها الفذة،
فلا غرابة فى أن نجدها فى عام ١٩٨٦ تحصل على
جائزة هاينريش بل Heinrich Böll من مدينة كولن
Köln الألمانية، وفى العام التالى - ١٩٨٧ - على جائزة
الأدب من ولاية شتايرمارك النمساوية، نذكر بصفة
خاصة جائزة بريمن Bremen الأدبية التى حصلت
عليها فى عام ١٩٩٦، وجائزة جيورج بوشنر Georg
Büchner التى نالتها فى عام ١٩٩٨، ولا غرابة فى أن
تحصل فى عام ٢٠٠٤ على جائزة نوبل فى الأدب.

يهمنا هنا من حياة الْفَرِيدَةِ يَلِينِكِ إذن أنها ولدت
بقرية فى قلب الطبيعة التى تتسم بالجمال الجذاب
وبالتحدى الشاق فى آن واحد، حيث الغابات والمراعى
والحقول التى تعطى الكثير من الخير، ولكنها تتطلب
من الكد والعناء ما لايعرفه إلا من كابده، فهى تعرف
الأرض والناس، وتعرف ما تتعرض له من أخطار
انهيار الصناعة الواردة من المدينة، فالصناعة تتجذب
نحو البيئة الجميلة، فتشوهها بمبان من الأسمنت
والألومنيوم، وتحوّل البشر من التعامل مع الفطرة
الحية إلى التعامل مع منتجات لا حياة فيها، وتُخرج
الناس عن مسارهم إلى مسارات تغريهم بيريقتها وبما
يرتبط بها من سلطة ورفاهية فتصعد بهم أو تهبط،
وتعدهم بوعود كثيرة يتحقق منها ما يتحقق ويتحطم
ما يتحطم. والأبرياء والسذج والجهلاء والضعاف هم
الضحايا، يشدهم النور والبريق، ولا يرون النار
والحريق. وكل هؤلاء مادة ثرية للأدب الملتزم.

كذلك يهمنا من حياة الْفَرِيدَةِ يَلِينِكِ أنها درست
فى الجامعة والمعاهد الفنية طائفة من العلوم والفنون،
حيث جذبت انتباهها مناهج علم النفس وعلم
الاجتماع وعلم الجنس وعلم الثقافة، وبخاصة تلك
التي ترصد التحولات الاجتماعية وتدرس حالات
بعينها تصفها وتشخصها وتتابع ما يطرأ عليها من
تغيرات وما تتعرض له من مؤثرات، وانتفعت من هذا
كله فى تكوين فكرها الملتزم، ولغتها المتميزة، وأسلوبها
الأدبى الشعرى المتأثر بقوالب التأليف الموسيقى

والزخارف اللحنية، والموروثات الشعبية فى فنون الغناء والشعر والقص. وأدبها يرتبط ارتباطاً قوياً بالواقع النمساوى التاريخى والمعاصر، الفنى والاجتماعى والنفسى.

ومن الخير أن نستحضر فى مخيلتنا الخطوط العريضة للنمسا وتضاريسها وثقافتها، ونعى أن مساحة النمسا التى كانت إمبراطورية ضخمة مزدهرة انكسرت بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت ضيقة جداً وأنها تتاخم جنوب ألمانيا وسويسرا وإيطاليا والمجر، وتشيكوسلوفاكيا (القديمة) ويوغوسلافيا (القديمة) وأن الطبيعة الجميلة هناك تتنوع صاعدة هابطة بين جبال الألب ومرتفعات وسهول غنية تشتهر بالغابات وبالمراعى وبحقول تحتاج إلى عمل شاق لصعوبة الأرض، وتتخللها أنهار ونهيرات وغدران وبحيرات. وهذه الطبيعة الجميلة تجتذب السائحين شتاءً وصيفاً، فيكونون ضيوف الشتاء وضيوف الصيف أو المصطافين. وكما أن السائحين يأتون بخير كثير ينتعش به الاقتصاد، وتزيد به الدخول، فإنهم يأتون بقليل أو كثير من الشر متمثلاً فى إغراء ضعاف النفوس من التجار والباعة بالغش والاحتيال والجرى وراء المال السهل، كما يغرى بعض الرجال والنساء إلى التحلل من الأخلاق القويمة ومن تعاليم المسيحية الكاثوليكية والدخول فى علاقات جنسية عشوائية لا تحمد عقباهما، تؤدى فيما تؤدى إليه من نتائج إلى تفكك جانب لا يستهان به من العلاقات الاجتماعية التقليدية.

كما أصبحت الطبيعة الجميلة الثرية تجتذب الصناعة وتستزيد منها أحياناً، لتنشئ مصانع ومتاجر وتخلق فرص عمل مختلفة تحول القوة العاملة إلى حرف جديدة وتدفع إلى المستهلكين الجدد بمنتجات جديدة تثير التطلعات وتحرك في نفوس الناس حاجات جديدة.

ويغلب على الصناعة التركيز على منتجات ترفية من ملابس وأدوات تجميل لهواة الأناقة ومتع الطعام والشراب وما تكتمل به من الكريستال والپورسلين ناهيك عن أطباق وحلوى ومشروبات. وهى منتجات تستفز غير القادرين الذين يعملون فى صناعتها، فتكون بين أيديهم، ولا يكون لهم أن ينعموا بها. وهناك صناعة الآلات الموسيقية المرتبطة بالاهتمام الفائق بالموسيقى بخاصة والفنون بعامة.

ونظراً لأن رجال الأعمال يهتمهم الإنتاج المريح فى المقام الأول، فإنهم يفتلون عن إتلاف البيئة والاعتداء على جمال الطبيعة بمبان لا تتسجم معها، ويفجرون مشكلات يضيق بها المفكرون. وقد لاحظ المشتغلون بعلم الثقافة وعلم الاجتماع تغير إيقاع الحياة على نحو متزايد، فلم يعد هادئاً مطمئناً مبهتجاً، بل أصبح صاحباً مقلقاً محزناً أيضاً، ولاحظوا التباين بين الشكل والمضمون، والأمنيات والقدرة على تحقيقها، مما غير التركيبة الاجتماعية ورج أركان التقاليد. وربما شغلهم على نحو خاص الخطر الذى تتعرض له الطبقة الدنيا، والشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة،

فى حركة الصعود الاجتماعى والتأحر بين القرية
والمدينة.

والثقافة النمساوية لها خصوصيتها، ولكنها وثيقة
الارتباط بالثقافة الألمانية فى مجموعها، وهو ارتباط
لا يعنى بحال من الأحوال الذوبان فى البوتقة الثقافية
الألمانية الكبيرة. والنمساويون لهم مشاركة كبيرة فى
العلوم ومشاركة أكبر فى الفنون ومن بينها الأدب (١)
والموسيقى، وسواء عمدوا إلى الخصوصية أو تركوا
خصوصيتهم على سجيتها، فالهوية النمساوية
الثقافية عنيدة فى فرض ذاتها.

هذه الرواية التى تحمل عنوان العاشقات محيرة
ومستفزة وهادفة ومجددة وإن ارتبط تجديدها
بـخبرات المجددين السابقين ونزعاتهم ومدارسهم.
فقد شهد تاريخ الثقافة فى عصور مختلفة حركات
تجديدية تريد أن تسبق الزمن، فتقلب على القديم
ثائرة عليه، أو تحور القديم مستثمرة ما يدعم السعى
إلى الجديد، فلم يكن القديم ينتهى نهايات عقيمة بل
كان دائماً ينبئ بما يمكن أن يأتى بعده وكان فى
كوامنه يفتح للأجيال المتعاقبة نوافذ على تراث
متراكم. لم تمت فى الآداب الألمانية منذ انتقلت من
العصور الوسطى إلى العصور الجديدة الإبداعات

(١) من الممكن الرجوع إلى كتابنا «الجسر الذهبى» الذى ضم
دراسات عن الأدب النمساوي المعاصر، وترجمات لمختارات من
الشعر والقصة القصيرة من أعمال نحو خمسين كاتباً وشاعراً.
القاهرة ١٩٩٤ (الترجم)

المتتالية منذ النهضة والإنسانياتية والتنوير مروراً بحركات العاصفة والاندفاع والكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والطبيعية والانطباعية والتأثيرية ولم تنته محاولات اللامعقول والتداخل بين الفنون والعلوم والتجديد الثوري الجريء (١). بل دار الزمن بكل هذه الثمار دورته الحتمية نحو الصيرورة وألوان متجددة مستفزة مفرقة في الابتكار المتعاضم. جديد يتولد عن قديم في صراع مستمر قد يسمونه شجاراً.

والحق أننا مازلنا نستخدم في تقييم أدب الفريدة بِلِينِك وغيرها من المجددين المستفزين مصطلحات وخبرات مما تراكم لدينا على مر العصور، فنرى فيها تأثراً بالحركة الطبيعية الناتورالية وما انبثق منها من محاولات الربط بين العلوم الطبيعية والاجتماعية وبين الأدب وغيره من الفنون. ونرى فيها استثماراً للتراث الشعبي ولتجارب اللامعقول وتجارب التمرد على ما تهرأ من القديم ومحاولات الانطلاق إلى الابتكار المتحرر من كل القيود، والانصراف عن مثاليات البطولة والأبطال، والنزول إلى ألف باء الحياة اليومية المحصورة في الحاجات الأولية.

(١) يستطيع القارئ أن يجد معلومات مفيدة عن هذه الحركات والاتجاهات وأصحابها وأعمالهم في كتابنا «صفحات خالدة من الأدب الألماني»، بيروت ١٩٧٠ وكتابنا ألوان من الأدب الألماني الحديث في الشعر والقصة والمقال. بيروت ١٩٧٤ (الترجم).

إلْفْرِيدَة بِلِينِك تدرس هنا حالات ثلاث عاشقات دراسة بين العلم والفن، من منطلق العلاقات غير المتوازنة بين الرجال والنساء وما يطرأ عليها من تغيرات في فترات الانتقال والتحول وبخاصة في زماننا هذا، وتكتب إلْفْرِيدَة بِلِينِك دراساتهما وتقاريرها وحكاياتها متداخلة، متشابكة، مستفزة.

ولا غرابة في أن تكون الرواية في بنائها حافلة بالمتناقضات، لأن موضوعها حافل بالمتناقضات، ولأن هذه الموضوع يتشعب إلى موضوعات حافلة بالمتناقضات أيضاً، ولكننا لا نفقد الخيط الأحمر الذي تنظم فيه القاصة عقدها، على طريقة العمل الموسيقي الأوركستراي الذي يعيد ويزيد وينوع ويتنوع دون أن يفقد نوعاً من الوحدة تناسب زماننا المضطرب.

يلفت النظر أن الرواية تبدأ بوصف موجز لمكان جميل تكتفه طبيعة خلابة ويعيش فيه الناس أصلاً حياة نشيطة متناغمة وصعبة مع هذه الطبيعة الجميلة البسيطة، وتقترب بنا عدسة الأدبية من مصنع اندس في هذا المكان فخلق فيه الكثير من المتناقضات. فهو شكل يتكون من مواد صناعية تتناقض مع الطبيعة، وهو يصنع منتجات ترفية لا تمت إلى حياة الكادحين بصلة مباشرة ولا يتصور أنها تزودهم بمتطلبات حياتهم اليومية، وإنما هي ملابس نسائية غالية الثمن تنتجها عاملات من نساء القرية، وتحملها الشاحنات إلى نساء مترفات ينجذبن إليها

ويدفعن فيها مالا غَدَقاً يندرج تحت المظاهر المترفة. هذا المصنع الذى يبدو جسماً غريباً يخلق شريحة جديدة من العاملات، الخيَّاطات، اللاتي تنهمر المتغيرات والمتناقضات عليهن انهماراً. وهكذا تتضح لنا القيمة الرمزية لهذا المصنع والملابس النسائية الترفية التى ينتجها.

وتقترب عدسة الأدبية المصورة فى مواضع أخرى من الرواية من المحل الاستهلاكى أو السوبر ماركت الذى أتى إلى القرية أو البلدة الصغيرة من المدينة بيضائع وأنظمة للبيع مختلفة، فظهرت شريحة من العاملات، البائعات، انهمرت عليهن أيضاً فى دنيا الاستهلاك المتغيرات والمتناقضات، فقلبت حياتهن ودفعتهن إلى مسارات لا قبل لهن بها.

ومن البديهي أن تختار الأدبية شخصيات نسائية من هاتين الشريحتين ينتمين إلى عالم القرية الذى هبت عليه عواصف التغيير القادمة من المدينة حيث رجال المال الأذكياء يخططون ويبنون ويعدون بحياة أفضل تغرى البسطاء وغير البسطاء، ولكن البسطاء غنيمة سهلة وضحية سهلة أيضاً.

اختارت إلفريدة بِلِينِك للرواية شخصيات بسيطة من النوع الذى عرفناه فى أدب الطبيعية والواقعية، ونزلت إلى قاع المجتمع، لتحكى قصصاً من الحياة اليومية البدائية لأناس ساذجين وجهلاء وبائسين ومكافحين فى مواقف أكبر من قدراتهم.

ولنا أن نذكر في هذا المقام ما أبدعه أدباء
الناتورالية الطبيعية الأوئل في فرنسا وفي ألمانيا، وأن
نذكر تأثرهم بكتاب كلود برنار «مقدمة في دراسة
الطب التجريبي» (١٨٦٥) الذي قلدوا مناهجه العلمية
وأدخلوا تقليد مناهج الطب في عالم الأدب فقرأنا
روايات تجمع بين الفن والفنون والعلوم. وكلما اتسعت
مجالات العلوم وتطورت علوم جديدة استقبلها الأدباء
بشغف واستغلوها في تطوير أدبهم وتعميقه.

مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس
ودخلت عالم الأدب، فنسج الأدباء على منوالها، وألفنا
أدباً يزداد ثراءً، ويسعى إلى تصوير الحقيقة الواقعة
أقرب ما يكون إلى الاكتمال والكمال، والتقطوا
صورها الحقيقية في بيئاتها الحقيقية، ورجعوا فيها
إلى المراجع التي كانت آلة من آلات العلماء الذين
يتحرون المنهج العلمي.

روايتنا هذه وسط بين التقرير العلمي وبين الإبداع
الفني. هناك علاقة بين دورة حياة البشر في تطورها
وبين دورة البيع والشراء المتمثلة في هذه المحلات
الاستهلاكية الحديثة التي تباع البضائع الاستهلاكية
ويدور بالبائعات فيها دورة مماثلة لدورة البضائع
الاستهلاكية.

نقرأ في الرواية: «وهكذا نشأت على مر السنين
دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ثم وضع
طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة

بيت، البنت تدخل، الأم تقضى نحسها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفز من السلم، تلدها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكي هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعية، في فاكهته وخضراواته تتعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تتعكس في أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تتعكس وجوه بأعقابه المتبهمات اللاتي اجتمعن هنا ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتي دائماً وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل في المحل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً بإصابات بليغة. وهو دائماً سكير لا يفيق من السكر».

من هذا المنظور اختارت إلفريده يلينك لروايتها بنتين من الطبقة الدنيا تحاولان الصعود إلى حياة أفضل، دون إمكانات تناسب النضال في مرحلة انتقالية عسيرة يمر بها المجتمع القاسي، وتفتقر إلفريده يلينك الكثير من عناصر النقاش الذي دار ويدور. بحق. حول التمييز بين الجنسين، الذكور والإناث، فالذكور متهمون بأنهم مصممون على الهيمنة على الإناث، والإناث يعاب عليهن أنهن يسهلن على الذكور هذه الهيمنة. والطبيعة متهمة بأنها تلعب دورها في تحقيق التذلل في جانب والهيمنة في الجانب الآخر.

الشخصيتان الرئيسيتان «بريجيَّته» و«پاولا» إذن من وسط اجتماعي منخفض بأئس يشبه وسط من أسماهم طه حسين المعذبين في الأرض، إحداهن

تستطيع أن تحقق على نحو ما الحلم الذي كانت تحلم به، والثانية استطاعت بجهد جهيد وتنازلات أقسى أن تحقق حداً أدنى مما كانت تتمناه ثم أخطأت التقدير والتصرف فأنحرفت وعادت إلى نقطة بداية زاد فيها العناء وتنوع.

وبناء الرواية إذا شئنا بسيط في أساسياته المعمارية، فهو يتكون من وحدتين متوازيتين متحركتين متداخلتين، على مسارين يرسمهما القدر والمصادفة ومحاولات من البشر وضغوط من القوى الطبيعية الكونية، مسار «بريجيته» ومسار «پاولا». «بريجيته» و«پاولا» لا تعرف إحداهما الأخرى. وتقطع الفريدة يلينك كل مسار إلى قطع تتنقل بينها على طريقة «يرجع مرجوعنا إلى» وما تزال هكذا حتى تطمئن إلى أنها حققت هدفها.

وتضيف الفريدة يلينك إلى البنيتين الرئيسيتين بنتاً ثالثة هي «زوزانه» أو «زوزى» من طبقة اجتماعية أرفع، تستخدمها في حدود ضيقة نسبياً لإلقاء الضوء على السمات الفارقة المميزة للطبقة الاجتماعية الأدنى.

ويمكننا أن نبسط نسيج أحداث الرواية إلى بنتين تسعيان إلى نوع من الصعود الاجتماعي عن طريق الارتباط برجلين لا يحبانهما، ولكنهما تريدان الزواج بهما بربطهما بطفل أو طفلين. وبنت ثالثة تختار خطيبها وتتنازل عن الدراسة الجامعية.

لكل وسط اجتماعى لغته؛ وهذا الوسط الاجتماعى المنخفض الذى أفرز فتيية وفتيات يريدون الصعود إلى أعلى له لغته الدارجة المبتذلة الساذجة العاجزة التى تعج بتكرار أسماء الأفراد وتكرار كلمات غير محددة مثل «الشىء» و«الإنسان» و«الواحد» و«ذات مرة» و«ذات يوم» و«أيضاً»، وتكرار كلمات مفتاحية مثل: الشغل، العمل، شغل البيت، المصنع، الغابة، تدبير المنزل، النظافة، القذارة، وكلمات أحط من المبتذلة مما يدور فى المراحيض، وما يصف به المستهترون العلاقات بين الذكور والإناث.

هذه اللغة الحية استثمرتها إلفريدة يلينك، فلم تأخذها كما هى، ولم تجعلها لغة الرواية، بل وظفتها فى لغتها هى وبأسلوبها هى وسيّرتها نحو هدفها الذى ترمى إليه. وهذه طريقة شبيهة بما يحدث فى عالم الموسيقى حيث يستقى الموسيقيون المبدعون من ينابيع التراث الشعبى والإبداع التلقائى ثروة من الموتيفات والنغمات والقوالب يقومون بتوظيفها فى أعمال يؤلفونها ويجعلونها تتكامل تكامل البناء المعمارى، اللغة هنا نواتها لغة نمساوية دارجة تتكلمها شريحة اجتماعية معينة، ولكنها منتظمة برغمها فى تركيب اللغة الفصيحة نحواً وإملاءً.

ويمكننا أن نقول إن هذه اللغة التى تصطنعها إلفريدة يلينك لنفسها، تفرض إرادتها على اللغة الفصيحة الرفيعة بما تدسه فيها عنوةً من كلمات وتراكيب، وما تقولها فيه من قوالب موسيقية

واستطبيقية. وتكشف إلفريدة يلينك عن رغبتها في التحرر من القيود اللغوية التقليدية، فتتحرر من علامات الترقيم إلا القليل وتتحرر من قوانين الإملاء الألمانية المشهورة، وتتعمد تجاهل الحروف الكبيرة التي تبدأ بها الأسماء الأعلام، كما في اللغات الأوروبية، وتبدأ بها أسماء الأشياء والنباتات والحيوانات والجمادات والمفاهيم، وكل الكلمات التي تستخدم نحويًا أو فلسفيًا استخدام الأسماء. وهذا التحرر الذي تأخذ به الكاتبة، والذي جربه غيرها من الكتاب والشعراء وعلماء اللغة والأدب في عصور مختلفة وبخاصة في القرن التاسع عشر، لا يسهل علينا القراءة والفهم، بل يصعبه. وهكذا تحيرنا لغة إلفريدة يلينك الألمانية كما تحير أهلها، تارة بقواعد ضبط صارمة، وتارة بتحرر من كل القواعد.

وتفاجئنا الكاتبة بكثرة استخدام الأسماء الأعلام، فربما جاء الاسم الواحد في الصفحة الواحدة عشر مرات أو عشرين مرة. فالشخصيات الرئيسية والفرعية في الرواية - كما تعرضهم يلينك - أناس لم يتعلموا في المدارس ما يمكنهم من التعبير بلغة غنية متنوعة قادرة على الوصف التفصيلي وعلى التصوير المحيط بالأشكال والألوان والأحداث. إنها لغة قليلة الألوان والأبعاد. فالشخص يعرفونه باسمه أو باسم يطلقونه عليه أو بكلمة مركبة من اسم وعلاقة، فهذه هي «أم إيريش» كلمة واحدة مركبة وهذا هو «أبو هاينتس». والأشخاص أناس بلا تحدى أو أشياء بلا

تحديد أيضاً. واللغة الدارجة الفقيرة التي يتحدث بها أبناء الشريحة الدنيا في المجتمع تعرف هذا الاقتصاد وهذا الاختزال.

كذلك أخذت إلفريدة يلينك من اللغة الدارجة الإسراف في الحشو بكلمات أو تعبيرات بمعنى أو بلا معنى: أيضاً، وذات مرة، وذات يوم، وثم ومن بعد ومن قبل. والطريف أنها صنعت منها نغمات موسيقية تنتظرها الأذن وتحس فيها رتابة الحياة الريفية.

وهناك مواضع كثيرة تتكرر فيها الجمل مع شيء من التعديل أو بدون تعديل، وهي طريقة تذكرنا بطريقة الشعراء الريفيين الذين يتلون الملاحم الشعبية، ويستخدمون آلة موسيقية بوتر واحد أو وترين.

ونجد نوعاً خاصاً من التكرار يقوم على تلقف كلمة من نهاية فقرة واستخدامها في الاستهلال والربط بين الفقرات المتتالية؛ فالفقرة الأولى تنتهي بعبارة فيها اسم أو فعل معين، فتجئ الفقرة التالية لتستخدمه في سياق تال. وربما حلا لها اللعب بالاشتقاقات والتحويلات بالدلالات والاشتقاقات.

وموسيقى الكلمة والجملة مكوّن أساسي من مكونات الرواية. وقد نبهنا القارئ في العديد من الملحوظات الهامشية إلى العديد من الظواهر اللغوية والأسلوبية والثقافية والأمثلة والشواهد.

كذلك هناك الكلمات المفتاحية التي تعبر عن الأفكار والمقاصد التي تشغل بال الكاتبة وتوردها على ألسنة أشخاص الرواية: الشغل، العمل، البيت، الملك الخاص، الآلة، الجنس، الفعلة القذرة، السكر القمىء. وللقارئ الحق كل الحق في أن ينظر إلى هذه الصياغة اللغوية المتداخلة المثيرة البارعة من منطلقات مختلفة، فقد يرى فيها تعبيراً عن اصطناع السذاجة، والانتقال إلى السخرية والنقد اللاذع. فهو يحس بأن هذه الشخصيات تعيش تحت سمعه وبصره كما هي في الواقع، ولكنها مبروزة في برواز الأديبة القابضة على مقاليد الإبداع. فهي صاحبة موهبة فريدة في السخرية بكل أشكالها، من الضحك مما ليس من شأنه الإضحاك، بمعنى «شر البلية ما يضحك» أو اصطناع عدم الفهم أو الفهم الخاطئ أو المعكوس.

ومن النقد من تساءل عما إذا كان من المتوقع أن يعتبر علماء الاجتماع رواية إلفريدة بيلينك تقريراً اجتماعياً أو سيكولوجياً، وإن كان عليهم أن يعتبروه كذلك، ومنهم من استبعد أن يكون القصد من السخرية الاستهزاء والتمتع بمصائب الآخرين. فليس هناك شك في أنها ترفض هذا الذي يصيب البنيتين وهذا الذي يفعلانه من حماقة. وهي في استخدامها المتكرر لكلمة الشيء أو الإنسان بمعنى الشخص غير المعرف، توحى بأن الشخصيات النسائية الرئيسية والفرعية ترتكب من حماقة ما يجعلها كالأشياء، أي

إننا فى مواجهة ظاهرة «تشيؤ البشر» التى جسمها كتاب الواقعية المادية.

وما من شك فى أنها تقصد بهذا الاستفزاز الكشف عن النفاق الاجتماعى، وعمما تتطوى عليه التقاليد الاجتماعية من مفاهيم بالية أو متعسفة أو بحاجة إلى إعادة النظر. هذا الاستفزاز الساخر يقصد إلى إيقاظ الوعى الأخلاقى، والوعى الاجتماعى، والوعى الإنسانى.

هذا الأدب القصصى الذى أبدعته إلفريدا بيلينك والذى مدحه الحريصون على الابتكار الجرىء والحرية والتحرر فى التعبير عما يتحرج الكثيرون من التعبير عنه، وأنكره من أنكره من المتشبهين بالقديم والمألوف، أدب متفرد، يسلك دروباً غير مألوفة، ويحقق ما يرجوه محبو الفن القصصى من ارتياد المجهول.

القراء الطامحون يحبون الإبداع الأدبى الذى فيه فكرة تثير اهتمامهم وتحرك أفكارهم وموقفهم الابتكارى. ومن هنا ظهرت نوعية من الفن شديدة الاقتراب من العلوم، علم الاجتماع، علم النفس، علم الثقافة. ليس الفن مجرد خيال ابتكارى، بل فيه جرعة كبيرة من الجرأة السياسية والفكرية والعلمية، من الاعتماد على الفكر فى معالجة مشكلات حقيقية.

موضوع الحب وتنويعاته يغلب عليه تصور الكاتبة أن العلاقة بين الرجل والمرأة يحكمها استغلال الرجل

للمرأة وركوع المرأة أمام الرجل وجريها وراءه. ولهذا فإن النغمة السائدة عنيفة وهجومية، وفيها من الكراهية أكثر مما فيها من الحب، وفيها على كل حال افتعال فني استفزازي يستهدف شحذ الوعي.

ولا تقف يلينك في تتبع تنويعات موضوع الحب وتقلبه بين المأساة والمهابة عند مرحلة عمرية معينة فتجدها مثلاً في معرض الحديث عن "پاولا" تنتقل إلى الجد والجدة وما يتصل بينهما من علاقة حب تحوّل إلى كره، وخيمت عليه انعكاسات المرض والانتقام ونوع من الترابط العائلي الذي تحكمه الضرورة والحاجة والعادة.

في مواجهة خطاب القسوة يمكننا أن نسوق خطاب المودة والرحمة والتفاهم المتبادل الذي نستشفه بين السطور والذي يكون صورة في الظل أو في الخلفية أو في مخزون الاحتمالات، فالرواية تلقى الضوء على عشق لا شأن له بالصباية، وإنما هو اندفاع هذه البنت أو تلك إلى علاقة تحقق لها الخروج من البؤس وتكوين أسرة في بيت خاص يكون مملكتها.

والرواية لا تخلو من فلسفة. إلفريدة يلينك لا تستدرج القارئ إلى تأملات فلسفية مرهقة، ولكنها تطرح في إطار فلسفة قريبة من عقلية الجماهير أسئلة عن الإنسان وإرادته وقدراته. وإذا لم تكن «پاولا» قد تعلمت في المدرسة شيئاً يضيء لها الطريق في الحياة بين الناس، فهي على الأقل قد أدت

الضغوط التي تحد من إرادة الإنسان: «عندما تهيم أفكار «پاولا» إلى بعيد جداً، فإنها تعرج إلى القوى الطبيعية التي تعرف «پاولا» عنها أنها أقوى من الإنسان. وبنفس الطريقة التي يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعي، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة.»

وتترجم البنت في واقعها الذي تعيش فيه القانون الطبيعي إلى شيء ملموس، إلى كائن من الذكور المهيمنين على مقادير الإناث اسمه في هذه الحالة «إيريش» كذا تلاحظ «پاولا» كم هي صغيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. حبة تراب. حبة تراب في الصحراء. الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً ضد قوة الطبيعة. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافي في التليفزيون، وهذا ما تقوله «پاولا» أيضاً كثيراً.

ومسار الإنسان وبخاصة المرأة يخضع لعوامل متعددة، منها القدر والمصادفة والحظ والمعرفة الحقة والجهل والمحاولة. والإنسان في مجتمع تحركه منظومة اقتصادية قوامها المال والمصلحة والهيمنة، في حيرة من أمر هويته التي تتغير بتغير الظروف. والمقهور يتحول إلى بضاعة. وهذه "پاولا" في محنتها، تبحث عن الرجل الذي قررت أن ترتبط به، فإذا هو سكير، معتوه، يعتبره زملاؤه الذين يكدحون كدح البهائم في قطع الأشجار حيواناً من حيوانات الدرك الأسفل. أو هو شيء. وكذلك تدرك البنت أنها شيء كالفواكه والخضراوات التي يبيعونها في الأسواق بثمن

تحده درجة الجودة. «باولا» لم تعد لها قيمة فى سلم درجات الجودة. «باولا» لم يعد لها قيمة تجارية.

والمجربون ينصحون المهورين والمستضعفين بأن يستسلموا للطبيعة ومسارها الجبار وعلى الحظ أن يدخل الساحة. ولسنا نعرف بالضبط كيف يكون الجمع بين الطبيعة وبين الحظ. وإذا كان للطبيعة قوانينها، فلا أحد يعرف قوانين الحظ. وهل للمصادفة قوانين؟ بل إن الطبيعة تحيرنا بأسرارها حول الصيرورة والفناء فى الطبيعة. هل الصيرورة تبدأ بطفل يولد، ويكبر، ويعمل، ويعانى، ثم يكبر ويحل محل والديه اللذين يفنيان تاركين ما بنيا واقتصرا للابن الذى يبدأ دورة شبيهة؟ هل هذا التبسيط الذى أخذ به «هاينتس» و«إيريش» هو خلاصة فلسفة تتمحور حول الإنسان؟.

وإذا لم يكن مبدأ الصيرورة والفناء ليحقق مآرب لطامحين إلى الخروج من البؤس والضعفة والمعاناة والتمتع بالهيمنة والبهجة والحياة الرغدة، فهل ننظر صامتين إلى الأولاد الذين يستعجلون فناء الوالدين، ويلقون بهم إلى دار المسنين، أو إلى المهول؟ ولا تتحصر هذه المشكلة الأخلاقية فى العلاقة بين الأبناء والآباء، بل تتجاوزها إلى مجالات أخرى منها مجال العمل حيث يتمنى الصبى المتدرج الذى تعلم يد المعلم وأصبح عاملاً أن يفنى المعلم حتى يحل محله، لأنه يحتاج إلى فرصته.

الدراسة السيكولوجية والاجتماعية ركن ركين في بناء العمل القصصى الذى بين أيدينا. والفريدة يلينك تدقق فى الدراسة السيكولوجية والاجتماعية للشخصيات الرئيسية والفرعية فى ظل التطورات والتغيرات الكثيرة التى شملت البيئة والموروثات والتقاليد، وهى بطبيعة الحال تلقى الضوء على التقاليد البالية التى تقبل هيمنة الرجل على المرأة، إلى الحد الذى جعل الضرب المبرح شيئاً مألوفاً، وجعل الحامل تتمنى أن يكون المولود ولداً وليس بنتاً.

وقد استقر فى ضمائر الكثيرين أن المدينة بحضارتها أفضل من الريف وتخلفه. نجد الرؤساء والمديرين والمخططين وأصحاب الحل والعقد من المدينة، أما العمال ومن دونهم فمن القرية. والمدينة فيها الرفاهية، والقرية تخدم المدينة. ولم تجد تقاليد القرية ما يجعلها تعترض على اتجاه الريفيات إلى العمل خادمت فى المدينة، مما ينتهى عادة بمصائب، حيث يستغل أهل المدينة الريفيات المعدمات أسوأ استفلال ويظهر هذا فى المسافحة والأولاد غير الشرعيين. حالة أم «پاولا».

الفريدة يلينك تبسط الصورة النفسية والاجتماعية: المرأة تريد بيتاً يكون مملكتها وتريد أن تكون صاحبة الأمر والنهى فيه، وهى بحسب قدراتها وحظها وشطارتها تسعى لاقتناء هذا البيت، هذا العش، ومن الممكن أن تضيع نفسها إذا لم تأخذ التقاليد فى اعتبارها. والبيت يعنى تدبير المال اللازم

لاقتتائه. وتديبير المال يعنى الشغل. أو الانحراف. أما الحب فشئ ثانوى، أو حيلة من الحيل التى يتبادل الالتجاء إليها الذكور والإناث.

والذكور يقومون بالأعمال الشاقة، وتدفعهم المعاناة إلى إدمان الكحوليات المنفرة، والشغب والخروج على الأخلاق، وقد تكون لهم مواهب وقدرات تتيح لهم احتراف عمل فنى أو مقاولات، وهنا يظهر الصراع بين المصالح والأخلاق، بين المتعة والالتزام.

منظومة أخلاقية متكاملة تحمل هذا البناء القصصى الجديد القديم. مبادئها تختلط بالمكونات الشكلية والمضمونية العديدة، ولكنها لا تراوغ القارئ بل تجذب انتباهه.

التعبيرات الساخرة التى تصف بها إلفريده يلينك السلوك الأخلاقى تعبر عن منظومة أخلاقية. فى حديثها عن «هاينتس» تحدد أن ما يقوم عليه سلوكه : المتعة والمنفعة. والمنفعة تصل به إلى برود إجرامى يتمثل فى الاستيلاء على أموال الأب التى وفرها فى مقابل ثمن باهظ هو تحطم غضاريف عموده الفقرى. الأب والأم يتصوران أن «هاينتس» سيستخدم أموال الأب فى توسيع البيت حتى يكون لهما فيه مكاناً ينعمان فيه بالراحة ويسعدان بالأحفاد. أما «هاينتس» فقد مكر بهما، فوسع البيت، وأخرجهما منه، ووضعهما فى دار المسنين، وضاق بزياراتهما فيما بعد.

«يقرر هاينتس» فى سره أن موضع الراحة المناسب للأب هو دار المسنين بعد أن يتم تحويل المال الذى وفره أبوه إلى خلطات أسمنتية يدخلها فى البناء. لابد أولاً من تحويل المال الذى وفرته حياة فانية إلى خرسانة باقية. «بريجيته» على كل حال توافق على «هاينتس» وعلى ما يوافق عليه «هاينتس» لن يصلأ أبداً هكذا إلى غصن أخضرهما يريدان أن يصلأ إليه.

تصف إلفريده يلينك العلاقات غير المسئولة التى تلقى البنات الثلاث أنفسهن فى خضمها بأنها «قدرة»، وأن الرجلين المستهدفين لهما غايات أخرى، فى مجتمع الأسرة، وفى مجتمع العمال، وفى المجتمع الكبير. وتكشف النقاب عن الحمق والسذاجة والاستغلال الذى يبيت الرجلان النية عليه، والذى ترتضى البنات فى مستتبعه.

ويتخذ نقد إلفريده يلينك شرب الخمر وعواقب الإدمان شكل البرنامج. والنموذج الذى يجسد السكر هو «إيريش»:

«على «إيريش» أن يكف عن شرب الكحول كليةً، لأن شرب الكحول أسوأ شئ (١)، فهو يمس شخصياً أثاث المطبخ المطفى باللاكيه الأبيض وأثاث حجرة

(١) فى أكثر من موضع توجه يلينك نقداً عنيفاً لشرب الخمر واعتيادها وإدمانها، وهى هنا تصف جانباً من مساوئ إدمان منظور امرأة بسيطة مفرمة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيح كل شئ. (المترجم).

النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئان متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيين. وكذلك الكحول والمرائل التي صنعت على هيئة فساتين نظيفة معتنى بها، والتي لا يصح أن يتقياً عليها أحد، والأحذية البيضاء التي تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعي وما هي من الجلد الطبيعي ولكن لا يصح على الرغم من ذلك أن يتقياً عليها أحد، والأطفال البنات لابسات الفساتين الملونة، والنباتات فى الأصص، والتليفزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا فى ناحية والكحول فى ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة فى ناحية والكحول فى ناحية، المنسوجات التي لا تكوى فى ناحية والكحول فى ناحية، هذه كلها أعداء فى الطبيعة التي تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تتسجم معاً فى رأس «پاولا» أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج ويهدم.

المعركة بين الجنسين محور تشدد إلفريده يلينك على أهميته، وتبرز محاولة الجنس الأنثوى الانتصار فيها بما لديه من إمكانات محدودة للتدخل فى تغيير مسار القدر. وقد تنتصر المرأة انتصاراً محققاً وقد تنتصر مؤقتاً، وهذا ما يعرف بالمعركة بين الجنسين، وما تتناوله يلينك موضوعاً محورياً. ونقرأ: «صعود»

«بريجيته» هو نجاحُ عملٍ تتابع قليلاً قليلاً بجهد جهيد. استطاعت «بريجيته» مرةً أخرى أن تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيته» ستكون في المحل قوة عاملة بلغت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيته» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه. ولكن المصادفة ليست كل شيء:

«بطريق المصادفة أصاب «پاولا» حظٌ سيء وستعاني سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفة أصاب «بريجيته» حظٌ حسن وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك استثمرت «بريجيته» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «پاولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيته» واثما الحظ والنجاح.

«پاولا» لم يواتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيته» يرتهن بالمصادفة التي واثما.

حظ «پاولا» يرتهن بالمصادفة التي أولتها ظهرها.

«هاينتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حرفة غير ذات مستقبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هاينتس» يعرف ما يعوّل عليه في الحياة الاقتصادية.

«إيريش» لا يعرف شيئاً عما يعوّل عليه في الحياة الاقتصادية. «إيريش» يعرف ما يعوّل عليه في رياضة سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيارة سريعة.

ويتضمن برنامج إلفريده بيلينك الأخلاقي تعرية النفاق الفردي والاجتماعي بكل صراحة وسخرية واستنكار. «بريجيته» مثلاً تلعب لعبة الحب للحصول على هاينتس الذي تشمئز منه:

«كذلك» بريجيته تشمئز من «هاينتس» ومن جسمه الأبيض السمين، جسم الكهريائي، الذي اسمه أيضاً «هاينتس». وعلى الرغم من ذلك فهي أيضاً فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، مية من الفرح، لأنها نالته، فهو مستقبليها.

وبريجيته تلعب على هاينتس لعبة الأطفال تحتال بها لتربطه بها وتتصنع أنها تحب الأطفال وهي في الحقيقة تكرههم أبشع الكره.

«الواقع أن» بريجيته تشمئز من الأطفال الرضع. والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسر عظيمات أصابعهم الرقيقة، وأن تخز في أصابع أقدامهم الصغيرة الضعيفة شظايا الخيزران وأن تدس في حنك الطفل الصغير القادم الجديد وقد أصبح الشخص الرئيسي خرقه قذرة بدلاً من البزارة

المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ الحقيقي».

ومجتمع القرية كما تصفه وأُفْرِيده يَلِينِك
مجتمع يكيل بمكايل مختلفة، فهو يتصنع التمسك
بالأخلاق والشرف، ولكنه غارق في الفساد، يرضى
بالسكر والاعتصاب والعنف والانتصار للفسادين
الظالمين.

مصطفى ماهر

العاشقات

مقدمة:

هل (١) تعرفون هذه المنطقة الجميلة بوديائها
وتلالها؟ (٢)

على البعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق، وهو ما
لم تؤته مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعى هذه المنطقة وحقولها
وغيطانها؟ هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس
المسالين فيها؟

فى قلب هذه المنطقة الجميلة بنى أناس طيبون (٣)

(١) من المعروف أن اللغة الألمانية تستخدم فى الإملاء التقليدى
الحروف الكبيرة على نطاق أوسع من كثير من اللغات الأخرى.
والمتمردون من الكتاب والشعراء يكتبون بحروف صغيرة حتى
الأسماء الأعلام، وهكذا تفعل الفريدة يلينك فى هذه
الرواية. (المترجم)

(٢) لجوته قصيدة تبدأ بـ : هل تعرفون البلد الخ؟ ونخس هنا صدى
هذا التراث. (المترجم)

(٣) طيبون = المقصود العكس، من أمثلة السخرية المستترة.
(المترجم).

مصنعاً. سطحه المنطوى على نفسه المصنوع من الألومنيوم المضع يشكل تبايناً جميلاً (١) حيال الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينطوى فى المنطقة الطبيعية الجميلة.

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينطوى على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم سامقاً.

ما أعظمه من خير فى أنه يقوم (٢) هنا، فى هذا المكان الجميل، لا فى مكان آخر لا جمال فيه.

والمصنع يبدو عليه كأنما كان جزءاً من هذه المنطقة الطبيعية الجميلة.

يبدو عليه كأنما نما هنا .. لكن لا! عندما يتأمله الإنسان عن كذب يرى أن: أناساً طبيبين شيدوه. فلا شىء ينجم بطبيعة الحال من لا شىء.

وهناك أناس طبيبون يدخلون المصنع ويخرجون منه. ثم ينهمرون على المنطقة الطبيعية الجميلة كأنما كانت ملك يمينهم.

والمصنع والأرض التى من تحته ملك يمين الشاغل وهو مؤسسة كبيرة.

والمصنع يفرح على الرغم من ذلك عندما ينهمر عليه أناس مبتهجون، لأن المبتهجين ينتجون أكثر من غير المبتهجين.

(١) راجع الملحوظة السابقة (المترجم).

(٢) تكاد الرواية كلها أن تكون مكتوبة فى المضارع، الزمن النحوى المناسب للتقارير، وهو ما حاولنا الالتزام به (المترجم).

والنساء اللاتي يعملن هنا ليسوا ملك صاحب المصنع.
النساء اللاتي يعملن هنا تمتلكهن عائلاتهن بالكامل.
المبنى فقط هو الذى تملكه المؤسسة. وهكذا وضع
يرضى الجميع.

النوافذ الكثيرة تلمع وتبرق مثل الدرجات
والسيارات الصغيرة الكثيرة فى الخارج. النوافذ لمعتها
النساء، أما السيارات فغالباً ما يكون الرجال هم
الذين لمعوها.

كل من نزحوا إلى هذا المكان نساء.

يعملن فى الخياطة. يشتغلن بخياطة مشدات
تحتانية وسوتيانات وأحياناً كورسيهات وسليبات.
كثيراً ما تتزوج هذه النساء، أو ينتهين على نحو أو
آخر إلى الضياع. ولكن طالما كن يخطن، فإنهن
يخطن. وكثيراً ما تسرح نظرتهن إلى الخارج إلى طائر
أو نحلة أو نبتة نجيلة.

إنهن يستطعن^(١) أحياناً أن يتمتعن بالطبيعة فى
الخارج وأن يفهمنها كأى رجل.

أى ماكينة تخط دائماً غرز خياطة. وهى لا تحس
فى أثناء ذلك بملل. إنها تودى واجبها فى المكان الذى
توضع فيه.

(١) من مميزات اللغة الألمانية كثرة استخدام أفعال مساعدة معينة
يمكن ترجمتها إلى العربية بيستطيع، يكون عليه، يجب عليه،
يتمنى إلى آخره الخ، وهو ما يصبغ الترجمة من الألمانية إلى
العربية بصيغة نوعية معينة. (المترجم).

وكل ما كينة خياطة تقوم بتشغيلها عاملة خياطة
مدربة. وعاملة الخياطة لا تحس في أثناء ذلك بالملل.
هي أيضاً تؤدي واجباً.

لها في أثناء ذلك أن تقعد. فعليها مسئولية كبيرة،
ولكن ليس لديها نظرة شاملة ولا نظرة بعيدة. ولكن
لديها في أغلب الأحيان بيت تدبره.

أحياناً في المساء تُقلِّ الدراجاتُ صاحباتها إلى
منازلهن

إلى البيت. والبيوت موجودة في المنطقة الطبيعية
الجميلة ذاتها.

هنا يترعرع الرضا، وهذا ما يراه الإنسان (١).

ومن لا تحقق لها المنطقة الطبيعية الرضا، يحقق
لها الأولاد والزوج الرضا الكامل.

ومن لا تحقق لها المنطقة الطبيعية، ولا يحقق لها
الأولاد والزوج الرضا، يحقق لها العمل الرضا الكامل.

ولكن قصتنا تبدأ في مكان آخر غير هذا المكان:
في المدينة الكبيرة (٢).

(١) الإنسان كلمة غير محددة، شخص ما غير معروف، وكان العبارة
مبنية للمجهول. كذلك نلاحظ التعبير الساخر عن الرضا الذي
يترعرع والذي تقول المؤلفة إنه يُرى، والعكس هو
الصحيح. (الترجم).

(٢) المدينة الكبيرة Grobstadt مصطلح معناه المدينة التي يكون عدد
سكانها ١٠٠٠٠٠ فأكثر، المدينة الصغيرة Kleinstadt
١٠٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠ Mittelstadt، المدينة المتوسطة
(الترجم).

هناك فرع من المصنع، أو بعبارة أفضل، هناك المقر الرئيسي للمصنع ، أما الفرع الموجود في المنطقة دون سفح جبال الألب فهو الفرع (١) .

كذلك هنا تخطط النساء كما يحلو لهن.

إنهن لا يخطن ما يحلو لهن، ولكن الخياطة في حد ذاتها موجودة في دم النساء (٢) .

وما عليهن إلا أن يخرجن هذا الدم من ذواتهن.

وهذا العمل هنا عمل نسائي هادئ.

نساء كثيرات يخطن بنصف قلبهن، ونصف القلب الآخر تحتله أسرهن. وبعض النساء يخطن بقلبهن كله، وليست اللاتي يفعلن هذا خير النساء.

في جزيرة الهدوء بالمدينة الكبيرة تبدأ قصتنا التي تنتهي وشيكاً.

وإذا جرب إنسانٌ ما قدرًا مقدرًا ، فليس هنا .

ولو كان لإنسان قدرٌ ، فهو إذن رجل. وإذا تلقى إنسانٌ قدرًا فهو امرأة.

(١) تحديد جغرافي عام للمكان الذي تجري فيه أحداث الرواية والذي لم تذكر المؤلفة له اسماً فهو مكان ما في النمسا، في المنطقة دون سفح جبال الألب في النمسا. (المترجم).

(٢) تحدد المؤلفة بعض الممارسات والأعمال والتصورات التي تعتبرها النساء "نسائية" والتي تتسبب في التعب والذل الذي يتعرضن له، ومنه هنا الخياطة، وقد ذكرت من قبل تدبير المنزل، وفيما بعد ستذكر النظافة، والتزين والتأنق والسعي لتكوين بيت مستقل، وأسرة، وهو ما يعني أحياناً الاستماتة في الحصول على زوج إلخ. (المترجم).

والحياة للأسف تعبّر هنا على الإنسان عبوراً،
والعمل وحده هو الذى يبقى. أحياناً تحاول واحدة من
النساء أن تلحق نفسها بالحياة العابرة وأن تثرثر
قليلاً.

إلا أن الحياة كثيراً ما تفر بالسيارة، بسرعة أكبر
مما تستطيع الدراجة. إلى اللقاء!

بداية

ذات يوم قررت «بريجيٲته» Brigitte أنها تريد ألا تكون امرأة بأغلب كيانها فقط، بل امرأة بكل كيانها، من أجل شخص اسمه «هاينتس» Heinz .

إنها تعتقد أن جوانب ضعفها ستكون جديدة بالحب وأن جوانب قوتها ستوارى تماماً.

إلا أن «هاينتس» لا يجد فى «بريجيٲته» شيئاً جديراً بالحب، كذلك نواحى ضعفها لا يجدها إلا مثيرة للفثيان.

«بريجيٲته» تعتى الآن بنفسها من أجل «هاينتس»، فعندما يكون الإنسان امرأة ، لا يستطيع الرجوع عن سلوك هذا الطريق مرة أخرى، ويكون عليه أيضاً أن يعتى بنفسه. و«بريجيٲته» ترجو أن يعبر لها المستقبل ذات مرة عن امتنانه لها بأن يجعلها تبدو أكثر شباباً. ربما لا يكون لـ «بريجيٲته» أى مستقبل. المستقبل يرتهن كليةً بـ «هاينتس».

عندما يكون الإنسان شاباً، فإنه يبدو دائماً شاباً، وعندما تتقدم بالإنسان السن، فإن الوقت على أية حال يكون قد تأخر تأخراً مفرطاً. وعندما لا يبدو الإنسان أنثى أكثر شباباً، فإن حكم البيئة المحيطة المجرد من الرحمة يكون: تلك عاقبة من لا يستعد بالتدبير المسبق في شبابه مستعيناً بوسائل التجميل ! فعلت «بريجيته» إذن شيئاً، سيكون مهماً في المستقبل.

عندما لا يكون للإنسان حاضر، يكون عليه أن يستعد بالتدبير مسبقاً للمستقبل.

«بريجيته» تخطط سوتيانات. عندما يكون على الإنسان أن يخطط خياطة قصيرة، يكون عليه أن ينتج عدداً كبيراً منها، أربعين خياطة هي أدنى حد لمعدل الإنتاج المفروض. أما عندما يخطط الإنسان خياطة أطول وأكثر تعقيداً، فإنه يكون عليه في المقابل أن ينتج منها عدداً أقل. هذا تقدير إنساني وعادل (١).

كان في مقدور «بريجيته» أن تنال عمالاً كثيرين، ولكنها لا تريد أن تنال سوى «هاينتس» وحده الذي سيصبح رجل أعمال.

الخامة عبارة عن دانتيلا من النايلون تحتها قطعة رقيقة من الإسفنج الصناعي. والمصنع الذي تعمل فيه

(١) الفقرة نموذج لاصطناع السذاجة. ووصف التناسب بين الكمية ونوعية القطعة المستصنعة بالإنسانية والعدل فيه سخرية مستترة، لأن البنات اللاتي يعملن في المصنع يعانين من الاستغلال والملل. (المترجم)

«بريجيته» له أنصبة كثيرة في السوق، خارج البلاد، ولديه خياطات أجنبيات. وهناك خياطات كثيرات يخرجن من المصنع بسبب الزواج أو الولادة أو الموت.

و«بريجيته» تأمل أن تخرج من المصنع بسبب الزواج والولادة. «بريجيته» تأمل في أن يخرجها «هاينتس» من هنا.

أما كل ما عدا ذلك من مخرج فهو على الأرجح موتها، حتى لو بقيت على الحياة.

ليس لدى ب (١) مؤقتاً شيء سوى اسمها، وفي مسار القصة ستحصل «بريجيته» على اسم «هاينتس»، وهذا شيء أهم من المال ومن الأملاك، فهو يستطيع أن يجلب المال والأملاك.

والحياة الحقة التي يجوز لها أن تعبر عن ذاتها عندما يسألها سائل هي الحياة بعد العمل. أما بالنسبة إلى «بريجيته» فالحياة والعمل مثل النهار والليل. ولهذا فسيدور أغلب الحديث عن وقت الفراغ.

و«هاينتس» في هذه الحالة الخاصة هو اسم الحياة. والحياة الحقة لا تحمل فقط اسم «هاينتس»، بل هي كذلك «هاينتس».

لا وجود لشيء سوى «هاينتس». بالنسبة إلى «بريجيته» من المحال على الإطلاق بلوغ ما هو أفضل من «هاينتس» و«بريجيته» لا تريد شيئاً يكون أسوأ

(١) تختصر يلينك أحياناً اسم بريجيته إلى ب واسم هاينتس إلى

هـ. (المترجم)

من «هاينتس». و«بريجيته» تتصدى حتى اليأس بيديها ورجليها للهبوط، والهبوط هو فقدان «هاينتس».

ولكن «بريجيته» تعرف كذلك أنه ليس هناك من صعود بالنسبة إليها، ليس هناك إلا «هاينتس» أو ما هو أسوأ من «هاينتس» أو تكون خيطة سوتيانا إلى نهاية الحياة. وخيطة السوتيانا بدون «هاينتس» معناها من الآن نهاية الحياة.

أن تعيش «بريجيته» مع «هاينتس»، أو أن تتسلخ من الحياة وتضيع، هذا أمر متروك إطلاقاً للصدفة وحدها.

وليست هناك قوانين حتمية لذلك. القدر يقرر قدر «بريجيته». ليس ما عمله وما تكونه هو الذي يحسب له حساب، بل «هاينتس» وما عمله وما يكونه هو الذي يحسب له حساب.

ليس لـ «بريجيته» و«هاينتس» تاريخ. ليس لـ «بريجيته» و«هاينتس» إلا عمل. على «هاينتس» أن يصبح هو تاريخ «بريجيته»، عليه أن يصنع لها حياة خاصة، ثم عليه أن يجعلها تلد له طفلاً سينطبع مستقبله بدوره بطابع «هاينتس» ومهنته.

وليس تاريخ ب و ه شيئاً سيكون، بل هو شيء وُجد فجأة (برق) واسمه حُب.

الحب يأتي من جانب «بريجيته». عليها هي أن تقنع «هاينتس» بأن الحب يأتي كذلك من جانبه. عليه أن يدرك هو أيضاً أنه لا يمكن أن يكون له مستقبل

بدون «بريجيته». لـ «هاينتس» بطبيعة الحال من الآن مستقبل، ألا وهو فنى تركيبات كهربية. إنه يستطيع أن يملك هذا المستقبل، حتى بدون «بريجيته». من الممكن أن يركب الإنسان وصلات كهربائية دون أن تكون بـ موجودة أصلاً. بل يمكنه حتى أن يعيش! وأن يذهب ليلعب لعبة البولينج أو الكيجلن^(١) بدون «بريجيته».

لكن «بريجيته» عليها مهمة.

عليها أن تبين لـ «هاينتس» دائماً بوضوح، أنه ليس له بدونها مستقبل، وهذه مهمة تتطلب جهداً شاقاً. وعليها علاوة على ذلك أن تحوّل فى صلابة دون أن يميل «هاينتس» ربما إلى أن يرى مستقبله فى غيرها. وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

و«هاينتس» يريد أن يكون، أى أن يصبح مقاولاً صغيراً مستقلاً بمحل مقاولات صغير خاص به. سيقتنى «هاينتس» ذات مرة ملكاً خاصاً، وستحصل «بريجيته» على هذا الذى يقتنيه. و«بريجيته» تفضل أن يقتنى لها زوجها ملكاً خاصاً فى محله الخاص، الذى سيكون فى قليل منه محلها الخاص أيضاً.

خطة ألا يعرف «هاينتس» ذات يوم تلميذة فى المدرسة الثانوية من قبيل «زوزى» مثلاً وعلى ألا يعتقد «هاينتس» ذات يوم، لا قدر الله، أن إنساناً ما

(١) Bowling و Kegeln نوعان من لعبة تقزم على دفع كرة لإيقاع أنصاب أو أقماع من خشب أو خلافة مصفوفة على نهاية معر التصويب. وكلمة بولينج معربة ومتداولة بهذا المعنى. (المترجم)

سيكون أفضل مما ستكون «بريجيته» أبداً، وأن هذا الإنسان سيكون أفضل بالنسبة إليه.

لو وجد «هاينتس» الأفضل فلا بد من أن يتركه مرة أخرى. والأمثل ألا يعرفه أصلاً، وهذا هو الأضمن أيضاً.

عندما تقعد «بريجيته» إلى ماكينة خياطتها وتخز غرزاً في النسيج المطاط، وتتحسس الإسفنج الصناعي والدانتيل المنشبة بين أصابعها، والسوتيان الساحر الصغير الجديد بألوانه الموضه، تملكها كوابيس سببها شخص ما لا وجود له قط حتى الآن، ولكن من الممكن على الرغم من ذلك أن يمر في طريق «هاينتس» على هيئة الشيء الأفضل (١).

«بريجيته» لا تعرف راحة البال حتى في أثناء العمل.

حتى في أثناء العمل عليها أن تعمل.

ليس لها أن تفكر في أثناء العمل، ولكن شيئاً ما فيها يفكر على الرغم من ذلك بلا انقطاع.

«بريجيته» لا تستطيع أن تصنع من حياتها شيئاً أفضل. المفروض أن يأتي الأفضل من حياة «هاينتس». «هاينتس» يستطيع أن يحرر «بريجيته» من ماكينة خياطتها، وهو ما لا تستطيع «بريجيته» أن تعمله من تلقاء ذاتها.

(١) المقصود بالكلمات «إنسان ما» و«شخص ما» و«شيء ما»: بنت أو امرأة. (المترجم).

ولكنها ليس لديها ما يضمن ذلك، لأن الحظ صدفة وليس قانوناً حتمياً ولا تتابعاً منطقياً لأفعال.

«بريجيته» تريد أن تحصل على مستقبلها مصنوعاً. إنها لا تستطيع أن تصنعه بنفسها.

لا أهمية لقصة تعارف الاثنيين، بل إن الاثنيين ذاتهما لا أهمية لهما. إنهما بالضبط أعراض دالة على كل شيء عديم الأهمية.

كثيراً ما يتلاقى طلاب وطالبات يطابق بعضهم بعضاً إلا في الجنس. وكثيراً ما يستطيع الإنسان أن يحكى عن هذه اللقاءات قصصاً مثيرة.

بل إن لمثل هؤلاء الناس أحياناً قصصاً سابقة طويلة.

وعلى الرغم من أن قصة «بريجيته» السابقة من المتصور أنها غير ملائمة لتكوين ثروة في المستقبل، فإنها على الرغم من ذلك تعرفت إلى «هاينتس» الذي ستتكون ذات مرة ثروة بين يديه.

و«بريجيته» هي البنت غير الشرعية لأم تخطيط نفس ما تخطيطه «بريجيته»، أي سوتيانا ومشدات تحتانية.

و«هاينتس» هو الابن الشرعي لسائق مسافات طويلة وامراته التي بقيت برضاه في البيت.

وعلى الرغم من هذا الفارق الصارخ فقد تعارفت ب و ه.

فى هذه الحالة الخاصة يعنى التعارف إرادة الهرب، أو عدم ترك الشخص يفلت والتمسك.

«هاينتس» تعلم شيئاً سيفتح له العالم كله ذات مرة، تعلم حرفة التركيبات الكهربائية.

«بريجيته» لم تتعلم قط أى شىء.

«هاينتس» شىء، «بريجيته» لا شىء وهو ما يمكن أن يكونه بالضبط آخرون دون جهد. «هاينتس» لا يمكن تبديله، وكثيراً ما يحتاج إليه الناس أيضاً، مثلاً عندما يتلف خط كهرياء أو عندما يحتاج بعضهم إلى شىء من حُب. «ريجيته» يمكن تبديلها بغيرها، ولا يحتاج إليها أحد. «هاينتس» له مستقبل، «بريجيته» ليس لها حتى حاضر.

«هاينتس» هو كل شىء بالنسبة إلى «بريجيته»، وما العمل إلا عذاب مضجر لـ «بريجيته». إنسان ما يحبك، هذا هو كل شىء. إنسان ما يحبك ويكون بالإضافة إلى ذلك، وتلك هى القمة، شخصاً تستطيع «بريجيته» أن تصل إليه. العمل لا شىء، لأن «بريجيته» تملكه منذ حين، الحب أكثر من ذلك، لأن الإنسان عليه أولاً أن يبحث عنه.

«بريجيته» وجدت منذ حين: «هاينتس».

كثيراً ما يسأل «هاينتس» نفسه، ماذا عند «بريجيته» من ميزات.

وكثيراً ما يفكر «هاينتس» في أن يأخذ واحدة أخرى لديها ما تقدمه، نقوداً حاضرة أو أماكن مناسبة لمحل للعمل.

«بريجيته» لديها جسد.

وهناك غير جسد «بريجيته» أجساد أخرى كثيرة ملقاة في السوق. الشيء الوحيد الذي يقف إيجابياً إلى جانب «بريجيته» على هذا الدرب هو صناعة أدوات التجميل. «بريجيته» لديها صدر وساقان و.... (١).

وتلك أشياء لدى أخريات كذلك، بل أحياناً من نوعية أفضل.

و«بريجيته» لديها شبابها، عليها أن تعطى آخرين نصيباً منه، المصنع والضجيج بداخله والحافلة المزدحمة. كلها تفترس ما تفترس من شباب «بريجيته».

«بريجيته» تتقدم بها السن وتقلص دوماً كامراً، والمنافسة يتزايد شبابها وتزيد دوماً كامراً.

«بريجيته» تقول لـ «هاينتس» إنني أحتاج حقاً إلى إنسان يتمسك بي، يكون موجوداً من أجلى، وأنا في المقابل أتمسك به وأكون دائماً موجودة من أجله.

(١) تلقي إلفريده يلينك الضوء بطريقتها المباشرة الجريئة على دور الجنس في محاولات الصعود الاجتماعي، وتستخدم في بعض المواضع مفردات مباشرة مكشوفة من السجل اللغوي للطبقة الدنيا ونشير إلى هذه المواضع بأربع نقط.... (المترجم).

هاينس يقول إنه يحتقر هذه الأشياء (١).

خسارة أن «بريجيته» تمقت «هاينتس» كل هذا المقت. اليوم على سبيل المثال تركع «بريجيته» على الأرضية الباردة أمام سلطانية المرحاض في حديقة «هاينتس» ووالديه الشريبرية الصغيرة خارج المدينة (٢).

هذه الأرضية أشد برودة

من الحب الساخن الذي اسمه «هاينتس».

الأب سائق المسافات البعيدة غائب، و«بريجيته» تساعد في الأعمال المنزلية، وهو الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تستميل به الناس، يعنى أنها تتظف مبتهجة سلطانية المرحاض بفرشاة الوساخة. قالت قبل خمس دقائق إنها تحب القيام بهذا العمل. وهى الآن لم تعد تحب القيام به. إنها يملكها الغثيان كل الغثيان من كل البراز الذى يتجمع طوال أسبوع فى بيت من ثلاثة أفراد (٣).

(١) الكلمة فى الأصل كلمة مبتذلة (المترجم).

(٢) حدائق صغيرة على هيئة المستعمرة، كانت فى القرن التاسع عشر تقام على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون فى المدينة فى مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متنفس وزهور وأشجار فاكهة، ويحظر فيها بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصغيرة، التى ربما تحايل أصحابها ووسعوها، فكر فيها شريبر Schreber (١٨٠٨ - ١٨٦١) وما زالت موجودة، وهى علامة على أن أصحابها من محدودى الدخل أو صفار البورجوازيين. (المترجم).

(٣) هذه هى طريقة إلفريده يلينك المباشرة فى تصوير قبول البنت الذل والمهانة لتحقيق ما تتصور أنه مكان أفضل فى الحياة عن طريق الارتباط برجل تؤمن بأنه ستكون له ثروة وبيت ومحل (المترجم).

و«هاينتس» سيتزوج، إن لم تكن سكرتيرة، تلميذة في مدرسة ثانوية، فسكرتيرة أو سكرتيرة أو سكرتيرة سيتزوج امرأة تكون امرأة، امرأة حقيقية، تستطيع كما ينبغي أن تتعامل بالفرشاة وكل ما يواكبها من أحوال مقززة.

في البيت لا تساعد «بريجيته» في شيء، ولو فعلت لكان معنى هذا وضع رأس المال والقوى العاملة في مشروع صغير يشتغل بالخسارة ومحكوم عليه بالفشل. لا مستقبل له. لا أمل فيه. «بريجيته» تستثمر أفضل في شيء يمكن أن يخرج منه عائد. حياة كاملة جديدة.

ولما كان مخ «بريجيته» صغير، فإن النتيجة غير مؤكدة.

والمديرون يستعينون في نهاية المطاف بمخهم، عندما يخططون شيئاً. أما «بريجيته» فلم يدرّبوا فيها إلا أصابعها. لا شيء غير ذلك. أما من لهن أذرعة شغالة فيمكنهن العمل لثلاثة إذا اضطررن. وهن مضطرات. من أجل «هاينتس».

و«بريجيته» تتمسح في مقعدة والد «هاينتس». لا تجد هنا شيئاً آخر غير نفس الوساخة التي في سلطانية المرحاض الذي تعكف على حكه. ذات مرة ستكون هذه ورائي، وسيكون المستقبل أمامي. على أولاً أن أصنع لي بعملى وضعا يؤهلني لأن يكون لي أساساً أن أتخذ مستقبلاً. المستقبل ترف. وليس المتاح منه كثير كثيرة مفرطة.

ليس المقصود من هذه القطعة أن تبين شيئاً آخر
سوى أن «بريجيته» تستطيع أن تعمل عندما تدعو
الضرورة.

والضرورة تدعو.

« على مثال «پاولا»

على مثال «پاولا» . «پاولا» من الريف. وحياة الريف^(١) أحكمت قبضتها عليها . وكذلك على أختيها «إريكا» و «ريناته» ، وهما متزوجتان. ومن الممكن أن نسقط الاثنتين من حسابنا من الآن ، بالضبط كأنما لم يكن لهما وجود في الدنيا . الوضع بالنسبة إلى «پاولا» مختلف ، فهي أصغرهن سناً وهي ما تزال في الدنيا تماماً . عمرها ١٥ سنة . لها الآن من العمر ما يكفي لكي تفكر ملياً فيما تريد أن تصبح ذات يوم: ربة بيت أم بائعة . بائعة أم ربة بيت . كل البنات في سنها لهن من العمر ما يكفي للتفكير فيما يردن أن يصبحن ذات يوم . المدرسة الإعدادية انتهت ، الرجال

(١) مشكلة حياة الريف التي تتحكم في مقدرات أهل الريف وتقرض عليهم الكثير من القيود وهي أمور تعاني منها المرأة خاصة، وتظهر في التقاليد البالية وفي اعتبار القرية دون المدينة، وحصر فرص العمل في القرية على العمل اليدوي، بينما تتركز في المدينة الأعمال التي تتطلب التفكير والتخطيط . واستغلال الإنسان الريفي المظلوم والمرأة الريفية المقهورة . (المترجم).

في القرية هم إما خشابون يقطعون الشجر أو سيصبحون نجارين أو كهربائية أو سباكين أو بنائين أو يذهبون إلى المصنع أو يحاولون أن يصبحوا عمال نجارة أو كهرباء أو سباكة أو عمالاً في المصنع ثم يذهبون مع ذلك إلى الغابة ويصبحون خشابين. وستصبح البنات زوجاتهم. وصيد الحيوانات مهنة أفضل، وهم يستوردون صيادي الحيوانات من الخارج. ليس بالقرية مدرسون أو قساوسة، فليس بالقرية كنيسة أو مدرسة. كذلك المهنة الذكية التي يمارسها مدير فرع المحلات الاستهلاكية يستوردونها من الخارج، وتحت يده تعمل ثلاث نساء وبنات من القرية وصبية متدرجة (١) من القرية. والنساء يبقين حتى الزواج بائعات أو مساعدات بائعات، وعندما يُزوجن ينتهي البيع، ويكنُّ هن اللاتي جرى بيعهن، ويكون للبائعة التالية أن تتقدم وتشغل مكانها وتستأنف البيع، التبديل يحدث بسرعة خاطفة.

وهكذا نشأت على مر السنين دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ووضع طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة بيت، البنت تدخل، الأم تقضي نحبها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفز من السلم، تلد هي ذاتها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكي هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعية، في فاكهته

(١) انظر الملاحظة الهامشية رقم ٢٧ فيها شرح لمنظومة العمالة في النمسا وألمانيا بدرجاتها الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (الترجم)

وخضرواته تتعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تتعكس في أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تنعكس وجوه بائعته المتبهة اللاتي اجتمعن هنا لكي ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتي دائماً وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل في المحل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً بإصابات بليغة. وهو دائماً سكير.

الخشب (١) يمارس مهنة صعبة وخطيرة، كثيراً ما لا يعود منها أبداً. ولهذا فإن الخشابين يتمتعون بحياتهم إلى أبعد الحدود طالما كانوا شباباً، من سن ١٢ سنة لا تكون بنت في مأمن منهم، حيث يبدأ السباق، وتكسير القرون (٢) رمزاً على الجنس، وتحدث هذه الفعلة دوماً في القرية كلها. ويتردد صدى هذه الفعلة من خلال الوادي.

وفي نهاية الصبا يتخذ كل واحد من الشباب زوجة نشيطة مدبرة في البيت. نهاية الشباب . بداية الكبر.

(١) الخشب عامل يشتغل بقطع الأشجار في الغابة وتجهيز الخشب على شكل كتل تتحول إلى ألواح وعروق ومرابن وخلافة، وعمل الخشاب يتطلب قدرة عضلية كبيرة، وهو يتعرض لمخاطر وأخطار كثيرة أشهرها قطع الأصابع بالمناشير وما إلى ذلك من حوادث العمل ، ناهيك عن الموت تحت جذوع الأشجار أو الكتل. ويرتبط بهذا العمل العنيف القاسى ما يعترى شخصية الخشاب من خروج على الأخلاق الكريمة وارتكاب موبقات في مجال الجنس والإدمان الكحولى الخ (المترجم).

(٢) إشارة إلى تقليد شعبي قديم يتمثل فيه الصبي هيئة الجدوى ويكسر قرونه على باب بيت دلالة على دوافع حيوانية عارمة لا تعرف الخوف ولا تتصاع لحميد الخلق. (المترجم)

بالنسبة إلى المرأة نهاية الحياة وبداية الإنجاب. بينما ينضج الرجال نضجاً حسناً ويبدءون مرحلة الشيخوخة وينسبون إلى الكحول أنه يحفظهم أقوياء وبلا سرطان، كثيراً ما يدوم صراعُ زوجاتهم مع الموت سنوات وسنوات، وكثيراً أيضاً ما يطول إلى أن يشهدوا صراع بناتهن مع الموت. وتبدأ النساء في كُرِه بناتهن ويردن بأسرع ما يستطيعون أن يجعلهن يمتن كما متن هن أنفسهن ذات يوم، ولهذا: لا بد من أن يأتي رجل.

وقد يحدث أحياناً أن بنتاً لا تريد أن تموت بالسرعة التي ينبغي أن تموت بها، وتفضل أن تبقى سنة أو سنتين بائعة وأن تعيش! نعم أن تعيش! بل قد تتمنى في حالات نادرة أن تعمل بائعة في المدينة مقر الإدارة المحلية التي بها حرف أخرى، فيها القسيس والمدرس وعامل المصنع والسباك والنجار والسمكري بل والساعاتي والخباز والجزار! وصانع السجق! وغير هؤلاء وأولئك كثير. وأكثر من الكثير من وعود بحياة في مستقبل أجمل.

إلا أن القدرة على الإمساك برجل لديه مستقبل أجمل ليست متاحة بهذه السهولة. فأصحاب الحرف الأفضل لديهم ما يقدمونه مما هو أفضل، ولهذا لهم أن يطلبوا الاستجابة مباشرة، ومع ذلك لا يجوز أن يستجيب الإنسان مباشرة، لأن صاحب الحرفة الأفضل سيطلب ما هو أفضل من الأفضل، وقضي الأمر. العامل البسيط المشتغل بقطع الشجر قد ينتظر في بعض الأحيان، ولكن صاحب الحرفة

الأفضل لا ينتظر أبداً. لا تكاد تكون هناك واحدة وجدت ضالتها وعادت يوماً ما، إلا أن تكون في زيارة ومعها طفل بلا أب.

والبقية الضئيلة المتأهية الضالة منهن تأتي إلى بيت أهلها أحياناً أيضاً للزيارة لتُري أمها وأباها الأولاد وكيف أنهم ينعمون بالخير، وأن زوجها رجل طيب يعطيها المال كله ولا يشرب إلا القليل من الخمر، وأن المطبخ جديد والمكنسة الكهربائية جديدة والستائر جديدة ومنضدة الركن أيضاً جديدة والتليفزيون جديد والكنبة الجديدة جديدة والفرن الجديد صحيح مستعمل ولكنه كالجديد، والأرضية مكحّطة ولكنها بعد التنظيف والتلميع تبدو كأنها ما زالت جديدة. والابنة ما زالت كالجديدة، ولكنها عما قريب ستصبح بائعة وستشيخ بسرعة وتُستهلك. ولماذا لا يجوز أن تُستهلك البنت إذا كانت أمها قد استهلكت؟ ستُستخدم البنت عما قريب، وقد أصبحت بحاجة إلى ذلك، هيا بالرجل الأفضل الجديد، موجود هنا قساوسة ومدرسون وعمال المصنع وسباكون ونجارون وسمكرية وساعاتية وجزارون وصناع سجق، وغيرهم كثير، كثير، وكلهم يحتاجون بلا انقطاع إلى نساء، ويستخدموهن أيضاً. ولكنهم هم لا يريدون بحال من الأحوال أن يشتروا زوجة كانت لها علاقات من قبل وأن يستأنفوا استهلاكها. لا. سيكون ذلك حينئذ شيئاً صعباً. فأين يجد الإنسان نساء لم يستخدمن من قبل، ما دامت النساء تستهلك دون هوادة؟ ليست هناك دعارة، ولكن

هناك كثير من الأولاد غير الشرعيين، وما كان للمرأة التي أنجبتهم أن تتجبههم، ولكنها أنجبتهم، وهناك من فعل بها هذه الفعلة، وفعلها بإتقان، وهاهي ذي تقف وحدها، وتقوم بنفسها بالعمل ، حتى العمل الذي يكون على الرجل أصلاً أن يقوم به، ويبقى الطفل عند الجدة التي امتلأت بكراهية أم العيال وعيالها. والمرأة المستخدمة من النادر أن يتزوجها أحد، ولو تزوجها أحد فالمستهلك الأول. وعلى مثل هؤلاء النساء أن يسمعن طوال حياتهن: لو لم أتزوجك ، لما تزوجك أحد غيري، وكنت ستضطرين إلى أن تبحثي عن النقود من أين تدبرينها للإنفاق على الطفل، ولهذا تزوجتك في آخر لحظة على أية حال، ويمكنك أن تأخذها مني، بعد أن آخذ أولاً لنفسى ثمن الكحول، ثم أستطيع أن أفعل بك كلما شئت دون صعوبات ما أريد، أما ابنتنا فإنني سأنتبه إلى ألا يأخذها أحد بلا رجعة ويستخدمها، سأنتبه إلى ألا تصبح مثل أمها، التي سلمت نفسها من قبل.

عليها أن تنتظر حتى يقترب منها أحدهم، ولكن لاحقاً، ثم تدعه يقترب منها، ولكن لاحقاً. أما إذا فرطت في نفسها مثلك من قبل، فإنها بعد ذلك ستفرح إذا رضى بها أى رجل. ويمكن أن تفرح ابنتك لأن لها أب.

فظيع هذا الموت البطيء. الرجال والنساء يموتون معاً شيئاً فشيئاً، وإن كان الرجل يجد في أثناء ذلك شيئاً من تغيير، فهو يحرس زوجته مثل كلب العزبة من

الخارج، يحرسها في أثناء الموت. والمرأة تحرس من الداخل زوجها والمصطافات وابنتها ونقود المصروف ألا تضيع في عب الكحول. والزوج يحرس من الخارج زوجته والمصطافات والبنت ونقود المصروف لكي يستطيع أن يقص منها ما يحب به الكحول. وهكذا يموتان وعين كل منهما تراقب الآخر. والابنة لم تعد تطيق الانتظار حتى يكون لها أن تموت، والوالدان يشتريان من الآن لوازم موت ابنتهما: مفارش من التيل وفوط حمام وفوط مطبخ وثلاجة كهربائية مستعملة. هكذا تبقى على الأقل ميتة ولكن نضرة (١).

والام تصير «پاولا» ؟ بائعة أم ربة بيت؟ لا ينبغي أن ننسى في هذا الخضم «پاولا» بالذات! فالموضوع هنا يدور حولها. ماذا يجري على «پاولا» ؟ هل تموت في وقت متأخر أم مبكر؟ أم تراها لا تبدأ في الحياة أصلاً؟ تموت حالاً ؟ لا تستطيع أن تنتظر، ثم تتأخر متأخراً مفرطاً، ويأتي الطفل وتموت الأم من فورها بدلاً من أن تموت بعد الزفاف؟ لا! «پاولا» تريد أصلاً أن تتعلم الخياطة لتصبح خياطة. لم يحدث في القرية من قبل قط، أن تتمنى واحدة أن تتعلم شيئاً. ذلك أمر لا ينتهي إلى خير. والأم تسأل: ألا تريدان يا «پاولا» حقاً أن تصبحي بائعة، فتستطيعين أن تعرفي أحداً، أو أن تصبحي ربة بيت وقد عرفت بالفعل أحداً ؟

(١) سخرية قاسية تصور التجهيز للزواج على أنه تجهيز لموت بطيء. وهذه السخرية القاسية الناقدة لما تتعرض له الأنثى من ظلم من جهات كثيرة سمة مميزة لأسلوب يلينك. (المترجم).

وتقول الأم: لا بد يا «پاولا» أن تصبحي بائعة أو ربة بيت. وترد «پاولا»: يا أمي (١) ليس هناك في الوقت الحالي مكان خال لصبية متدرجة تتعلم لكي تصبح بائعة. وتقول الأم: فاقعدي إذن في البيت يا «پاولا» وكوني ربة بيت وساعديني في شغل البيت وفي الحظيرة واخلمي أباك كما أخدمه واخلمي كذلك أخاك "جيرالد" عندما يعود من قطع الشجر في الغابة، لماذا تريدان أن تكوني أفضل مني، أنا لم أكن قط شيئاً أفضل من أمي التي كانت ربة بيت لأننا لم يكن عندنا في ذلك الوقت بائعات، ولو كان لهن وجود لقتلني أبى (٢).

وهو قال إن عليّ أن أقعد في البيت وأن أساعد أمي وأخدمه عندما يعود من الشغل وأحضر له البيرة من صاحب الحانة، ثماني دقائق ذهاباً وإياباً، وإذا أطلت عن ذلك قطمت وسطك. ولماذا تريدان يا ابنتي حظاً أفضل؟ اقعدي في البيت، هذا أفضل لك، وساعديني عندما يعود أبوك وأخوك لتوهم إلى البيت. وربما قطعنا وسطك مرة بالفعل أنا وأبوك وأخوك «جيرالد». هاللو!

ولكن «پاولا» تقول: يا أمي أنا لا أريد هذا، أنا أريد أن أتعلم الخياطة. وعندما انتهى من تعلم الخياطة،

(١) تكتب إلفريدة يلينك الكلمات الدالة على الأب Vatter أو Vatta والأم Mutta والولد Bub والبنت Mädcl بحسب اللهجة النمساوية تأكيداً لأن الأحداث تدور في النمسا. (المترجم).

(٢) جملة مقتضبة، والمعنى: إذا طلبت أن أكون مثلهن (المترجم).

أريد أن أنال شيئاً من حياتي، أن أسافر إلى إيطاليا وأن أدخل السينما بالنقود التي أكسبها بنفسى، ثم عندما أكون قد نلت شيئاً من حياتى، أريد أن أسافر إلى إيطاليا مرة أخرى، مرة أخيرة وأن أدخل السينما مرة أخرى، آخر مرة، بنقودي التي كسبتها، ثم أريد أن أبحث لى عن رجل جدد، أو أقل من ذلك، من قبيل الرجال الذين نراهم الآن بكثرة متزايدة فى السينما، وأريد أن أتزوجه وأن أنجب أطفالاً. أطفالاً أحبهم كلهم معاً، نعم أحبهم، وأريد أن يكونوا اثنين، ولداً وبنثاً. ثم إننى أريد أيضاً أن أتعاطى حبوب منع الحمل، حتى يظل الطفلان اثنين، ولداً وبنثاً، ويكون كل شيء دائماً نظيفاً لا تشوبه شائبة. ولا يكون عليّ إلا أن أخيط أكثر من أجل الطفلان ومن أجلى، وأن أبنى بنفسى بيتاً مستقلاً لنا مع زوج مجتهد.

وسأخيط للطفلين ولى كل شيء بنفسى، ففى ذلك توفير لكثير من النقود. ولن يكون عليّ أن أخيط من أجل الأعراب، فهو لن يسمح لى بذلك، لا. أرجوك يا أمى، إننى أود أن أتعلم الخياطة.

والأم تقول: إنها ستقول للأب ولـ «جيرالد». هى دخلت السينما فى حياتها ثلاث مرات على الأكثر، ولم تعجبها السينما ولم تثر اهتمامها وكانت تطيب نفساً عندما ترجع إلى البيت (١). وأنا لم أكن فى إيطاليا

(١) هذا التداخل بين لغة السرد ولغة الحديث المباشر سمة السمات المميزة لأسلوب يلينك تجاري به أسلوب البسطاء من الناس. (المترجم).

قط، إطلاقاً حتى الآن، والتليفزيون أمتع بكثير (١)
الإنسان يرى الدنيا كلها، دون أن يود أو يضطر إلى أن
يكون بداخلها مباشرة. عندما كان أبي حياً تعبت كل
التعب فى خدمته، ثم تعبت كل التعب بعد ذلك فى
خدمة أبيك وأخيك «جيرالد»، والآن وقد بلغت من
السن ما يكفى لكى تتعبى معى هأنت ذى فجأة لا
تريدى، وبدلاً من هذا تريدى أن تتعلمى الخياطة
النظيفة. لماذا ومن أجل أى شيء شقيت طوال حياتى
إن لم يكن من أجل الأب و«جيرالد»، والآن وقد أصبح
فى مقدورك أخيراً أن تشقى معى، لا تريدى.
أخرجى هذا من دماغك! وسأقول للأب و«جيرالد»
حالاً. نعم حالاً!

والرأى عند الأب و«جيرالد» أن «باولا» لا يجوز لها
أن تتعلل بالخياطة السهلة النظيفة للإفلات بينما هما
يقومان بالعمل القذر الشاق فى قطع الشجر. ولا يحق
لها على أية حال أن تظن أنها تستطيع أن تفلت من

(١) لم تحدد يلينك تاريخ الأحداث ولكننا نتبين أنها تجرى فى زمن
قريب منا، فيه بقية قوية من صراع بين الموروث وبين الجديد،
زمن التليفزيون، وسيارات السباق، وحبوب منع الحمل، والملابس
الداخلية الأنيقة المصنوعة من النايلون والاستريتش، الزمن
الذى اتجهت فيه شرائح من الطبقات الوسطى الدنيا إلى
امتلاك بيت خاص، وأثاث جيد، ومطبخ مزود بالأجهزة
الكهربائية، وكانت تقاليد الطبقة الفقيرة من المجتمع القروى
المورثة تفرض على البنت أن تشقى فى شغل البيت والغيط
كأمها وأن تعمل خادمة للأب والأخ ولا تقبل أن تتعلم البنت شيئاً
تبنى عليه حياتها باختيارها، ولا أن تحترف مهنة أفضل كالبيع
فى المحلات المودرن والخياطة فى المصانع التى تنتج الرفاهية.
(المترجم).

حق الأب على سعيها إلى عمل نظيف، بينما اضطر الأب يوماً أن يتزوج الأم، نعم، بسببها هي، أو بالأحرى بسبب أختها الكبرى المتزوجة الآن منذ حين والتي أصبحت بمنأى عن الهجوم. كما كرهنا أمك إذن، لأنها سُمح لها بأن تقوم بشغل البيت النظيف، بينما كان علينا نحن أن نقوم بالعمل الشاق القذر، وانهلنا إذن على أمك آنذاك في غمرة السكر مراراً وتكراراً وأوسعناها ضرباً مبرحاً حتى أشرفت على الموت، ورمينا أحذية شغلنا الطويلة العريضة القذرة في وجه أمك وقذفنا بنطلوناتنا القذرة على الكنبه، بنطلونات شغلنا القذرة على الكنبه المنجدة التي كانت حينذاك جديدة، كذلك نريد أن نرمي أحذية شغلنا الطويل العريضة القذرة في وجهك بما فيه الكفاية، وأن نقذف بنطلونات شغلنا على الكنبه فيكون عليك أن تتظفيها من كل القذارة التي علق بها. هل نسينا حنقنا الصادق النظيف عليك لحظة؟ لا ! انظري واعتبري! إلا في لحظة عيد ميلاد، أو ليلة الكريسماس أو حادثة عنيفة ، وتريدين أن تتعلمي الخياطة؟

ولكن «باولا» تستمر في التطلع إلى الحياة الأفضل، أينما تلقاها، في أي مكان، في السينما أو مع المصطافين، ولكنها دائماً الحياة الأفضل التي أتاحت لآخرين فقط، وليست قط حياتها هي.

وهي تقول كذلك أحياناً: ربما تحتاجون إلى أجر الصبية المتدرجة (١)، ولا بد في نهاية المطاف أن تتعلم البائعة عملها. وفستان زفافي، فكروا في هذا الموضوع، إنني أستطيع عندما أكون خياطة، أن أخطه لنفسي بنفسي!!! وأخط للأم كذلك شيئاً، وللخالة وللجدة وللجميع وللجميع. وفي هذا بالتالي توفير لنقود، وأرى في أثناء ذلك في أحيان كثيرة ناساً نظيفة، وأكون أيضاً واحدة من النظيفين والنظيفات، لأنني كذلك أخط لنفسي فساتين جديدة، يمكن أن تعجب رجلاً أفضل.

و - سيقول الجميع إنني نظيفة، وقد يتزوجني حتى نجار أو بناء أو سباك أو جزارا أو صانع سجقاً!

و - وتتطلع «باولا» طوال الوقت إلى الحياة الأفضل كما لو كان من الممكن أن تكون ملك يمينها ذات يوم، على الرغم من أنها لم تصنع لها.

(١) منظومة العمل والعمال في النمسا وألمانيا تبدأ بالصبي المتدرج أو الصبية المتدرجة وهي وظيفة لها أجر ويطلب فيها من شاغلها أن يتعلم الحرفة نظرياً وعملياً حتى إذا فرغ من هذه المرحلة، وكان موهوباً ومجداً وطموحاً كان له أن يتقدم لامتحان العامل المتخصص الذي يعمل تحت رئاسة «معلم»، ودرجة المعلم (الأسطى، الأستاذ، الأسطون) درجة رفيعة تتطلب المزيد من الذكاء والمهبة والاجتهاد، ولها امتحان صعب، ولا يجوز أن يكون هناك محل عمل قائم بذاته إلا أن يكون على رأسه معلم حاصل على شهادة المعلم التي هي أعلى رتبة في التخصص. وسيأتي في سياق الرواية في أكثر من موضع حديث عن هذه الدرجات الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (المترجم)

و. ونظراً لأنها غير جديرة بالشغل الكثير، ونظراً لأن الأب مساءً يتوق إلى راحته، ونظراً لأنه لا يستطيع أن يُجهز عليها على الرغم من أنه يود ذلك لأنه بكل بساطة مرهق إلى حد أنه لا يستطيع أن يجازف بسورة غيظ ثانية، ونظراً لأنه لا يستطيع قتلها على الرغم من أنه يود ذلك، ونظراً لأن الأمر بالنسبة إليه تافه، ونظراً لأن «پاولا» وعدت بألف شيء، من بينها أن تساعد أمها مساءً في الحظيرة، ونظراً لأن المال مال، فهذه «پاولا» في النهاية يحق لها أن تتعلم الخياطة.

و. ومنذ تلك اللحظة ترى «پاولا» الحياة الأفضل بعينين مختلفتين كل الاختلاف، تراها أشبه بشيء قد يستطيع الإنسان حتى أن يأخذه لنفسه، على الرغم من أن الواحدة يكون عليها أولاً أن تقصر الفستان وتضييق وسطه (١).

في الحياة الأسوأ تبدأ إذن سنوات تعليم «پاولا»، والمطلوب أن تنتهي حيث تبدأ الحياة الأفضل. والمأمول ألا تنتهي قبل أن تبدأ أصلاً بحق.

والمأمول ألا تكون الحياة الأفضل قد أصبحت من نصيب واحدة أخرى، ربما لم يعد من الممكن بالوسط المحزق والجونيللا الأقصر أن تناسبها!

(١) نلاحظ تتابع أربع فقرات تبدأ بـ «و» على نحو غير مألوف في اللغة الألمانية، للتعبير عن الإلحاح. كما نلاحظ أن البنت في هذا الوسط الاجتماعي لم يكن يسمح لها بتقصير الفستان وتضييق وسطه ولبس المحزق، وهي أمور مستحبة في «الوسط الأفضل». وقد أبرزتها بـ (و-) في البداية. (المترجم).

Twitter: @ketab_n

ما هذا الذى يبرق هناك ؟

ما هذا الذى يبرق هناك مثل ثمار الكستنة الناضجة الملمعة، هذا السؤال سأله «هاينتس» نفسه ذات يوم فى الطريق إلى العمل. إنه شعر «بريجيته» المصبوغ لتوه. ما على الإنسان إلا أن ينتبه إلى الأبطال وقت تأثير الصبغة فى الشعر عما ينبغى.

لقد ظن «هاينتس» أن ما يبرق كل هذا البريق ثمار كستنة ناضجة ملمعة، وإذا هو يرى الآن أنه شعر «بريجيته» الذى يبرق كل هذا البريق. إنه يدَّهش لأن القدرَ تدخل.

تقول «بريجيته» أنا أحبك. وشعرها يلمع فى الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة وفوق ذلك ملمعة. أحبك جداً جداً. إنه إحساس الحب، ذلك الإحساس الذى لا فكاك منه. إننى أشعر كأننى كنت دائماً أعرفك، منذ طفولتى التى انقضت منذ أمد بعيد. وترفع «بريجيته» نظرها إلى «هاينتس».

وكذلك «هاينتس» تملكه في الحال نفس الإحساس. وعلاوة على ذلك تملكته حسية سمع من قبل أنها موجودة.

شيء جديد ومفزع في آن واحد.

«هاينتس» يريد أن يصبح كهربائياً^(١). والإنسان عندما يتعلم يصبح فيما بعد أكثر مما كان من قبل. ويكون الإنسان علاوة على ذلك أيضاً أكثر من كل من لم يتعلموا شيئاً.

تقول «بريجيته» إننا كلانا يحدث لنا شيء أكثر جدة وإفزاعاً من كل حدث لنا حتى الآن، كذلك أكثر جدة وإفزاعاً من حادثة المصنع في العام الماضي التي فقدت فيها امرأة يدها، إنه: الحب. أنا أعرف تحديداً الآن أنتى أحبك، وأنا فرحانة لأنتى أعرف ذلك. ليس لى رجل آخر سواك أنت يا «هاينتس»، ولن يكون لى فى المستقبل أيضاً رجل آخر سواك. أم هل ترى هنا رجلاً آخر؟ «هاينتس» لا يرى أحداً، وشعور الحسية يزداد قوة. ويفكر «هاينتس» هاتان الشفتان تجذباننى كل الجذب إلى سحرهما. إنهما تستدرجاننى وتعداننى بشيء. بماذا؟ «هاينتس» يفكر. الآن عرف الإجابة، إنها: الحسية.

«بريجيته» تقول، أنا أحبك جداً جداً، وشعرها يلمع كما تلمع ثمار الكستة فى الشمس. شفتاها الممتلئتان مفتوحتان قليلاً كأنما تستدرجان أو على

(١) أن يتجاوز مرحلة الصبي المتدرج ويؤدي الامتحان ويصبح عاملاً فنياً فيتخصص التركيبات الكهربائية. (المترجم).

الأقل تعدان بشيء. ماذا؟ أنا أحبك جداً لدرجة الألم،
أحس بألم روحي في روحي، وألم جسدي في جسمي.
أتمنى أن تبقى دائماً عندي وألا تتركيني أبداً. بعد
الزفاف أتمنى أن أبقى في البيت كليةً، وألا يكون
وجودي إلا لك ولطفلنا فقط.

ماذا يساوي عملي في المصنع بالقياس إلى هذا
الإحساس بالحب؟ لا شيء! العمل يختفى ولا يبقى
هنا إلا الإحساس بالحب.

«هاينتس» يريد أن يشتري لنفسه بنطلوناً جديداً
على الموضة. الآن وقد أصبح محبوباً يصبح البنطلون
الموضة أكثر أهمية عن ذي قبل. وكذلك يضيع للأسف
كل ما اجتمع له من أجر الصبي المتدرج طوال العام
المنقضى في التردد على الديسكوتيكات آخر كل
أسبوع. وهناك أيضاً تسود حسية، ولكنها أقل من
الحسية هنا مع «بريجيته» حيث أصبحت واقعاً يقع
في حينه.

تقول «بريجيته»: أنا بحاجة إليك، وأنا أحبك.
شعرها يبرق في الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة
ملمعة، الحب إحساس بأن أحداً يريد الآخر. تقول
«بريجيته»: أنا بحاجة إليك لكي لا يكون عليّ أن
أذهب إلى المصنع بعد ذلك، لأنني أساساً لا أحتاج إلى
المصنع بتاتاً. ما أحتاج إليه هو أنت وقربك مني. أنا
أحب وأحتاج إليك.

ويميئ «هاينتس» نفسه، ليت هذا الحب يكون
جسدياً أيضاً. على أي رجل أن يأخذ كل ما يستطيع

أخذه. كذلك عليه أن يقتنى ذات يوم بيتاً جميلاً لا بد أن يوفر له مالاً من قبل، كذلك لا بد أن يكون له يوماً ما أولاد، ولكن لا بد قبل ذلك أن يكون قد نال شيئاً من الحياة. العمل ليس كل شيء، لأن الحب هو كل شيء. هل هذا الحب يا ترى جسدي، هذا سؤال يسأله «هاينتس».

تقول «بريجيته»: نعم يا «هاينتس»، هذا هو الحب. شعرها يبرق في الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة ملمعة. لقد أتى إلينا فجأة، في قلب الليل، يا «هاينتس»، من كان يفكر في هذا؟ أنت ستكون قواماً على، وستكافئني على حبي، وستعوضني، أليس كذلك يا «هاينتس»؟

.. ذلك أنني أحبك جداً جداً (١).

«هاينتس» يظل واضعاً نصب عينيه تقدمه المهني ودورات تعليمية ربما يكون من الضروري الالتحاق بها. أما «بريجيته» فتظل واضعة نصب عين من عينيها الحب الذي هو كالمرض العضال، ونصب العين الأخرى مسكنها القادم وتأثيره. «بريجيته» سمعت أن الحب يكون صحيحاً إذا كان كالمريض، «بريجيته» تحب «هاينتس» حباً صحيحاً خالصاً.

لا تتركني أبداً يا «هاينتس»!

والدا «هاينتس» يضحيان تضحية كبيرة ليشتريا لـ «هاينتس» البنطلون الموضة. وهما يريدان في المقابل

(١) أربع جمل قصيرة تلي كل واحد منها فقرة على طريق القرار في بعض قوالب الشعر الفنائي وقد أظهرتها بنقطتين في البداية (المترجم).

ألا تحدث حماقات بين البنات وبين «هاينتس». ويقولان إنه بهذا يمكنه أن يضيع مستقبله المهني كله. ألم يلق الأب طول عمره من العنت ما فيه الكفاية ؟ حياة ضائعة واحدة في الأسرة تكفى فعلاً.

المستقبل مهم بالنسبة إلى «هاينتس» الذي يريد أن يصل إلى شيء. «هاينتس» الذي لم يصل إلى شيء في حياته حتى الآن يقول: الحياة لا تتكون من عمل فقط. والأب الذي لم يتعلم ولم يصل إلى شيء والذي تقدم به العمر يقول: أنت لم تتعلم في حياتك حتى الآن شيئاً، ولم تصل إلى شيء، لذلك فأنت لا يمكنك أن تعرف هذا إطلاقاً.

«بريجيته» التي لا تريد أن تفقد «هاينتس» تقول أنا أحبك. الإنسان يود أن يحتفظ بما يحصل عليه، وقد يكون من الممكن أن يحصل الإنسان على أكثر مما أوتى. ربما محل عمل خاص. يمكنها أن تشترك نشيطة في العمل ، وهو ما اعتادت عليه.

«بريجيته» تقول أنا أحبك. أخيراً لا يكون على الإنسان أن يعود إلى السؤال هل هذا هو الحب ، فهي متأكدة من ذلك.

«هاينتس» و«بريجيته» في فزع من ضخامة هذا الإحساس. «بريجيته» أكثر فزعاً من «هاينتس» لأن الأحاسيس أكثر أنثوية.

المهنة أكثر رجولية. إنها لا تثير في «هاينتس» إلا القليل من البهجة. وعلى الرغم من ذلك فهو يريد

ويستطيع أن يتقدم، ولا يهمله إلى أين. صحيح أن الحب يحدث في «هاينتس» بهجة أشد، ولكن عليه مع ذلك أن يكون حريصاً، كي لا يعوقه مهنيًا. والملابس الموضحة التي سيستطيع «هاينتس» أن يشتريها من أجره، تحدث فيه يقيناً بهجة، والملابس الموضحة التي سيكون عليه أن يشتريها لزوجته تحدث فيه يقيناً بهجة أقل. لهذا: الحرص!

الحب يسبب لـ «بريجيته» الماء. إنها تنتظر اتصالاً تليفونياً من «هاينتس». لماذا لا يأتي هذا الـ «هاينتس»؟ الانتظار مؤلم. أنه مؤلم لأن «بريجيته» في شوق إلى «هاينتس». «بريجيته» تقول إن «هاينتس» هو عالمها كله. لهذا فإن عالم «بريجيته» صغير. الحياة تلوح لها بلا معنى بدونه، والحياة لا تبدو لها ذات معنى بدرجة كبيرة، كل ما في الأمر أن ما لها من معنى يبدو على أية حال أكثر من عملها في مصنع السوتيانات.

عد يا «هاينتس»! إننى أحبك وإننى بحاجة إليك.

«هاينس» بحاجة (١) إلى وجود مضمون. شيء في نفسه يقول اسع إلى أمام، هذا هو ما يقوله أيضاً والداه ذوا الخبرة اللذان لم يجاوزا حدود بلدهما حتى الآن.

(١) نلاحظ سمة متكررة يتسم بها أسلوب يلينك من ناحية الصنعة، فهي تبدأ الفقرة عادة بكلمة أو بتركيب انتهت به الفقرة السابقة. هنا: «بحاجة إلى»، هي بحاجة إلى كذا وهو بحاجة إلى كذا. وهذه السمة الشكلية معروفة في منظومة الهارموني في التأليف الموسيقي. (المترجم).

«بريجيته» ترجوه: لا تدعنى وحدى، حياتى لا معنى لها بدون حياتك.

«بريجيته» عليها فى تدابيرها أن تتظر كيف تتال زوجاً لا يذهب إلى الحانة. وعليها أن تدبر أن تتال مسكناً جميلاً، وأن يكون لها أولاد، وأن يكون لها أثاث جميل. ثم عليها أن تدبر ألا يكون عليها أن تخرج بعد الزواج للعمل. ثم عليها أن تدبر قبل ذلك أن يتم دفع أقساط السيارة بالكامل. ثم عليها أن تدبر أن يكون فى مقدورها أن يقضيا إجازة جميلة كل سنة. ثم عليها على أية حال أن تدبر أمرها على ألا تضطر إلى عدم الحصول على شيء (١).

الإنسان يحيا مرة واحدة هذا ما تقوله أم "بريجيته" التى كانت هذه الحياة مرة واحدة بالنسبة إليها أشق وأطول مما ينبغى لأنها ظلت بلا زوج.

أما حياة «بريجيته» الواحدة فهى ممثلة كل الامتلاء، لأنها مليئة بـ «هاينتس». شعرها يلمع مثل ثمار كستنة ملمعة فى الشمس. بل إن «بريجيته» غلبتها هذه الحياة التى هى بفضل «هاينتس» أكبر من مقاسها بنمرة. أما عملها فلم يغلبها لأنه على وتيرة

(١) كذلك نلاحظ فى الإطار نفسه تكرار اسم أو فعل أو صفة أو ظرف أو مجموعة لفظية عدة مرات فى الفقرة الواحدة فى سعى منها إلى تحقيق الهدف المضمون والشكلى بأقل عدد من الكلمات، وإظهار براعة فنية فهذا النوع من التعبير الذى نلاحظه أيضاً على كثير من الناس فى أحاديثهم العادية. هنا كلمة «تدبير»، وبعدها «مرة واحدة» ثم «غلب» ثم «وصل» إلخ. (المترجم).

واحدة. وهذا هو «هاينتس» على العكس من عملها غالب.

ما يزال على «هاينتس» أن يصل إلى شيء في الحياة، قبل أن يكون له أن يفكر في أسرة مجرد التفكير. «بريجيته» تريد أن تصل إلى «هاينتس» الذي ينبغي أن يصل إلى شيء من أجلها ، لأنه له مستقبل. ومستقبل «هاينتس» في مجال الكهرباء الذي يعمل هو فيه. ومستقبل «بريجيته» في «هاينتس». المتخصصون المتمكنون بضاعة نادرة.

تقول «بريجيته» لـ «هاينتس» رباہ کم أحبک .

ويرد «هاينتس» وأنا كذلك أحس نفس الإحساس. أبوه سائق المسافات البعيدة يتحسس غضاريف فقرات عموده الفقري لأنه سائق مسافات بعيدة، وعمما قريب سيكون سائق مسافات بعيدة سابقاً، عندما لا تتصاع غضاريف الفقرات لمحاولته التحكم فيها. سائق المسافات البعيدة يعتقد أن «بريجيته» لا شيء وأنها لا تمتلك شيئاً. وهو يعتقد أن «هاينتس» سيصبح شيئاً وأنه الآن يملك شيئاً: ألا وهو الموهبة والمداومة والاجتهاد. لا تخيب رجاء أبك يا «هاينتس»! إنه يعتقد أن في مقدورك وأن لك أن تطالب بتطلعات.

أحسن شيء هو أن يبحث «هاينتس» عن امرأة لديها مال، لكي يستطيع عما قريب أن يستقل وأن يكون له محله الخاص. أما الوجوه الجميلة مثل وجه

«بريجيته» فكثيراً ما تضلل. فيهن يكمن التدهور المهني. أبوا "هاينتس" يريدان له الأفضل. و«بريجيته» يقيناً ليست هي: الأفضل.

«بريجيته» تقول: أنا أحبك جداً جداً. شعري اللامع البراق يدعم حبي. وما يدعم حبي أيضاً: مهنتك التي لها مستقبل. وما يدعم حبي علاوة على ذلك: أنا نفسي، أنا التي لا أملك شيئاً إطلاقاً.

والدا «هاينتس» يريدان أن ينظر «هاينتس» إلى ما هو أصيل، فما شعر «بريجيته» بأصيل. إنه مصبوغ. وما زال «هاينتس» أصغر سناً جداً من أن يستطيع أن يعرف ما هو أصيل، عندما يراه. معرفة الأصيل من اختصاص الوالدين اللذين شغلا به طوال عمرهما. الأب يشعر أن غضاريف فقراته لا بد أنها أصيلة جداً جداً، في مقدور هاينتس أن يطالب بمطالب قد تعلم من أجلها حرفته.

كذلك «بريجيته» تحب جداً ما هو أصيل. تحب «هاينتس» الرجل الأصيل، مثلاً، ثم سجاجيد أصيلة ومجموعة مقاعد أصيلة وباراً منزلياً صغيراً.

وما يزال «هاينتس» يريد أن ينال من حياته نصيباً. وما يزال «هاينتس» يستطيع أن ينال من حياته نصيباً طالما أقام عند والديه ووفر نقوداً. وهو علاوة على ذلك ما يزال أصغر سناً جداً من أن يرتبط بالزواج مبكراً. «بريجيته» التي يلمع شعرها اليوم ويبرق مرة أخرى حتى إنه ليؤذي عيون الناظرين تحب «هاينتس»

جداً جداً إلى حد أن شيئاً فيها سيتحطم إذا رماها «هاينتس». تقول أحبك على طريقة محبيها المفضلين فى السينما والإذاعة والتليفزيون والأسطوانات. «هاينتس» يقول لا أعرف إن كان هذا يكفى لحياة كاملة، الرجل يريد أن ينعم بنساء كثيرات. الرجل مختلف.

تقول «بريجيته» وأنا أحبك لهذا السبب، لأنك رجل. أنت رجل يتعلم مهنة، وأنا امرأة لم تتعلم مهنة. ولا بد من أن تكفينا معاً مهنة واحدة. وستكفينا فى سهولة ويسر لأنها مهنة كبيرة، جميلة، جداً. تقول «بريجيته» لا ينبغى لك أبداً أن تتركنى، وإلا مت.

ويقول «هاينتس» الإنسان لا يموت بمثل هذه السرعة. كان الأحرى بك لهذا أن تعتمدى على رجل يكسب أقل مما سأكسب أنا يوماً ما.

إلا إننى أحبك بالذات لأنك تكسب أكثر من رجل يكسب أقل.

ثم إن «بريجيته» تحب «هاينتس» لأن هذا الإحساس كامن فيها ولا تستطيع أن تتصدى له. انتهينا.

شعرها مثل ثمار كستنة نفيسة ملمعة.

يقول «هاينتس» سأفكر فى ذلك حتى الغد. هكذا يفعل الناس فى الحياة الاقتصادية الحديثة التى أعرفها جيداً.

وتجيب «بريجيته» إننى أحبك جداً جداً. غدا هو
المستقبل، وأنا ليس لى مستقبل.

يقول «هاينتس» وأنا لست لك على أية حال.

وأنا لهذا السبب لا أتمنى أن أكون مثلك.

ويستمر مثال «پاولا» السيئ

وهذا هو مثال «پاولا» السيئ يزحف شيئاً فشيئاً بالتبادل مع مثال «بريجيته» الطيب.

عندما يكون الليل ما يزال مخيماً يزحف مثال «پاولا» شيئاً فشيئاً إلى البلدة المجاورة التي تكاد تكون قد أصبحت مدينة حيث يكون على الإنسان لهذا السبب أيضاً أن يتعلم مهنة يمكنها في بعض الظروف أن تغير حياة بأكملها، هي مهنة: الخياطة.

في البلدة المجاورة يتعلم الناس أيضاً أشياء لا ضرورة لها قد تؤدي بالإنسان إلى الطريق المعوج ألا وهي: الذهاب إلى السينما والمقهى.

وكثيراً ما حذر البعض «پاولا» منهما.

جميل جداً أن يجلس الإنسان في مقهى.

وكأن الإنسان قد أتى إلى الدنيا من أجل شيء جميل. بينما أتى الإنسان إلى الدنيا من أجل شيء لا

جمال فيه: حياة زائفة اسمها شغل البيت تلتصق
بالإنسان إذا أخطأ ودس يده فيها.

و«پاولا» تعمل فى المنزل من أجل أهلها الذين تدين
لهم بهذه الحياة الزائفة.

هل يدهشن أحدٌ عندما يجيش فى «پاولا» حنين؟
وفى الأتوبيس يركب علاوة على ذلك كثير من
الأطفال يذهبون إلى المدرسة، وكثير من النساء يذهبن
إلى الجزار وصانع السجق! أو إلى القرافة.

لا يركب رجل دون السبعين الأتوبيس، اللهم إلا إذا
كان مسجلاً فى سجل المرضى. ومن كان مريضاً
بصفة رسمية لا يجوز له ركوب الأتوبيس الذى يتيح
له نوعاً من المتعة، وكل لون من ألوان المتعة يبلغه
الوشاة فوراً إلى رئيس العمال. ولهذا السبب فكل
رجل تحت السبعين فى الأتوبيس يرتكب فيه عملاً
غير مشروع. ذلك لأن الرجال تحت السبعين فى
وضعهم القانونى السليم تقلهم سيارة جيب عالياً إلى
الغابة الكثيفة.

وربات البيوت فى الأتوبيس يعلنن «پاولا» بصوت
كورالى واحد أنها واحدة منهن.

و«پاولا» فى سرها تعتقد أنها فوق مستواهن.

ربات البيوت فى الأوتوبيس يكاشفن "پاولا"
صراحةً بأنها ليست شيئاً أحسن منهن.

وترد «پاولا» هناك فوق كل شىء الحب الذى هو

أحسن شيء. «پاولا» أحسن منهن لأنها ستال حياً فى صميم ذاتها عندما تجيء اللحظة المناسبة. «پاولا» بادئ ذى بدء أحسن منهن بسبب الخياطة، ثم إنها بعد ذلك ستسمو بالحب وتشرف. سيحل الحب محل الخياطة. وأنا فرحانة من الآن على حالى هذه.

«پاولا» تحكم قبضتها على حقيبتها الجلدية الصغيرة التى هى أحسن من شنط نظيراتها المصنوعة من البلاستيك. النساء الأخريات يحكمن قبضتهن على معرفتهن بالرجال وهى معرفة لم تؤتها «پاولا» بعد.

من الممكن أن يكون الرجال خنازير، ولكن العكس أيضاً صحيح. ما هو عكس خنزير؟

من أجل هذا يقوم الرجال طوال الأسبوع بأعمال شاقة. يوم السبت هو يوم القهر الكبير. يومئذ ترتعد القرية كلها من ضرب الركب والظهور ولمس الأكتاف.

«پاولا» ترتعد عندما تسمع هذا الكلام، سيكون الحال عندها مختلفاً تماماً. أفضل.

ويستطيع الإنسان بعد ذلك مباشرة أن يلحق جروحه مع شرب القهوة ومشاهدة التليفزيون. نعم، مشاهدة التليفزيون. برنامج بعد الظهر. عند مشاهدة فيلم كارتون هزلى لا يفهم الإنسان إلا نصفه لأنه سريع الحركة، ينسى كل ألم أسفل البطن ما وخر.

أما إذا أصر الألم فى أسفل البطن على أن يطل برأسه مثل الدودة التى تطل برأسها من التفاحة،

يكون الوقت قد فات، والمثل السائر القديم يقول وُلدت النساء للألم والرجال للعمل: شئ عض فى جسم الآخر واستقر فيه مخرباً كالدخيل الفندالى (١)، يعيش عليه ويتغذى منه، ويسمون ذلك التكافل المعيشى.

كذلك عاجلت نساء الأوتوبيس «پاولا» بمعلومة عن آلام الوضع الشافية. السبق كبير، ولكنه لا يستعصى على الاستعواض. أحاديث كثيرة تتردد من خلال الهواء العطن وتتاول الآلام عموماً، الآلام المرضية الناجمة عن جر الأحمال الثقيلة، العمليات الجراحية، الروماتزم، الفتق، اللومباجو، الكاتاراكت، أو السرطان. ومن بعدها يدور النقاش حول آلام الولادة الشافية، التى تجعل المرأة مرة بعد مرة أكثر قدرة. ويلحق بهذا النقاش فى الحال دون تمهيد الفرحة الكبيرة بالولادة التى تجر وراءها الفرحة الكبرى للنفاسة.

وتتعلم «پاولا» ضحية الحرف اليدوية: الخياطة. تستطيع الآن أن تخطى مريلة. شغلها بطيء، ولكنه مقبول. عملية التقلاب فى الأقمشة تُشعر «پاولا» بالبهجة. ولكن فى حالات كثيرة عندما تكون «پاولا» منهمكة فى خياطة صعبة معقدة، يدس الحب رأسه القبيح من خلال الأشياء. وحيث إن «پاولا» فى فترات الفسحة تلم بالمزيد من المعرفة بالحب، غالباً عن

(١) يضربون بالفندال Wandalen ، وهم أمة جرمانية قديمة، المثل فى الشراسة والعنف والتخريب. (المترجم)

طريق مجلات مصورة، فإنها أصبحت تعرف في أثناء العمل ما يجرى بين الرجال والنساء. وهى على أية حال أشياء جديدة ومختلفة عما سمعت من قبل طول عمرها. ما سمعته من قبل طول عمرها هو ما سمعته «پاولا» من أسرتها ومن صديقاتها. ماذا يمكن أن يتوقع الإنسان سماعه من هؤلاء السفلة! ولو تضامنت «پاولا» مع نساء أسرتها، المنحطات المسكينات، لا اعتراضها الجنون! ولهذا تفضل "پاولا" التضامن مع أفضل صديقاتها. مع «أوشى جلاس» أو مع صديقتها المفضلة التالية، الحسناء الشقراء زوجة مفنى الأغنيات الرائجة الجميل الأسود (الأسود الشعر).

فى فترات الفسحة تمتص «پاولا» الحب حتى تمتلئ حباً، وفى أثناء العمل تتقيأ كل شىء. لا بد أولاً وقبل كل شىء آخر أن يكون الحب نظيفاً وحسياً. وهذا ما يضايق «پاولا»، كشوكة فى العين كما يقولون. كيف يمكن أن ينمو الحب ويترعرع فى محيطها المنافى للنظافة وللحسية، نعم كيف؟

ما الذى ينشأ فى داخل إنسان ما عندما يتصور شيئاً لا وجود له فى واقعه؟ إجابة صحيحة: تنشأ أحلام قوامها هذه التوليفة السيئة.

«پاولا» تحلم مثل كل النساء بالحب.

كل النساء، وكذلك «پاولا»، يحلمن بالحب.

الكثيرات من صديقاتها القديمات فى المدرسة، والكثيرات من زميلاتنا الحاليات فى العمل، يحلمن به

كذلك، إلا أن كل واحدة منهن تؤمن إيماناً راسخاً أنها هي وحدها التي ستعالج هذا الحب بالذات.

في أثناء قيام البائعة بالبيع، في مهنة النجوم، يجد الحب مائة مرة في اليوم الفرصة والحظ للدخول. ولكن المحل لا يدخله على الدوام سوى ربوات بيوت مع أطفال، ولا يدخله الحب أبداً. وربوات البيوت الداخلات اللاتي عرفن الحب فيما مضى من زمن بعيد، يشفقن على البائعات ويحتقرنهن لأنهن يضطرون للبيع، وليست أجملهن هن اللاتي يتبعن الحب، بل الأطفال ومصاريف البيت التي تأتي من الرجل وتعود جلها إليه، يستطعن أن ينعمن بالحب. النساء المصونات يحتقرن غير المصونات.

والبائعات يكرهن في المقابل ربوات البيوت لأنهن خرجن من كل شيء، بينما هن لا يزلن في داخل صراع التنافس الحاد، ويضطرون أن يشترين بدلاً من الأثاث المدهون باللاكيه المزيد من الجوارب النايلون والبلوفترات والجونيللات الميني چيب. على اعتبار أنها بضائع استثمارية.

نعم ، إنها تذهب إلى المال!

هناك حركة كراهية عامة في البلدة تنتشر متزايدة من حولها وتنتقل كالعدوى إلى كل شيء ولا يوقفها عائق، النساء يكتشفن عدم وجود شيء مشترك بينهن، وأن ما بينهن ليس سوى أشياء متضادة اللاتي حصلن على شيء أحسن بناء على ميزات جسدية، يردن

الاحتفاظ به وإخفائه عن الآخرين، والأخريات يردن أخذه منهن أو أخذ شيء أحسن منه. هناك كراهية واحتقار.

ولقد وضع حجر أساس هذه الحركة من قبل في المدرسة. أن يخطر ببال «پاولا» أصلاً أن تقارن الحب بزهور وبراعم وحشائش وأعشاب، كل هذا يرجع إلى أيامها في المدرسة.

أن تربط «پاولا» الحب بالحسية فتلك نتيجة من نتائج المجالات التي أحبت قراءتها. ولقد سمعت «پاولا» كلمة جنسية ولكنها لم تفهما تماماً.

ألا يكون للحب إلا صلة بعمل ما، ذلك ما لا يحلو لأحد أن يقوله. و«پاولا» تعرف كل المعرفة كيف يلف الطفل باللفة وكيف يفدّي. ولكن «پاولا» لا تعرف كيف يتم منع الحمل.

و«پاولا» تعرف يقيناً عين المراد، ألا وهو الإحساس وحده.

وتنتظر «پاولا» أن يقع عليها الاختيار، وذلك هو عين المراد. عين المراد هو أن يختارها الرجل المناسب. و«پاولا» لم تتعلم قط أن تقوم هي ذاتها وحدها بالاختيار والتحديد. «پاولا» تعيش خبراتها بكل الأشياء في الصيففة السلبية، لا في الصيففة الإيجابية. أقصى ما عاشته «پاولا» من خبرة هو أنها يمكنها أن تقول لا. ولكن لا ينبغي أن يسرف الإنسان في قول لا، وإلا فإن الإنسان يكون ذات مرة قد أفرط في قول لا،

فتمر السعادة فى المستقبل عابرة ولا تدق جرس الباب بعد ذلك.

و«پاولا» تذهب أحياناً إلى حلبة الرقص عندما يقام حفل. أحياناً تجد «پاولا» رجلاً مخموراً من زوار حلبة الرقص يجرها مرة أخرى إلى الغابة، وهو شىء لا يصح أن يراه أحد، لأنه يؤدي إلى الحط من قيمتها فى السوق توأ إلى حضيض وضع لا قاع له.

ثم تجد «پاولا» الرجل يمد يده إلى صدرها، أو قد يمد يده على أسوأ الأحوال إلى موضع حساس

ولقد علموا «پاولا» تقييم الشخص الذى يمد يده هكذا هل هو شخص له مستقبل أم ليس له مستقبل.

هل هو شخص له مستقبل أم حيوان شغل؟

إذا كان حيوان شغل فلا يمكن أن يصبح بختاً لـ «پاولا» تعلم مخ «پاولا» أن يعمل فى هذه الحالات مثل الكومبيوتر. هذه هى النتيجة التى وصل إليها: متزوج وله طفلان.

يلى ذلك دفع إلى بعيد، سباب، صراخ، وأحياناً يتبعه ترنح المخمور المفرر ووقوعه أرضاً.

قد يتبع ذلك انبطاحه واستسلامه ونعاسه حتى يتلاشى أثر الكحول.

وأحياناً ينقلب المذكور أيضاً إلى شخص فظ غليظ شرس.

لا يكفى إذن أن يستسلم الإنسان للحب ببساطة دون تشغيل المخ عندما يقرع الحب الباب، بل لابد من أن يحسب الإنسان حساب الحياة القادمة التي تأتي أحياناً فيما بعد.

لابد من أن يحسب الإنسان حساب المستقبل الذي لايزال أمامه.

والمستقبل هو دائماً الآخر، إنه يأتي من الآخر. والمستقبل يتنزل على الإنسان مثل ضربة البرد. والحب إذا أتى أصلاً يلم بالإنسان كالجو العاصف. وهو فى أسوأ الأحوال لا يأتي مطلقاً. أما الخيانة فهي عمل على الإنسان أن يعمل بنفسه.

«پاولا» تشرع إذا فوراً فى التفكير، فى البرمجة، عندما يلمسها أحد. وكثيراً ما يملكها الغثيان فى هذه الأثناء على عكس البرنامج تماماً. فليحيا الغثيان! ولكنها تعود فتكبته توأ. عسى ألا يشتد بـ «پاولا» الحماس مرة فتكبت معه الحب على سبيل الخطأ!

فى وقت مبكر تعلمت «پاولا» أن تعتبر جسمها وما يحدث له كأنه شىء يجرى على شخص آخر لا عليها هى. على جسم يشبه أن يكون جسماً ثانوياً، «پاولا» ثانوية.

كل المادة الناجمة عن أحلام «پاولا»، كل الحنان من شأن جسم «پاولا» الرئيسى، والضرب الذى يأتي من الأب يصيب الجسم الثانوى. وعلى الأم التي لم تتعلم

قط أن تتخذ لنفسها جسماً ثانوياً، أن تتلقف كل شيء
بجسمها الرئيسي، ولهذا استهلك وذوى.

على الإنسان أن يعرف كيف يساعد نفسه. لا بد
من أن يستطيع أن يساعد نفسه على أى نحو. إذا لم
يكن للإنسان أن يأخذ لنفسه شيئاً، سوى العمل، إذا
كان الإنسان يؤخذ فقط دائماً ، فلا بد من أن يعرف
كيف يساعد نفسه.

عندما تتكلم النساء عن أزواجهن يقلن (بالألمانية)
(١) meiner MEINER . يقلن فقط meiner . ولا يزدن
عليها شيئاً، لا يقلن زوجى، بل يقلن meiner . ربما
عند الحديث إلى أجنبى يقلن: زوجى. أما عند
الحديث إلى أحد من الناس هنا يقلن: meiner .
تلاحظ «پاولا» ابتسامة الانتصار على شفتى أمها أو
أختيها عندما يقلن: meiner . إنها الفرصة الوحيدة
التي ترسم المقهورات على أفواههن ابتسامة انتصار.

إنها تتمنى أن تستطيع هى الأخرى ذات يوم أن تقول
عن أحدهم : meiner . و«پاولا» لا تقول أبداً عن الخياطة
التي تمارسها: عملى. و«پاولا» (لاتقول) عن عملها أبداً
meine . ولا تقول ذلك حتى بينها وبين نفسها، فى

داخلها. العمل شيء منفصل عن الإنسان، العمل هو
فى أكثره واجب وهو لهذا يجرى فى الجسم الثانوى.

(١) شكل من ضمير الملكية ، ليس له مقابل فى العربية، ومعناه
: الذي لي. له مقابل تقريبي فى الفرنسية le mien والإنجليزية
mine إلخ (المترجم).

أما الحب فهو بهجة، ارتياح، ولهذا يحدث فى الجسم الرئيسى.

والعمل، حتى عندما يحب الإنسان أداءه، عناء يعانیه الإنسان. ولقد تعلمت "پاولا"، على الرغم من كل حبها للخياطة، أن العمل شيء مزعج يصد الحب، لا يجلبه.

فى دماغ «پاولا» لن يستطيع أن يقيم النظام إلا آلة خلط الخرسانة. فى كل الحب الجسدى وفى كل الحب العقلى لمثلات السينما ومغنى الأغانى الرائجة ونجوم التليفزيون.

«پاولا» تتلقى فقط، ولا تستوعب. مثل قطعة إسفنج لا تُعصر لتُفريغها. قطعة إسفنج امتلأت بالكامل، يتسرب منها كل الزائد على نحو أكثره من شأن المصادفة. ما سبيل «پاولا» يا ترى إلى أن تتعلم شيئاً؟»

عن طريق التعرض للضرر طبعاً.
فمن خلاله يتعلم الإنسان الفطنة.

Twitter: @ketab_n

كذلك تشمئز «بريجيته» من «هاينتس»!

كذلك «بريجيته» تشمئز من «هايتس» (١)

كذلك "بريجيته تشمئز من «هاينتس» ومن جسمه الأبيض السمين، جسم الكهربائي، الذي اسمه أيضاً «هاينتس». وعلى الرغم من ذلك فهي أيضاً فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، مية من الفرح، لأنها نالته، فهو مستقبلاً.

هل لکن مستقبل؟ كَوْنُ جملةً كاملة: مستقبلی اسمه «إدى». ويكون على «بريجيته» أن تخرج وحدها أحاسيسها مستعينة بقوتها العضلية. دون الاستعانة بمعين تقنى.

لا غرابة في أن المطلوب منها فوق طاقتها.

«هاينتس» يستخدم قوته العضلية ليبنى لنفسه مهنة.

(١) التكرار مع تغيير مكان الفعل تقديمًا وتأخيرًا في الأصل (الترجم).

«هاينتس» لديه أيضاً ذكاء، وهو عنصر يضاف أيضاً إلى قوته العضلية.

«بريجيته» لا تعوّل على قوتها العضلية لكي تستطيع بها بناء مهنة لنفسها، «بريجيته» تستطيع الحب فقط ولا شيء غيره.

ذات يوم تأتي أخت «هاينتس» للزيارة ومعها رضيعتها وطفلها الصغير. «بريجيته» تحمل حملاً ثقيلاً من فجاجين وأطباق الجاتوه وما يتبعها من جاتوه، وتتعثّر بها هنا وهناك. أم «هاينتس»^(١) تود أن تخفى «بريجيته» عن الناس، ربما في حوض زهور الهورتسيا^(٢) الكثيفة؛ لأنها لا عمل لها إلا أن تخط على خط إنتاج السوتيانات، على الأقل ٤٠ قطعة هي أقل عدد في الإنتاج المفروض إنجازه. «بريجيته» تريد بأى ثمن أن تنتمى إلى هذا الذى يجرى هنا الآن، تريد أن ترسخ مستقبلها من الآن فى الحاضر، ترسيخاً لا يستطيع أحد أن ينتزعه منها.

أم «هاينتس» بطبيعتها طيبة القلب، إلا أنها ترى مستقبل «هاينتس» فى «هاينتس» وحده، فى «هاينتس»

(١) تصنع يلينك من كلمتى أم و هاينتس كلمة واحدة مركبة هي heinzmutter ممكّة فى اللغة الألمانية ولكنها غير مألوفة إلا للتعبير عن معنى الالتخام والتحول إلى كائن له اسم خاص. (المترجم).

(٢) الهورتسيا نبات منتشر فى بلاد كثيرة منها النمسا وألمانيا، موجود فى مصر أيضاً، له زهور بيضاء وحمراء وزرقاء تزدهم حول ما يشبه العناقيد، وهو نبات كثيف يمكن أن يتوارى الأولاد فيه أو يخفى فيه البعض أشياء صغيرة وكبيرة. (المترجم).

وفى البيت المأمول والذي سيتمكن من بنائه من أجل
 ماما وبابا، و أخيراً وليس آخراً من أجل نفسه، يموله
 وحده من عائد محل مقاولاته الصغير. يريد وسيكون.
 أم «هاينتس» ترى هذا كله الآن أمامها كالسراب،
 مستقبلاً صبوراً تحمل الكثير حتى الآن قبل أن يوجد
 أصلاً، مستقبلاً يمتد البيت الصغير فوق ظهره. آه يا
 أولاد! كم سيكون ذلك جميلاً والأم لا ترى فى أى
 موضع من البيت مكاناً لـ «بريجيته»، ولا حتى فى
 المطبخ، مكان «بريجيته» هو خط الإنتاج، ثم خط
 الإنتاج، ثم خط الإنتاج مرة أخرى، تكدست عليه
 دانتيللا سوتيانا وإسفنج صناعى وستريتش، بيت
 «بريجيته» هو الخياطة، وهو ما تعلمته.

لا بد أولاً من أن يتم تجهيز محل خاص، وهو ما
 يتلعب مالا كثيراً، وكثيراً ما جرى توفيره من أجره من
 قيادة (الوالد) سيارات نقل للمسافات البعيدة. كذلك
 كانت أم «هاينتس» لا شيء ولا أحد (١) فى وقت
 مضى قبل أن تصبح زوجة سائق سيارات نقل
 مسافات بعيدة، قبل سنوات وسنوات، بل قبل أن
 تصبح أما لمن يمكن أن يكون فى المستقبل مقاولاً. أى
 أنها تعرف هذا الوضع حق المعرفة.

(١) «لا شيء ولا أحد» تعبيرات متكررة عند يلينك فى تصوير المرأة
 التى لا كيان لها ولا وجود إلا من خلال رجل، أيا كان هذا
 الرجل، وهو يمثل عادة القهر والإذلال: مشكلة العلاقة بين المرأة
 والرجل، مشكلة الجنسين التى كثر الحديث عنها فى برامج
 حقوق الإنسان العالمية، وتناولها فلاسفة وعلماء متخصصات
 متعددة بالدراسة (المترجم).

هى نفسها على أية حال خارج الدائرة وعجوز.
الأب لا يزال فى داخل الدائرة ، فقد أصبح سائق
سيارات نقل للمسافات البعيدة. صحيح أن الغضاريف
ضاعت بلا رجعة، ولكن بابا لا يزال قادراً على أن
يرفع ابنه على كتفيه وأن يحمله، وأن يجلسه على
السرير وأن يدخله فى حياة الأعمال.

أم «هاينتس» تدفع «بريجيته» تحت مائدة القهوة،
تدسها فى درج الصحون، تضطر «بريجيته» أن
تعطيها كل شىء، الجاتوه الذى تحمله والكريم شانتى
والسكرية وإبريق القهوة. «بريجيته» ليس لها أن
تساعد.

ماما نفسها، شخصياً، الأم بشخصها تحمل كل
هذه الأشياء مع ابنتها المتزوجة أم الحفيدين. فى أثناء
تناول القهوة تتحدث النساء عن المنزل والأجهزة
المنزلية الخاصة به وعمّن يأتى بالنقود للإنفاق على
تدبير البيت وعن الأطفال. فى أثناء تناول القهوة
يتحدث الرجال عن كرة القدم، ثم عن كرة القدم،
والشغل، والنقود، وعن كرة القدم.

الرجال لا يتحدثون عن النساء، لأن هؤلاء النساء
موجودات هنا، سواء تحدثوا عنهن الآن أم لم
يتحدثوا.

أخت «هاينتس» المتزوجة تصور ما يعتمل فى نفس
الإنسان عندما يشعر إلى جواره بجسم طفل صغير
يتنفس، بشىءٍ صغير لا حيلة له، بهذه الحياة التى

تظل زمناً طويلاً في صيرورة ثم تصير الآن أخيراً حياة، هي هذا الرضيع. ومهما كان الرضيع من الصفر فقد جعل الأم في النهاية امرأة.

«بريجيته» تود أيضاً تبادل خبرات. ولكنها ليس لديها ما تقدمه للتبادل.

أخت «هاينتس» تحكى كيف تعمل الزوجة لكى تهب الزوج الحبيب طفلاً. وهاهو ذا الآن عنده أخيراً طفل. لقد تمت الهبة.

كانت حدثاً مثيراً للحماس.

«بريجيته» زحفت أخيراً خارجةً من دولاب المواعين الذى بحثت فيه عن مواعين، على الرغم من أنها لا شأن لها به، أو كما يقولون ليس لها شيء بتاتاً تبحث عنه فيه، وانضمت إلى الجماعة التى ليس لها شيء تبحث عنه فيها. عند كل جملة تقولها أخت «هاينتس» تومئ «بريجيته» برأسها بصوت عال. وهى تذكر على سبيل المثال شيئاً ترى أنه لا يزال جميلاً الآن وهو أن تشتري لنفسها من أجل «هاينتس» فساتين أنيقة، لكى تعجبه، ولكن كم سيكون جميلاً بحق يوماً ما، عندما لا يكون عليها أن تشتري فساتين أنيقة لأنها ستكون قد أصبحت أمّاً. عندما تكون هبة طفل أو عدد من الأطفال قد تحققت. سيكون الطفل الصغير نتيجة حبها الكبير.

وأبدت الأخيران اعتراضاً غاضباً، وكانتا لتوهما قد تحدثتا حديثاً إيجابياً عن الأطفال ووضعهم.

وتذكر «بريجيته» أن كائناً صغيراً إلى هذا الحد سيجعلها أمأ ، أمأ ، أمأ ، وأن «هاينتس» لا يعرف كيف يتعامل مع الأطفال الصغار لأنه رجل، وأنها هي تستطيع أن تتعامل كثيراً مع الأطفال الصغار لأنها امرأة. «هاينتس» سيحب الطفل الصغير فيما بعد، أما «بريجيته» فستستطيع أن تحب الطفل الصغير توأ وفي الحال.

«هاينتس» لا يزال يهتم اهتماماً متزايداً بالمتعة والمنفعة.

أم هاينتس لا تزال تهتم اهتماماً متزايداً بتوسيع بناء البيت حتى يصبح هناك في النهاية مكان راحة (١) لفضاريف فقرات (الأب) التي حُطمت. يقرر «هاينتس» في سره أن موضع الراحة المناسب للأب هو دار للمسنين بعد أن يتم تحويل المال الذي وفره أبوه إلى خلطات أسمنتية يدخلها في البناء. لا بد أولاً من تحويل المال الذي وفرته حياة فانية إلى خرسانة باقية. «بريجيته» على كل حال توافق على «هاينتس» وعلى ما يوافق عليه «هاينتس». لن يصلأ أبداً هكذا إلى غصن أخضرهما يريدان أن يصلأ إليه.

في الحديقة أغصان خضراء كثيرة جداً يتدلى منها حتى فاكهة. وفي الحديقة أيضاً زهور للقطف، ينبغى قطفها طالما كانت يانعة.

(١) تستخدم الكلمة الألمانية في الدلالة على القبر، وهو ما تلمح إليه الأدبية. (المترجم)

فى هذه المسائل أبو «هاينتس» حُجَّة.

الواقع أن «بريجيَّته» تسمئز من الأطفال الرضع. والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسّر عظيمات أصابعهم الرقيقة، وأن تخز فى أصابع أقدامهم الصغيرة الضعيفة شظايا الخيزران وأن تدس فى حنك الطفل الصغير القادم الجديد وقد أصبح الشخص الرئيسى خرقه قذرة بدلاً من البزازه المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ الحقيقى.

ليت الحاضرات يستطن استشفاف ما جرى فى داخل «بريجيَّته» من تحول إلى لائنسان.

عابراً يتبول الرضيع ابن أخت «هاينتس» بقوة فوق دماغ «بريجيَّته» المسكينة، فى قلب صبغة الشعر الطازجة، وفى صميم البرماننت الذى يلف الشعر لفات دائمة، وهو ما تسبب فى موجة جديدة من الضحك. «بريجيَّته» التى انحنى لتلتقط ملعقة مفضضة من الأرض تنهض وأصابعها تنقبض تلقائياً على هيئة مخالب الطيور الجارحة، وهى الأصابع التى يتحتم عليها بحكم العادة أن تكافح للحصول على كل شىء.

لا تستطيع «بريجيَّته» أن تحتمل مثل هذا الإذلال أمام كل الناس. وكثيراً ما يتحطم إنسان مثل «بريجيَّته» عندما يتعرض لمثل هذه الأشياء الصغيرة.

ولقد جرت أشياء كبيرة كثيرة ، لم تحطم
«بريجيته».

الجميع يضحكون من مزاح الطفل الصغير، حتى
والد «هاينتس» الذي لا يكاد يكون قد بقى له ما
يضحك منه. حتى الفضايف تشارك اليوم في
الضحك. وثمره الحب تضحك أكثر من الآخرين.
كذلك الحب الذي هو في بيته في العالم الصغير،
يشارك في الضحك. وعالم «بريجيته» هو عالم
الحب الصغير. وهي تصفق للطفل الصغير عابراً.
ثمرة شاطرة!

أم «هاينتس» تُطْفَشُ «بريجيته» إلى المطبخ مرة
أخرى. أتقصنا هذه المصيبة. أن تريد الشفالة أن
تكون لها هي أيضاً ثمرة كهذه، وربما تكون أيضاً من
«هاينتس» ابننا!

من البعد تأتي تحية على سبيل التهديد من دار
المسنين، التي لم يرد ذكرها من قبل قط، والتي لها
وجود على الرغم من ذلك.

في اللحظة المناسبة ستظهر.

مستقبلنا نحن الذين نصنعه لأنفسنا بأنفسنا، هذا
ما تقوله أم «هاينتس». وهو إذن لهذا السبب ملكٌ
لنا، لنا نحن فقط. هي إذن تصنع مستقبلها الخاص
بها. مستقبلنا يصنعه «هاينتس» ، الابن. مستقبلنا،
مستقبله، وليس مستقبلاً آخرًا.

لماذا تريد «بريجيته» عن تصميم عنيد أن تتال كل هذا، بل تتال الأكثر، ألا وهو ابننا؟

لماذا لا ترضى «بريجيته» أصلاً بما لديها، أى بلا شيء؟

هناك أناس آخرون ليس لديهم شيء هم أيضاً، ولكنهم راضون.

عندما يكون الإنسان راضياً، يتاح له إذ ذاك شيء حتى من اللاشيء.

لماذا لا تستطيع «بريجيته» أن ترضى باللاشيء الذى لديها؟

ثمة رضيع يعبث برجليه فى شعر «بريجيته» الذى يشبه الصوف.

الرضيع يخز بأصابع الرضيع عينى «بريجيته» وأذنيها وأنفها ويعبث بها.

الجميع يضحكون بصوت عال، حتى الأب المتجهم و«هاينتس» الطموح.

الأم (١) يضحك معهم، على الرغم من أنه فقد شيئاً.

المستقبل لا يمكن أن يضحك لأنه لم يأت بعد.

الحاضر لا يضحك لأنه أثقل من أن يضحك.

(١) تونى يلينك العديد من المسميات المطلقة : الحياة، المستقبل، الحاضر إلخ وتجملها تضحك أو لا تضحك وما إلى ذلك. (المترجم)

عمل «بريجيته» لا يضحك قط كحاله من قبل،
لأنه بعيد بعداً مَفرطاً.

ذلك أن اليوم يوم عيد للجميع!

«بريجيته» تصطنع بشاشة حيال البلية وتضحك
معهم من القلب. ثم تذهب لتفتسل.

أسنانها تصطك صاخبة من فرط الكراهية.

لا مفر نتيجة لكل هذه الكراهية من أن يصمت
أشد الحب تشبثاً بالبقاء.

إنه ينسحب مفروراً.

تحول «هاينتس» لتوّه من الحب إلى الواجب الجاد.

من المتعة إلى العمل.

«بريجيته» تعرف على أية حال أمور العمل أفضل.

أخت «هاينتس» تضحك بصوت أعلى من الجميع،
لأنها في أمان. لا يمكن أن يصيبها مكروه مستقبلاً،
فقد حققت المرام.

أم «هاينتس» تضحك بشيء من المعاناة، لأن
«بريجيته» حتى الآن لم تُخل الميدان للمستقبل
الأفضل لـ «هاينتس».

ولما كانت «بريجيته» ما تزال في الحلبه وتنوى
على ما يبدو أن تبقى فيها (١).

فإن السعد يضحك لهم جميعاً.

(١) جملة غير مكتملة على ما يبدو، وهذا النوع من الجمل المجتة
متكررة عند يلينك، وكأنها تترك للقارئ حرية الإكمال.
(المترجم).

ولكن ذات يوم

ولكن ذات يوم جاء هذا الذى يجعل من الإنسان إنساناً، جاء إلى «پاولا» أيضاً. ولقد انتظرناه طويلاً بما فيه الكفاية. فى هذا اليوم لاح لها فجأة كأنها لم تعش حقاً حتى هذا الحين.

والسبب: من قبل لم تكن الحياة إلا العمل، والبيت، وشغل البيت، والصدىقات، العمل، عمل فى البيت وعمل فى الخياطة (لم يبدأ إلا مؤخراً)، تلك إذا حياة زائفة أو ناقصة. ولكن هذا سيمحى الآن، فالحب موجود هنا، أخيراً جاء الحب، وأخيراً أصبحت «پاولا» الآن إنساناً.

العمل، والبيت، وشغل البيت، والصدىقات، العمل، العمل فى البيت والعمل فى الخياطة، كل ذلك لا يزال موجوداً، صحيح، ولكنه لا يسير من تلقاء ذاته، من يوم لیسوم، إنما هناك علاوة على ذلك الحب لا يزال

موجوداً، هيا هيا، أهم شيء في الحياة الإنسانية،
وأهم شيء الآن كذلك في حياة «پاولا».

«پاولا» نوت على ذلك نية صلبة كل الصلابة.

كذلك تريد أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح.
عليها أيضاً أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح،
وإلا رحل الحب توأ مرة أخرى، أو أبعده العمل،
والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، العمل في
البيت والعمل في الخياطة، فتقع في الخسارة دون ما
أمل في النجاة.

شغل البيت سيظل على أية حال باقياً على كاهلها.

«إيريش» هو أجمل واحد في القرية. صحيح أن
«إيريش» ولد لم يتزوج له ثلاثة أخوة كلهم من أب آخر
غير أبيه، وهو ما يخلق منطلقات سيئة، كما هو
معلوم، ولكنه جميل.

جميل جمال الصورة التي يضرب بها المثل في
الجمال، جميل مثل صورة شاب أسود الشعر أزرق
العينين، أن يُعشق.

و«إيريش» تتمناه كذلك أخريات.

وإذا لم يكن من المهم بالنسبة للرجل أن يكون
جميلاً - إذ الجمال شديد الأهمية بالنسبة للمرأة -
فجميل على أية حال أن يكون الرجل جميلاً (١).

(١) لاحظ تكرار كلمة جميل على غير المؤلف في اللغة الألمانية
المعاصرة. (المترجم).

و«إيريش» يمتهن مهنة معتبرة: فهو خشاب يقطع الشجر في الغابة. ولكن مهنة «إيريش» لا تسره على الرغم من أنها مهنة معتبرة، إلا أن الغابة تحتاج إلى رجال، ولهذا: هيا إلى الغابة يا «إيريش» بعد المدرسة الأولية مباشرة! و«إيريش» يحب أن يجعل الناس يحتاجون إلى عمله.

كل هذه الأشياء أصبحت فجأة عديمة الأهمية تماماً بالنسبة إلى «پاولا». لا يهمها إلا شيء واحد، هو أن الحب أخيراً قد جاء، وأنه لم يأت إلى خشاب قبيح، مكدود، سكير، نحيل، وضيع، حقير، بل جاء إلى خشاب جميل، مكدود، سكير، متين، وضيع، حقير (١)، كما أتى إليها. هذا ما يجعل الأمر كله شيئاً خاصاً. من المؤكد أن الحب في حد ذاته شيء خاص، ولكن كم يكون الحب بالضرورة شديد الخصوصية عندما تختار الظروف «إيريش» و«پاولا» للحب. ليس هناك سوى «إيريش» و«پاولا» مرة واحدة لا تتكرر بين آلاف، بل بين ملايين!

«پاولا» التي انتظرت هذا اليوم منذ سنين، بل منذ الأزل، ترجو الحب أن يتفضل توأ بالدخول، وتتفحه فنجاناً من القهوة الجيدة وتضع معه قطعة كبيرة من

(١) مجموعة من الصفات المصنوفة يتكرر أغلبها في الحالتين، الإيجابية والسلبية، وتختلف في صفتين، دلالة على هيمنة النسبية على الوصف، فالشاب على الرغم من جيبوه الكثيرة التي تعيب القبيح، جميل متين وهذه الطريقة من التعبير مميزة لأسلوب يلينك الذي يؤكد صعوبة التحديد الجامع المانع. (المترجم).

الجاتوه. وهذا هو «إيريش»، الذي كان بالنسبة إليها نموذج الرجولة كل الرجولة، يأتي قبل أن يكون الحب قد رمى رميته، لأن الرجال الآخرين الذين تعرفهم لا يمكن أن يعتبروا نماذج لأي شيء، إلا أن يكونوا على أقصى تقدير نماذج إدمان الكحول أو الضرب المبرح أو رائحة راتج الخشب، وفيما عدا ذلك لا يدخل «إيريش» قط إذا الحجرة المطبخ الصغيرة التي تسكنها (١). أما اليوم فيأتي «إيريش» نموذج الرجل الرجولي، ونموذج الإدمان الكحولي والضرب المبرح الذي تلقاه في ممارسة قطع الخشب منذ طفولته المبكرة من الأم والجدة وزوج الأم والزملاء في العمل، اليوم إذن يدخل «إيريش» الحجرة المطبخ. ومهما كانت من الصفر والتدني والبهذلة، فهي نظيفة كل النظافة، حتى ليستطيع الإنسان أن يأكل من فوق أرضيتها. «إيريش» لديه إخطارٌ عليه أن يبلغها إياه. خبر له أهمية قصوى بشأن رحلة الغد. أرسله به رئيس الرحلة. وهو يجد صعوبة في الكلام كما يجد صعوبة في كل ما عداه.

اجلس يا «إيريش»، «إيريش» يقول: مهما كان مطبخكم صغيراً رثاً عديماً هديماً، فهو يبدو كأنه جديد خرج لتوه من العلبه! أنت يا «پاولا» تساعدين أمك بشطارتك. أنت شاطرة!

(١) نمط ضيق فقير من أماكن السكني هو الغرفة التي تستخدم مطبخاً وحجرة معيشة في وقت واحد ويسمونه «الحجرة المطبخ» Wohnküche. (المترجم).

«پاولا» تتهلل بشراً لهذا المدح مثل ثور القيامة^(١)
المزدان بزينة الحرب.

«پاولا» عمرها في هذا الوقت ١٥ سنة بالضبط،
أما «إيريش» فعمره ٢٣ سنة. هذا معلومة مهمة، لأن
كل شيء قبل ذلك كان مختلفاً وسيكون كل شيء بعد
ذلك مختلفاً كل الاختلاف. لنحفظ هذا الوقت في
ذاكرتنا جيداً في هذا الوقت لا يجوز لـ «پاولا» أن
تبدأ في التفكير في الزواج^(٢) لو فكرت «پاولا» في
الزواج لفرم أبوها لحمها عن عظمها. ولو فكر في
الزواج لانهالت عليه جدته وأمه وزوج أمه ضرباً حتى
تخرج روحه من بدنه. ومن الذي يقوم بعملك؟ من
يحش النجيلة ومن يطعم البهائم ومن يفرش التبن؟
من؟ ومن يجر المسقاة إلى الخنازير؟

والأم التي كانت دائماً تعمل خارج البيت، منذ أن
كان عمرها ١٤ سنة أي أصغر من «پاولا» بسنة، تعمل

(١) ثور القيامة Pfingstochse ، بمناسبة عيد القيامة المجيد في
يونية جرت عادة الفلاحين والرعاة قديماً في جنوب ألمانيا
والنمسا على الاحتفال بإطلاق ثور على المراعي اليانعة يزينونه
بزينة مبالغ فيه، وأصبح ثور القيامة يضرب مثلاً على الرجل
الفحل الذي يزهو بزينة فجة متكلفة، بالإضافة إلى الإسقاطات
التي تسبب إلى الثور القوة الخ (المترجم)

(٢) تفرض التقاليد الاجتماعية القاسية على البنات القيام بأعمال
الخدمة المفروضة وعدم التفكير في الزواج للتحلل من هذا
الالتزام الذي تنقله الأم إلى ابنتها، والأب إلى ابنه، وإن لم يكن
يعني في الواقع إلا الاستمرار في العمل في بيت آخر. وكانت
التقاليد الاجتماعية القاسية تفرض على الابن مثل ذلك مع
اختلاف في النوعية، وكان أي تفكير مبكر في الزواج يقابل من
الأسرة أو من يمثلها بالرفض والضرب العنيف. (المترجم).

خادمة، فى المدينة، البندر، وفى مدن أخرى، بنادر
أخرى، وهو ما نجم عنه أولادها الأربعة، كل واحد من
أب مختلف، وآلام فى مرفق الحوض، ونزلة شُعبية
مزمنة، وتقوس فى الظهر نتيجة مسح الأرضيات،
وتلبيس سِنَّين بالذهب، ووجه ناشف ممصوص قبيح
إلى درجة لا يكاد الإنسان يصدقها، وزوج شرعى هو
الوحيد الذى تزوجته رسمياً، وهو موظف سابق فى
السكك الحديدية أُحيل إلى المعاش، ومن هذا الرجل
بالذات لم تتجب أولاداً، ولهذا كانت عينه تراقبها أكثر
وهذا موضوع نتناوله بالحديث فيما بعد - وأصبحت
هى الأم تقوم بالخدمة داخل البيت الآن طول الوقت
بلا انقطاع بظهرها المقوس الذى زاد تقوساً وآلام
مرفق الحوض والنزلة الشُعبية الحادة التى
استفحلت أشد مما كانت، وفضلت الشغل القاسى فى
البيت على الشغل خارجه، من أجل الرجل الشاطر
المحال إلى المعاش والذى أصبح زوجها، وما كان
ليتزوجها أبداً بعيالها الأربعة، لو لم يكن نتيجة لمعاناته
من ربو مزمن خبيث بحاجة إلى من يرعاه، بحاجة إلى
هذه الأم التى قالت لـ «إيريش» بعد فترة من صمت
بليغ: أنت لا تستطيع أن تتال شيئاً، فإذا استطعت،
فليكن ما هو أفضل، يا «إيريش». اخرج (من القرية)
إلى المنطقة الواسعة المحيطة، كما خرجت أنا إليها
ذات مرة، وهذا هو ما ساعدنى جداً فى التقدم فى
حياتى، بالتحديد الوصول إلى موظف له معاش، وإذا
كان الطريق وعراً فى بعض الأحيان، ساقنى إلى رجال

منافقين من أهل السوء، حملت نتيجة علاقات سيئة بهم ، فاخرج أنت لهذا السبب بالذات من هنا واذهب إلى حيث تجد الأفضل، الذى يوحى به شكلك الظاهرى على أية حال، فأبوك كان إيطالياً، ستال بسهولة زوجة ثرية، بشكلك هذا بشعرك الأسود الأجنبى، فشكلك هذا أحسن من شكل أهل البلد هنا بشعرهم الأشقر الذى يشبه لون الخبز الكايزر والذى قد يغمق فيصبح داكناً قذراً، بشكلك هذا تحصل بسهولة على زوجة ذات مال، واحدة من النساء اللاتى كثيراً ما نسمع ونقرأ ونشاهد عنهن.

وسيعود علينا هذا نحن كذلك بالخير. والويل لك إذا لم يعد هذا علينا نحن كذلك بالخيرو!

لهذا لا تتزوج بتاتاً، فإذا اضطررت للزواج، فلا تتزوج من هنا، ابحث لك عن واحدة من مكان آخر، أفضل من هنا. وأنت فى نهاية المطاف رجل، وتستطيع أن تحافظ على نفسك. أنت فى نهاية المطاف رجل. احرص على شىء واحد، هو ألا تثمر علاقتك بامرأة طفلاً، فقد يكلفك ذلك مالاً كثيراً جداً، ومستقبلك، يا «إيريش». وإن لم يكن بد من هذا فلتكن امرأة ثرية، امرأة من المصطافات مثلاً. لهذا اخرج من هنا، إلى العالم الخارجى، ربما إلى البلاد الأجنبية، التى سمعت أنها هى كذلك موجودة، ورأيت الكثير من صورها الملونة الجميلة.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر التى يحتاج إليها فى مرضه بالربو الحاد، وإلا أصيب بنوبة

اختناق، ووقعنا نحن في المحذور. حذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر، فقد كان في السكك الحديدية، وهذه رتبة عالية أعلى بكثير مما يستطيع أحد من هنا، كائناً من كان، أن يدعيها لنفسه، وإلا مات بين يديّ وضاع منى. سأحمل إليه توأ قهوته، فيجدها جاهزة عنده عندما يستيقظ.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر^(١)، التي يحتاج إليها في مرضه بنزلة الربو الشعبية الحادة، لأنه كان يعمل في السكك الحديدية، ولأنه ضعيف جداً جداً، أضعف من أن يستطيع أن يضربك ضرباً مبرحاً، وأنا كذلك أضعف من أن أقوم بذلك.

صحيح أنك من سلالة أصيلة، فأنت أسمر البشرة يا «إيريش»، ولكنك لم تخترع ملح البارود. ولكن حذق على الرغم من ذلك فيما بعد مرة أخرى في صور البلاد الأجنبية، فلن يضرك ذلك، حتى وإن لم تكن تفهمها. ومهما كنت أصيلَ الجنس أسمرَ البشرة يا «إيريش» فما أقل ما في مخك.

بعد ذلك مباشرة لبس «إيريش» البلوفر الجديد الذي اشتراه من كاتالوج محل البيع بالبريد،

(١) تكرار الجملة ثلاث مرات يدل على معاناة الأم المطحونة (وهي من قبيل «المعذبون في الأرض» على حد تعبير طه حسين) وخوفها على الحد الأدنى من الحياة الذي وصلت إليه، وهو على قسوته أفضل من لاشيء، وهي تحاول أن تبرز الجانب المشرق في المحنة وهو أن الرجل المريض الهالك الذي أتت به إلى البيت كان يعمل في السكك الحديدية وهو شيء مرموق بالنسبة للطبقة المعدمة في القرية وهو يحصل على معاش يمثل دخلاً مضموناً. (المترجم).

والبنطلون البلوجينس الجديد من كاتالوج محل البيع بالبريد، والقميص الجديد الأبيض كالثلج من كاتالوج محل البيع بالبريد، وأخيراً أجمل شيء من كاتالوج محل البيع بالبريد: الجاكتة الصوفية المزركشة المصنوعة من الصوف الخالص. هكذا كان «إيريش» الطرد الحى الوارد من محل البيع بالبريد^(١).

وعندما يشعل «إيريش» ذو العينين السوداويين سيجارة، تبدو كأنما كانت دائماً أبداً فى وجهه، كأنما كانت تنتمى بدقة إليه، ولم تكن جسماً غريباً فى وجه (شخص من أهل القرية البيض) مرهق ملصق بالعرق ملئ بالتجاعيد الغائرة ومن فوقه شعر أدكن بلون الخبز الكايزر أو رمادى بلون الفئران، كالصورة التى ما أكثر ما يراها الإنسان الآن.

طالما كانت «پاولا» طفلة كان «إيريش» يعاملها معاملة الطفلة فحسب. وعلى «پاولا» الآن أن تبين له بوضوح أنها لم تعد طفلة، بل إنها أصبحت امرأة بمعنى الكلمة.

ولقد كنا فى وقت ما ذات مرة فى الموضع الذى قلنا فيه إن «إيريش» دخل حجرة مطبخ أهل «پاولا» بالسيجارة البيضاء فى الوجه الأسمر يعلوه الشعر الأسود والعينان السوداوان بلون الزفت، شئ شكله غريب وخطير مثل الفهد، أو قليل الشبه بالفهد.

(١) غالباً ما يدل الشراء من كاتالوج محلات البيع بالبريد على مستوى اجتماعي منخفض. (المترجم).

«پاولا» قرأت ذات مرة عن رجال معينين يبدوون أفي محيط مألوف مثل الفهد في دغل من الأدغال.

غريب وخطير ولطيف أمام العين والقلب.

وما كانت قط تصدق أنها هي ذاتها ستلقى في حجرة مطبخها المألوفة ذات مرة رجلاً يبدو فيها مثل فهد خطير في دغل خطير. ولو أمكن أن يكون أحد هكذا، فهو «إيريش»، الفهد. وهذه هي «پاولا» تبحث آنئذ في المجلة عن الفقرة التي فيها الفهد، وهامى ذى موجودة!

ولقد تعلمت «پاولا» كذلك لغة إنجليزية. وكانت أحسن واحدة في اللغة الإنجليزية وفي الحساب. وكانت كذلك جيدة في المواد الأخرى. ولكن هذا لا يفيد الآن في شيء.

«إيريش» لم يتم المدرسة إلى نهايتها، وهو ما لا تأثير له. والسبب أنه مثل حيوان مفترس جميل: فهد. «پاولا» تعرف أن «إيريش» كل شيء. ولهذا عليها هي نفسها أن تصبح أكثر بكثير، وإلا سبقتها من هي أكثر أو من هي أكثر كثيراً جداً. ولكن كيف؟ ولكن كيف؟

«پاولا» اللاشئ تنطلق حولها مثل الصاروخ، على خط متعرج زجاجى، تعد قهوة، وتحضر جاتوه جوجلهوف (١) كان أصلاً مخصصاً بحساب دقيق

(١) Guglhupf نوع من الجاتوه المعروف في النمسا وسويسرا وجنوب ألمانيا يصنع في قالب دائري (المترجم).

لبابا و«جيرالد» وحدهما ولهذا كان مخبئاً حتى لا تمتد إليه أيدي آخرين. وستتهال على «پاولا» الهجمة الكبرى من قذائف الرجلين اللذين تتملكتهما الخيبة لضياح الجاتوه قبل انتهاء اليوم، ولكن الجاتوه سيكون قد استقر في بطن «إيريش». وتحوم «پاولا» بحركة مجنونة متدافعة كالنحلة هنا وهناك. ويحاول «إيريش» بطريقته البطيئة المتثاقلة أن يشرح أن «پاولا» قد أصبحت ربة بيت حقيقية صغيرة.

وكانت «پاولا» ذات مرة قد فضلت الخياطة على شغل البيت الأسوأ. وهاهى ذى تنفش ريشها فجأة كحمامة برية، وتهدل هنا وهناك، وتنفش ريشها، وتتزين، وتسبل جفنيها وتحمل كل ما تصل إليه يداها إلى «إيريش» الذى كان كل شىء ينفعه باستثناء إناء الماء المبارك.

و«إيريش» نهم أكول. يظل يأكل إلى أن يصاب بالإغماء. وليس هناك ما يهمله سوى الموتورات، وتحديداً تلك المركبة فى الدراجة البخارية الموييد، ومن قبلها الموتوسيكل. و«إيريش» يتحرق شوقاً إلى الحصول على رخصة القيادة لكى يكون له أن يهتم بموتورات أقوى، يوليها كل حبه الذى يخفيه فى سره، وتحديداً السيارات الرياضية إلخ. ولكنه رسب ثلاث مرات فى اختبار رخصة القيادة حتى الآن.

ومن الممكن أن تكون عائلته باتفاق الآراء قد قامت منذ صباه المبكر بطريقة منظومية بضرب مركز الموتورات فى مخه وتحطيمه تحطيماً لا إصلاح له.

لن يستطيع «إيريش» أبداً أن يسعد مرة أخرى
سعادة غير محدودة. ستظل سعادة «إيريش» إلى الأبد
محدودة.

أما «پاولا» فلن تنال السعادة مطلقاً.

«إيريش» لا يهتم إلا قليلاً بالسينما التي تهتم بها
«پاولا» جداً، لأن كل شيء يجرى فى السينما بسرعة
مفرطة.

وكذلك المصطافات يطرن من جديد بسرعة إلى
مكان بعيد غير مأمون.

المكان البعيد خطير، والمكان القريب أليف يستطيع
الإنسان أن يحبه بحق. لا يوجد فى المكان القريب من
«إيريش» شىء يمكنه أن يحبه. فى المكان القريب من
«إيريش» لا يوجد سوى «پاولا».

لو خيّر «إيريش» بين «پاولا» وبين الموتوسيكل
لاختار الموتوسيكل. حتى بالموتوسيكل لا يذهب
«إيريش» إلا إلى القرية المجاورة ولا يجاوزها إلى
مكان أبعد.

«پاولا» تفصل القشدة عن اللبن حتى تصبح كريمة
مضروبة، كريم شانتى. النساء فى عائلة «پاولا»
مشهورات بالنظافة. وليس هناك شىء إيجابى آخر
يذكر على سبيل التقرير عن النساء فى عائلة «پاولا»
من أجل هذه السمة تستحق الحياة أن تعاش، فلا
يزال إلى الآن من الممكن تحسينها: النظافة. هيا يا
«پاولا»، إلى التنظيف!

«إيريش» البطيء يجلس على الأريكة ويلتهم بشراهة وكأنه يأكل لثلاثة. كل شيء فى البيت مخصص لبابا فقط. ويحشر الجاتوه فى حلقة كفتى كاثوليكي يثبت المطران عقيدته، ويصب عليه قهوة وخمر الاشنبص (١) من الدُّرج السرى. «إيريش» البطيء يزداد ضخامة فوق الأريكة على سعتها ويمتد مجاوزاً حدود الأريكة مثل النبات الهايش، يلتهم ويلتهم ولا يفكر فى شيء آخر إلا فى موتوراته، فى دراجته البخارية التى تستطيع أن تسير بسرعة هائلة، وبخاصة عندما يكون قد عب شيئاً من خمر.

وهو لا يزال عاجزاً عن أن يفهم تركيب الموتور والدراجة البخارية لأن القطع مترابطة بعضها إلى البعض ترابطاً معقداً.

ومع ذلك يحلم «إيريش» بموتوسيكل أعظم سرعة، يحلم بالإحساس بقيادة الموتوسيكل، بسرعة انطلاقه، بموتور سوبر، ولكن عندما يحدث عطل صغير فى دراجته البخارية المنيلة بستين نيلا (٢)، يضطر إلى

(١) الاشنبص Schnaps نوع من الخمر المقطر البراندي الذى يحتوى على نسبة عالية من الكحول. (المترجم).

(٢) ليس من الضروري أسلوبياً استخدام كلمة براز ومرادفاتها المقرفة، وتؤدي المعنى على نحو قريب كلمات زفت وقطران ونيلا ومركباتها. والملاحظ أن كلمة Schei B = براز أو مايشبهه فى مستواه الدلالي تاتي كثيراً جداً فى كلام السوقة والمنفعلين والغاضبين، فى حين أن الدارجة المصرية قليلة ما تستخدمها وتستخدم بدلاً منها فى الظروف نفسها نيلا وزفت وقطران وهباب وقرف وعرة إلخ. (المترجم)

الذهاب حالاً إلى صديقه وهو خبير ، وهو يعمل كذلك فى قطع الخشب، ولكنه عبقرى فى قطع الخشب، فيصلح له العطل فى مقابل بضعة أقداح بيرة. تلك موهبة بائرة فى قطع الخشب.

وأحب أمنية إلى قلب «إيريش» أن يفك دراجته البخارية قطعة قطعة وأن يركبها من جديد فيجعل منها سيارة سباق.

«إيريش» يأكل جاتوه ويشعر بما يشعر به بابا يوم الأحد، «إيريش» يفكر فى دراجته البخارية التى يمتلكها، ودراجته البخارية التى سيمتلکها ذات مرة، لکی يستطيع عندئذ أن يفكر فى سيارة. وأن يفكر فى السيارة التى يفكر فيها لکی يستطيع ذات مرة فى وقت ما ذات مرة فى المستقبل أن يفكر فى سيارة رياضية (١) تلك السيارة التى يستطيع من الآن أن يقرأ عنها ويرى صورها كثيراً جداً.

هل أتى الحب اليوم إلى «پاولا» اليوم، على الرغم من ذلك، أم بالضبط بسبب ذلك؟ «پاولا» تقول للحب، تفضل اجلس ، ويتلقى الحب توأ قهوة باللبن. ولكن الحب لا يجلس طيئاً، بل يمسك «پاولا» بمخالبه، كيف تكون النهاية؟ ذلك سؤال وجهته «پاولا» إلى نفسها، أما «إيريش»، المجنون بالموتورات، فلم يوجهه إلى نفسه.

(١) المقصود بالسيارة الرياضية سيارة بمقعدين ومحرك قوى وسقف مفتوح. (المترجم)

أملى فى الحياة الأفضل، كان هذا أمل «پاولا» كما
تكرر من قبل كثيراً.

أملى بأسرع ما يمكن، إلى أبعد ما يمكن، كان هذا
أمل «إيريش»، وألا يتم ذلك يقيناً سيراً على الأقدام،
كان هذا أمل «إيريش».

Twitter: @ketab_n

كان مرة أخرى عناقاً جميلاً

نعم لقد كان مرة أخرى عناقاً جميلاً....، هذا هو رأى «هاينتس». يمسح على فمه، ويمشط شعره، وينظف حاجبيه وأذنه من الداخل وأنفه ويفسل يديه ويشرب قهوة الإفطار ويخرج من البيت ليمارس مهنته. وعلى التو عندما يخرج من البيت يدخل فى ضغط حياة المهنة، فى عالم الأسلاك المفعم بالأسرار الأسلاك التى لا تفهم منها «بريجيته» شيئاً.

فى هذه الأثناء تتبع «بريجيته» قدرها كامرأة الذى هو أخف وأبسط من القدر كرجل.

تفتح دولابها، وتخلع عنها الجونيللا والبلوفر وتلبس مريلة من القطن، ملونة ونظيفة وأنيقة ومهياة لتحسين جو العمل، وإدخال قليل من اللون فى رمادى وأسود الآلات الكئيب. تاتشأت لونية مرحة: أشعة شمس. بعد أن تحسن «بريجيته» جو العمل وتسوى فى أثناء ذلك حالتها هى، تدس قدميها فى الصندل

الصحة الطبى لكى تبقى القدم سليمة صحياً عند العمل ولا يعترىها المرض كما يعترى بعض الأقدام. لكن المرض لا يصيب «بريجيته» ، فهى تأخذ نفسها بالوقاية.

عندما يملك الإنسان معرفة بموضوعات علمية مثل الصحة، يستطيع أن يمنع الكثير، حتى الأمراض. كذلك كل زميلاتها يلبسن هذه الصنادل الصحية، فهن يفعلن شيئاً من أجل صحة أقدامهن. والصندل الخشبى محبوب فى هذه الدائرة.

وهاهو ذا عمل «بريجيته» على خط الإنتاج قد بدأ قبل أن تستطيع أن تنظر بوضوح. والعمل على خط الإنتاج يترك لـ «بريجيته» أنوثتها، ولأن المؤسسة نسائية موظفوها (العاملات) كلهم تقريباً نساء، فليس من الصعب الحفاظ على النظافة. العنصر المذكّر الوحيد قاصر على الوظائف العالية التى لا يراها الناس والتى لا يستطيع شاغلوها أن يفسدوا النظافة النسائية.

فى المؤسسات التى يغلب على القوة العاملة فيها الرجال يحدث أن يوجد على الأرض هنا أو هناك شئ قبيح دون أن يقوم أحد بمواجهته بعمل شئ على الفور. فى هذا المصنع لا يوجد على الأرض إلا أشياء جميلة، ربما قطعة دانتيللا أو خط بلون السلمون الوردى، وحتى هذه الأشياء تزال على الفور.

فى الحقيقة لا يوجد أى شىء قط على الأرض.
وحدث قبل هذا ولا حرج عن الموائد فى المقصفا هنا
أيضاً فى كل مكان ميزات النظافة: الموائد ذاتها
نظيفة جداً حتى إن الإنسان ليستطيع أن يتناول
طعامه من فوقها مباشرة (دون حاجة إلى صحون).
النساء والبنات يتنافسن، من تسبق إلى اكتشاف بقية
متسخة من تراب أو بقعة، فتتحاشى العاملات على
الفور البقعة أو يكن قد تحاشينها قبل أن تتشأ.

أحياناً تصل الحال إلى أن يصبح من الضرورى
إزالة بقعة قهوة من فوق قرصة مائدة من الفورمايكا،
فيحس الجميع بعد ذلك بالارتياح.

إذا حدث أن مر مصادفةً موظف قيادى لم يمر هنا
من قبل قط ، تكون البقعة قد لفظت أنفاس حياتها
القصيرة منذ حين.

كذلك سكرتيرة مكتب المدير إذا مرت هنا بطريقة
المصادفة لا يصح أن ترى بقعة لأنها تعرف البقع حق
المعرفة، ويبدو أنها لم تعمل أى بقع قط.

والسكرتيرات كثيراً ما يكون لهن هوايات. منها
الرحلات والرقص والتجول والسينما والأعمال
اليدوية.

والرجال الذين يعرفون الخياطات لا يهتمون
للأسف، علاوة على عملهم، إلا بكيف يستريحون من
الشفل. فليس لديهم هوايات. وكثيراً ما يكون لهم
هوايات رديئة لا يشركون معهم أسرهم فى ممارستها.

ولا يعرف أحد شيئاً عن الأشياء التي يهتم بها
رئيس المبيعات، والمدير ورئيس الدعاية والمدير الفني.

ولا أحد يعرف بالضبط ماذا يعملون. فالسادة
ليسوا من هنا.

على خط إنتاج السوتيانا لا يمكن إلا بصعوبة أيّ
صعوبة أن يكون للإنسان اهتمامات غريبة على خط
الإنتاج، لأن الإنسان لا يعرف أصلاً كنه الاهتمامات
الموجودة. إنه لا يعرف إلا أن شخصاً أو عدة أشخاص
لديهم اهتمام بأن يتحرك خط الإنتاج.

حتى إذا عرف الإنسان أن هناك شيئاً آخر له
وجود غير العمل والعمال الرجال، فلا بد بادئ ذي
بدء من أن يصل الإنسان إلى الفكرة القائلة بأن الآخر
الموجود يمكن أن يكون موجوداً من أجل أنا نفسي
وليس دائماً فقط من أجل الآخرين.

على أية حال فهمت «بريجيته» كواحدة من
القليلات أن هناك شيئاً يتجاوز العمل إلى حد
بعيد. عرفت «بريجيته» بالمصادفة أن هناك شيئاً
أكثر من مجرد العمل، أكثر بكثير، ألا وهو:
«هاينتس».

عرفت «بريجيته» بالمصادفة إذن أن هناك علاوة
على العمل الذي لا تريده، وعلاوة على الزميلات
اللاتي لا طاقة لها على احتمالهن، لأنها في الحقيقة
لم تعد واحدة منهن، ولا تستطيع إطلاقاً أن تحتملن

لأن هؤلاء الزميلات ما زلن قائمات على اعتبارها واحدة منهن، وهى لم تعد كذلك منذ زمن طويل، بفضل «هاينتس» الأفضل، بل الأفضل إطلاقاً، عرفت «بريجيته» بالمصادفة إذن أن هناك فى الحياة علاوة على العمل، والشغل وتغيير اللبس من أجل العمل، وإعداد القهوة، والعمل إلخ أيضاً الشخص الواحد، الوحيد، الذى سمم لها كل هذا تسميماً كاملاً شاملاً، وكرهها فيه، بطريق المصادفة عرفت «بريجيته» «هاينتس». «هاينتس» وما تلاه.

الأفضل - «هاينتس» - لا يمكن الإنسان أن يعرفه إلا مصادفة، عندما يكون فى موقف «بريجيته» التائه كلياً وجزئياً، يجلس إلى خط الإنتاج.

الأفضل - «هاينتس» - لا يمكن الإنسان أن يناله كذلك أيضاً إلا عن طريق مصادفة لا يصدقها العقل، عندما يكون فى موقف «بريجيته» التائه، يجلس إلى خط الإنتاج.

هل سترحم المصادفة «بريجيته»؟

بينما تحرك «بريجيته» أصابع قدميها فى الصندوق الصحى لكى تحافظ بنفسها عليها سليمة ونضرة من أجل «هاينتس»، تنظر دونها من علو يتخلله النسيم إلى العاملات فى الخياطة معها، وهى فى عقلها يفصلها عنهن بعداً لا يستطيع أحد تجاوزه: «بريجيته» سيدة الأعمال.

الأخريات اللاتي لا يرون الأعمال إلا من الداخل، ولا يرونها إذ ذاك إلا عندما يشترين أكل الأطفال لعيالهن أو سجقاً لا يتلف (١) من أجل أزواجهن (٢).

و«بريجيته» التي ستمتلك من خلال «هاينتس» محل الأشغال الكهربائية تعرف أن الملك يمكنه أن يرهق الإنسان، كما يمكنه أن يفرحه. على أية حال ستعرف «بريجيته» عندئذ من أجل من ستهلك نفسها في العمل، تحديداً من أجل نفسها و«هاينتس»، لا من أجل جمهرة سخيفة وغريبة ولا اسم لها كما هي الحال هنا.

الشيء الذي تملكه هو الشيء الذي تملكه. الملك ملك.

إلى هذا البعد النائي، إلى هذا البعد الجنوني يمكن أن تحلق أفكار «بريجيته» في بعض الظروف!

«هاينتس» يفكر في كل الأشياء الممكنة، ولكن أقل ما يفكر فيه هو «بريجيته».

«هاينتس» يفكر في نفس الأشياء التي تفكر فيها «بريجيته»، أي في محله الذي يكون ملكه.

(١) Dauerwurst نوع من السجق يصنع من اللحم النيئ والشحم والملح والتوابل ويعالج بالدخان والتجفيف ليقاوم التلف، ويفضله كثيرون ليس فقط لطعمه ولكن لميزاته الاقتصادية. (المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية Männer لا يمكن في كل الحالات تحديد المقصود بها: الأزواج أم الرجال. (المترجم).

«هاينتس» يأمل في ألا تكون للعلاقة بـ «بريجيته» عواقب. عندما يفكر «هاينتس» في «بريجيته»، فإنه لا يفكر فيها ذاتها، وإنما في العواقب الممكنة. «هاينتس» يزن «ب» (١) في مقابل عواقبها.

«بريجيته» تأمل في أنه لا بد من أن تكون للعلاقة بـ «هاينتس» عواقب.

لا بد من طفل! رضيع، دودة مقرزة بيضاء متشبثة. بالنسبة لـ «هاينتس» سيكون الكلام بسيطاً وموجزاً: طفلنا! من شأنه أن يجسم الرباط الدائم الذي تسعى إليه «ب».

«هاينتس» يسعى بكل الوسائل إلى منع أى رباط دائم. فى رأى «هاينتس» أن الطفل سيكون جلة ثقيلة تشل الساق، حجرة مانعة للحركة، صدادة ضخمة فى طريق تطوره الواعد فى اتجاه : مقاول.

«بريجيته» تريد أن تحمل وأن يبقى الحمل فى أحشائها.... «هاينتس» يلزم الهدوء.... وهو ليس أخف الناس وزناً....

ولدى «هاينتس» دائماً إجابة سريعة البديهة جاهزة. «ريجيته».... تفكر مرة أخرى فى مستقبلها. لعل المستقبل يلهى عن الحاضر المقرز.... (٢) الحب يتلاشى ، ولكن الحياة تبقى.

(١) اختصار «بريجيته». (المترجم)

(٢) الأربع نقط تدل على مواضع تصرف فى الترجمة (المترجم)

Twitter: @ketab_n

الحب وحده هو الذى يجعلنا نعيش !

لا ترى «پاولا»، كما نستنتج من هذه الكلمات المتعجلة التى تسبق حينها، فى الخياطة - التى هى الأفضل الأفضل - مجرد إمكانية للبقاء على الحياة، بل إن «پاولا» ترى الآن كذلك فى الحب إمكانية حياة. لاح لها كأن عليها أن تسابق الآخرين والأخريات عدوًا مسافة طويلة، مسافة تفص بالحفر العميقة، وكلهن يقعن فى الحفر ويضعن فيها كالكرات فى لعبة البلياردو: أخواتها ومعهن أولادهن والأصابع المقطعة، وأخوها الذى سيكون له قريباً أولاد وعنده الآن أصابع مقطعة، وأم «إيريش» التى لها الكثير من الأولاد، ومن العجيب فى حالتها أن بعض الأصابع لا تزال موجودة، كلهم يقعون فى الحفر ويتلاشون من المشهد الذى يجرى فى الواقع.

أما هى «پاولا» فتتفادى الحفر بشجاعة! والعاقبة فى نهاية الطريق هى الارتقاء فى ذراعى «إيريش» وهى دقات أجراس الفرحة من ناقوس الكنيسة.

نهاية الخياطة، بداية أكثر الحياة واقعية، حياة بالغة الواقعية ليس هناك واقعية تفوقها. ليس هناك إلى حين ما يدعو الإنسان للتفكير في الموت؛ لأن الموت أمامه وقت طويل حتى يأتي، إذا كانت الحياة صحيحة وواقعية. أما إذا عاش الإنسان حياة غير صحيحة وغير واقعية مثل ماما أو بابا اللذين يُولدان فقط ويشرعان في العمل الشاق لا أكثر، وما يلبثان أن يموتا دون أن يحسا بواقع الحياة الواقعية، إلا عندما يعيش الإنسان هذه الحياة غير الواقعية وغير الصحيحة، حياة العمل التي لا يفنم منها الإنسان شيئاً، ثم يموت الإنسان ميتةً واقعيةً ودائمة الأثر. ويحدث ذلك في بعض الأحيان بسرعة هائلة حتى إن الإنسان ليظن في النهاية، أن شيئاً لم يكن.

وهذه «پاولا» تعتبر الخياطة فجأة عدوتها الطبيعية. ومن حسن الحظ أنها لم تدخل معها بعد في علاقة متينة لا انفصام لها تضطرها إلى أن تظل لصيقة بها. ومن حسن الحظ أن الخياطة شيء يستطيع الإنسان في أي وقت أن يرميه وراء ظهره ويتخلص منه. ومن حسن الحظ أن الخياطة لا تمسك الإنسان من رقبته ولا تعلق بموضع آخر منه دون ما فكاك، كما يفعل أناس لا بصيرة لديهم أحياناً، وكما تود «پاولا» أن تفعل مع «إيريش». من حسن الحظ أن الخياطة ليست كل شيء، بل الحب والبيت الخاص الذي على الإنسان أن يبنيه.

«پاولا» تريد «إيريش» الذي ستناله، والذي ستتجيب له طفلته، وفي أعقاب ذلك ستترك مهنتها لكي تتجيب أطفالاً آخرين من «إيريش»، أى تتجيب لـ «إيريش» طفلاً آخر.

و«پاولا» لا تتال شيئاً هدية.

قبل أن تتال «پاولا» شيئاً هدية، تفقد على الأرجح كل شيء.

وستحصل «پاولا» بعد ذلك أيضاً على سيارة، وفي مقابل ذلك سيحصل «إيريش» على «پاولا»، وليس هذا بالكثير، ولكن لا ينبغي أن يعرف «إيريش» ذلك، بل المستهدف أن يعتقد أن ذلك هو أكثر ما يستطيع الحصول عليه.

ولابد بداهة من أن يغير الإنسان «إيريش» قليلاً، إلى أن يستطيع الحظ أن يأتي وأن يدخل دخوله المهيّب: على «إيريش» أن يكف عن شرب الكحول كلية؛ لأن شرب الكحول أسوأ شيء^(١)، فهو يمس شخصياً أثاث المطبخ المطلق باللاكيه الأبيض وأثاث حجرة النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئان متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيين. وكذلك الكحول والمرابيل التي صنعت على هيئة فساتين نظيفة معتنى بها،

(١) فى أكثر من موضع توجه بليتك نقداً عنيفاً لشرب الخمر واعتيادها وإدمانها. وهى هنا تصف جانباً من مساوئ إدمان الخمر من منظور امرأة بسيطة، مفرمة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيع كل شيء. (الترجم).

والتي لا يصح أن يتقيأ عليها أحد، والأحذية البيضاء التي تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعي وماهى من الجلد الطبيعي ولكن لا يصح على الرغم من ذلك أن يتقيأ عليها أحد، والأطفال البنات لابسات الفساتين الملونة، والنباتات فى الأصص، والتليفزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا فى ناحية والكحول فى ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة فى ناحية والكحول فى ناحية، والمنسوجات التي لا تكون فى ناحية والكحول فى ناحية، هذه كلها أعداء فى الطبيعة التي تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تنسجم معاً فى رأس «پاولا»، أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج ويهدم.

ولا يحق للإنسان أن ينسيه المستقبل التفكير فى الحاضر. وإنما يجوز بطبيعة الحال (وهذا خطأ جسيم!) ألا يجعل الحاضر الإنسان يغفل عن المستقبل تماماً.

لم يعد حاضر «پاولا» هو الخياطة، بل حاضر «پاولا» هو حبها لـ «إيريش» الذى سيكفى علاوة على ذلك المستقبل كله.

ولما كان الحب إذن هو الحياة الواقعية، فلا بد من أن تتغير حياة «پاولا» الحاضرة غير الواقعية بحيث تصبح واقعية ومليئة بالحب. ويتم التنفيذ على النحو التالى:

أنت رأيت، يا «إيريش»، مراراً في السينما أن من الممكن أن تنشأ بين أشخاص غير عاديين أشياء غير عادية من قبيل حب غير عادى على سبيل المثال. وما علينا إذن إلا أن نكون غير عاديين وأن ننظر ما سيحدث. والعاديون هم من الناحية المقابلة من ليس لديهم ما يفعلونه إلا أن يعملوا ويعملوا. غير العاديين هم نحن الذين ليس لدينا ما نفعله إلا أن نعمل ونعمل، ولكننا أيضاً نحب بعضنا بعضاً. لم يعد علينا أن نبحث عن شيء غير عادى؛ لأنه لدينا من قبل، ألا وهو: حبنا.

والحب لا يأتى أحياناً إلا مرة واحدة فقط فى الحياة. فإذا لم يقبض الإنسان عليه بكلتى يديه، أصابه نكد شديد، مثلاً عندما ترحل المرأة العاشقة أو الرجل العاشق إلى بلاد غريبة يتوه فيها. الحب هو استثناء مما جربه الإنسان وناله فى العمل أو البيت. ليس لدينا شيء غير ذلك.

أما الحب فهو لدينا. فتشبث إذا بالسعادة!

فى هذه اللحظة، كما فى كثير من اللحظات قبلها، يفكر «إيريش» فى غطاء الاسبراتير والكريراتير والشكمان تلك القطع التى لا يستطيع على أية حال أن يفكها، ثم يفكر بعد ذلك مباشرة دون أدنى فسحة من وقت، على الرغم مما فى ذلك من جهد، فى ظاهر الشيء فى مجموعه: فى الكاروسيرى وعجلة القيادة والقيادة.

أما «پاولا» فهي تفكر لاثنين وتستمر مباشرة فيما يشبه الحلقات المتتالية، فلم تعد تفكر في الحب وفي هذا الذي يحدث في الجسم وبالتالي يغيره، وإنما في المسكن الجديد والأولاد ومائدة بعد الظهر بالقهوة والكريم شانتي من أجل الآخرين الذين يجب أن يريهم الإنسان شيئاً.

أحياناً (نادراً) يفكر «إيريش» كذلك في الكراسات المكتوبة كتابة معقدة عن الحرب العالمية الماضية. عن كثير من الأحداث التي وردت فيها ولم يعد العديد من الناس اليوم يعرفون عنها شيئاً. نَفَسُ التاريخ يلمس «إيريش». نادراً ما يفكر «إيريش» في نساء.

«إيريش» لا يفكر في «پاولا» أبداً، إلا إذا اضطر إلى ذلك؛ لأنها عندئذ تكون موجودة.

«پاولا» تفكر في ابنها الناعم كالمقطيفة. «پاولا» تفكر في غرفة بيضاء في مستشفى. «پاولا» تفكر في أسرتها القديمة التي لا تناسب حياة «پاولا» الجديدة وليس لها مكان مناسب فيها إلا على أقصى تقدير في غرفة بيضاء في مستشفى يأتون كزوار ويلبسون أحسن ملابس أيام الأحاد. وأجمل شيء تستطيع «پاولا» أن تفكر فيه هو كيف ستندم أسرتها على الضرب المبرح الذي انهالت به عليها في حياة أسوأ.

عندما ستكون الصور الفوتوغرافية قد تم تصويرها، ستفادر الأسرة حجرة المستشفى كما جاءت.

وكأنها رجل. وبعد ذلك مباشرة سيقدم «إيريش» ورداً أحمر لن يكون حلماً أو غثاءً، بل حلماً أصبح حقيقة. ومن الطبيعى أن يكون هناك حسد، وأنه سيهنأ (١).

وهناك إذن كما نرى اختلافاً كبيراً بين حاضر «پاولا» ومستقبل «پاولا»، وكذلك بين حاضر «إيريش» ومستقبل «إيريش»، وأيضاً بين حاضر «پاولا» وحاضر إيريش، وكذلك بين مستقبل «پاولا» ومستقبل «إيريش»، بل هناك اختلاف أكبر بين حاضر «پاولا» ومستقبل «إيريش» وبين حاضر «إيريش» ومستقبل «پاولا».

كيف يستطيع الإنسان أن يساوى - يوائم - بين هذه الأحداث ذات القيمة العالمية.

هنا يبدأ العمل الذى يكون على إنسان ما أن يؤديه، ثم يستولى عليه إنسان آخر ويمتلكه. وهنا يبدأ العمل الذى على الإنسان الآخر أن يؤديه ثم يستولى عليه الأول ويمتلكه. أما أن الاثنين يعملان فى نفس الوقت ثم يجنيان بعد ذلك منه الربح بالتساوى، فهذا شيء لا يؤخذ فى الاعتبار فى هذه الحالة. فالمواقف مختلفة أشد الاختلاف والأرباح والخسائر تتوزع بتفاوت أشد التفاوت، ذلك لأن «إيريش» قياساً على ميزاته البدنية وعلى جنسه محظوظ إلى أبعد

(١) الحسد سياتى للتهنئة. سبق أن نوهنا بطريقة الأنسنة أى جعل المفاهيم كالبشر تتحرك وتكلم. فليس الحساد هم الذين يأتون للتهنئة، بل الحسد على هيئة ناس. (المترجم).

الحدود. ويرجع ذلك إلى قوة «إيريش» البدنية ومظهره الذي تعجب به بخاصة النساء اللاتي يقعن عليهن الاختيار.

«إيريش» شيء^(١) مثل والد «پاولا» أو أخى «پاولا» أو زوج أخت «پاولا»، شيء يوزع الضربات المبرحة ويعب الكحول حتى السكر، وإن لم تتح له حتى الآن الفرصة إلا نادراً لأنه حتى الآن يُضرب ضرباً مبرحاً فحسب؛ أما عندما تتاح له عما قريب فرصة، أى تتاح له امرأة، وهو ما لا يعرفه بعد، (فسيمارس الضرب المبرح).

الضرب المبرح ممتع، وهذا ما لا يعرفه «إيريش» بعد.

«پاولا» على العكس. أما «پاولا» فعلى العكس عانت كل سلبيات شكلها وجنسها. و«پاولا» لا تُعتبر جميلة، وهى صفة لا بد أن تتصف بها المرأة، ولكنها تعتبر نظيفة مستظفة.

والنظافة والاستنظاف يمكنهما أن يرفعا قيمة الإنسان المرأة، ولكنهما لا يحدثان ذلك بالضرورة حتماً.

فى حين أن الخياطة لا ضرورة لها، ولا تتصل بالموضوع هنا، وليس لها أن تذكر قط، وهى على أية

(١) نلاحظ هنا تشيؤء أناس من البشر تسخر منهم يلينك لأنهم يقومون بأفعال وتصرفات تتنافى مع الإنسانية، وأبرزها عبء الخمر حتى السكر والضرب المبرح، وهيمنة الذكور على الإناث، واستغلال الضعاف أسوأ استغلال، ومن هنا تتحدث الأدبية عن هذا الشيء لا عن هذا الإنسان. (المترجم)

حال ستختفى وشيكاً فى هوة سحيقة، ولن يحسب لها بعد ذلك حساب، فى حين أن هذه الخياطة إذا تافهة كل التفاهة مقارنة بالحياة والحب فيها، بينما هذه الخياطة لا معنى لها أساساً، ولا يمكنها أن تحل محل رجل ، ولا أن تهين امرأة لزوج قادم، ولا تفيد امرأة ما بشيء إذا كان لها زوج، فلا تأتيها بزواج إذا هى احتاجت، فى حين أن الخياطة لا تجعل امرأة سعيدة ، وهو ما يحققه رجل فقط.

«پاولا» لن تكون لها عن طريق تعلم الخياطة قيمة. ولكنها عندما تكون دائماً نظيفة، تزيد قيمة، توشك أن تصبح جميلة، وهو ما لا بد منه لكى تعيش الحب. كان من الممكن أن تمتع الخياط «پاولا»، ولكن الواقع سمته الجد.

رجولة «إيريش» وجماله ومكسبه من حيث هو عامل خشاب فى مقابل أنوثة «پاولا» وقبحها، ولكن نظافتها. فى مقابل أجر الصبية المتدرجة الذى تحصل عليه. حب «إيريش» للموتورات السريعة من كل الأنواع فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للكحول فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» لمغامرات الحرب العالمية الثانية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للدراجات البخارية السريعة والسيارات الرياضية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش» ولبيت خاص. حب «إيريش» للسرعة فى مقابل حب «پاولا» للحياة ولـ «إيريش». وكلاهما شيء واحد بالنسبة لـ «پاولا».

Twitter: @ketab_n

في أثناء النزهة تمسك «بريجيته»

(في أثناء النزهة تمسك «بريجيته» يد «هاينتس» على نحو مفعم بالحب وعامد إلى الامتلاك. في كل دقيقة فراغ لا تنتمي مصادفةً إلى العمل، تحاول «بريجيته» متظاهرة علناً بالحب والهيام أن تمسك يد «هاينتس» وتضطر أحياناً أن تجرى بجانبه الساعات الطوال لكي تتال مرة فرصة أن يعطيها يده. عندئذ تمسكها مبسوطه كل البسط حتى إنها لا تطبع عليها قبلة.

ومسك اليد يكون قبل كل شيء آخر مهماً، عندما تكون نساء أخريات حاضرات يظهرن فجأة جامدات للخطر الذي تجسد واكتسى لهماً. بحياء تندس صغيرة متلصصة في يد «هاينتس» وتتحدث عن الجو أو وضع العالم أو عن الأكل أو عن الطبيعة.

«هاينتس» يتظاهر أحياناً مباشرة كأنما لم يكونا هو و«بريجيته» إنساناً واحداً، وإن كانا هكذا. ألا يرى

هؤلاء النساء أننا في الواقع واحد، أصبحنا واحداً، لا ننفصل، هذا ما تتساءل عنه «بريجيته» مدهوشة، عندما يعتبر نساء أخريات «هاينتس» جسماً خاصاً وروحاً خاصاً.

عندما يعتبر نساء أخريات «هاينتس» شيئاً لا يزال من الممكن الحصول عليه، على الرغم منه لم يعد من الممكن نيّله؛ لأن «بريجيته» قد حصلت عليه، فهؤلاء النساء على غير حق وهن ضالات. لكل ماله.

ووقت الفراغ إن خلا من «هاينتس» لا يمكن أن يكون وقت فراغ. والعمل بدون «هاينتس» يكون مليئاً بالأخطار لـ «هاينتس» و«بريجيته». والعمل بدون «هاينتس» عقبة في الطريق إلى «هاينتس».

لا نكاد نصدق كم يستطيع إنسان أن يكره إنساناً. لا تحتاج «بريجيته» إلا إلى أن تنظر إلى «هاينتس» فإذا هي تكرهه من جديد.

«بريجيته» تكره «هاينتس» لأسباب كثيرة منها أنه يصعد في داخله شعوراً جسدياً حياً «بريجيته» في الوقت الذي تود فيه «جيتي» (١) أن تتكلم على سجيته عن مشكلاتها النفسانية، التي تجر وراءها بيتاً صغيراً بحديقة. دائماً عندما تود أن تقلب ما في أعماق أعماقها إلى الخارج وأن تتقياً كل الكلام المألوف عن السعادة والمستقبل ورعاية الرضيع والفسالات الكهربائية، يتصرف «هاينتس» كما لم يكن له مخ، بل فقط.

(١) «جيتي» صيغة تدليل من «بريجيته». (المترجم)

ألن يرى «هاينتس» في «بريجيته» إلا مجرد جسد
وألن يرى كل التنوع الذي يكمن وراءه؟

لقد أجهدت «بريجيته» حروب وأزمات دولية لكي
توضح أن الإنسان يحتاج بالضرورة إلى إنسان آخر
يعينه بدوره على التغلب على كل هذا الذي يتعرض له.
و«بريجيته» تفكر، رباہ لکم أكره «هاينتس» لهذا
السبب.

«هاينتس» مسرور لأنه وجد في النهاية إنساناً
يقهره. ما يكاد «هاينتس» يلمح «بريجيته» حتى يتهيأ
ويأخذ وضع الاستعداد. وبينما «بريجيته» لا تزال
تشرح له أنها تحبه وأنها في الوقت نفسه تحس بشيء
من الاحترام حيال نجاحه في مهنته، وبينما
«بريجيته» لا تزال تهيم بأفكارها عن الحب والاحترام
إلى حفل القران وتجديد البيت، وقبل أن تأخذ
أهبتها، يكون «هاينتس».... قد اقترب

.....

«بريجيته» تكره «هاينتس» كرهاً شديد العنف.

....

«بريجيته» تدع «هاينتس» يعتقد أنه كارثة طبيعية.
«هاينتس» يزفر كذلك حتى ترى «بريجيته» كم
يبذل الجهد من أجلها وكم هو قوى.

«هاينتس» يزفر عن قوة لا عن حب.

في الحب يفهم «هاينتس» القليل من الهزل، أما

فى القوة فلا يعرف هزلاً. عندما يكون للإنسان محل عمل خاص، يكون عليه أن يعتمد على نفسه وحده، أقصى ما يقبله أن يكون هناك آخر يشارك فى البداية برأسمال (للانطلاق).

فى الحب لا تفهم «بريجيته» هزلاً. أكثر الأشياء جِداً تلك التى يمكنها دون رأسمال انطلاق أن تعملها من أجل محل عملها الخاص.

«بريجيته» لا تعلق على الحب إلا أملاً غامضاً...
«بريجيته» تقول لـ «هاينتس» جميل أن يكون الإنسان معك، حتى إن الإنسان لا يضيره أن يموت. أما فى أثناء العمل فأنا لا أود على أية حال أن أموت، يا «هاينتس»، وإذا لم يكن من الموت فى العمل بُدً، فليأت على الأقل قبل العمل.

تفضيلات «پاولا»

«پاولا» تفضل الحياة و«إيريش». الاثنان عند

«پاولا» شىء واحد. فلندخل فى الموضوعين!

عندما يبرح «إيريش» أخيراً الحجرة المطبخ

النظيفة عند والدى «پاولا»، وفى قلبه موتورات، وفى

معدته جاتوه جوجلهوف وخمير الاشنپص، ورأسه خاو

ليس بداخله شىء لأنه أبلغ كل ما كان عليه أن يبلغه،

لم يعد يذكر على الإطلاق أى شخص من الأحياء، لم

يعد يذكر «پاولا»، وإنما كانت لديه ذكرى مهوشة عن

امرأة عملت معه كل ما كانت النساء يفعلنه معه دائماً،

أى أعطته طعاماً أكله، ثم أعطته طعاماً أكله، ثم

أعطته طعاماً أكله، وخدمته أكمل خدمة، وكأنه تمثال

قديس يضع الناس أمامه أصص زهور. ولهذا لم تكن

لديه ذكرى عن إنسان ما، بل ذكرى عن آثار ما فعله

هذا الإنسان، ألا وهى دفء لطيف فى المعدة من خمير

الأشنپص وتخمرة حلوة فى المعدة أيضاً، من الجاتوه.

كذلك القهوة لم يكن بها بأس، فقد كانت من البن الأصلي.

كل هذا بالنسبة إلى «إيريش» منفصل تماماً عما يفعله دائماً مع المصطافات، اللاتي هن بالنسبة إليه أشخاص حقيقيون أحياء؛ لأنهن يستطعن دائماً أن يخترن بين إمكانات مختلفة كثيرة، على سبيل المثال الذهاب إلى الشلال أو الصعود فوق الجبل أو الذهاب للرقص أو للبولينج. مثل هذا القدر من الاختيار الحر يخيف «إيريش».

إلا أن هؤلاء المصطافات ضربٌ من النساء مختلف كل الاختلاف، أو هن نساء أخريات، أما ماما و «پاولا» فربما لم تكونا نساء أو العكس، المصطافات إذاً نساءً من ضربٍ آخر مختلف كل الاختلاف، فهن لا يقدمن إلى الإنسان بلا انقطاع شيئاً، ولو يتولين أمر رعايته، بل هن يردن أن يعطيهن الإنسان شيئاً، وكثيراً ما يكون معهن مال، وما هن بنساء للزواج كما يقول الكثيرون نقلاً لكلام سمعوه.

وعلى العكس منهن: النساء اللاتي لا يردن علاقة حميمة إلا بعد الزواج، وهو شيء لا يستطيع على الرغم من ذلك إلا القلة القليلة التمسك به أمداً كافياً لبلوغ النجاح. ولهذا السبب يفكر «إيريش» في نوعين من النساء، إذا ما فكر في النساء أصلاً، وهو ما لا يفعله إلا إذا كانت هناك حاجة، وإن وجدت فلا سبيل إلى إرضائها بالتفكير، «إيريش» إذاً يفكر في نساء

لسن بالنسبة إليه نساء، لأنهن مثل ماما التي لا جنس لها يدفعن إليه دائماً بما يلتهمه وما يشربه، ويفكر في نساء لسن بالنسبة إليه نساء؛ لأنهن لا يجوز لهن أن يكنَّ نساء، لأنهن يقمن علاقات حميمة مع أى رجل دون أن يكن عاشقات له، أو مخطوبات إليه أو متزوجات به، ويستحيل عليهن أن ينظفن بيتاً كاملاً .

إلا أن القلة القليلة منهن هن اللاتي لديهن بيت كامل. أياً كان الأمر فإن «إيريش» يستوى عنده أن تكون هذه أو تلك امرأة أو لا تكون أو تكون شئ آخر.

«إيريش» لا يفكر على الإطلاق في نساء، أو إذا فكر ففى نساء لسن نساءً، ولهذا فليس هناك في فكر «إيريش» نساء لأن النساء اللاتي عرفهن لسن في الواقع نساءً.

«إيريش» يحس بتأثيرات النساء، لا بالنساء أنفسهن. ولهذا السبب، ولأسباب أخرى كثيرة لا يفكر «إيريش» إلا في موتوراته وحدها دون ما سواها.

لهذا السبب، ولأسباب أخرى أيضاً كثيرة، تفكر «پاولا» في هذه اللحظة في «إيريش» وكيف يمكنها أن تصبح زوجته، وهو أمر سيكون صعباً ولكنه لا بد من أن يكون ممكناً.

فى الوقت التالى تتأوه (١) الخِياطة الأفضل التى تحولت فجأة - دون أن تستطيع أن تعرف لماذا - إلى خِياطة أسوأ، خِياطة منقبضة: يا «پاولا» إذا كفت عن الاهتمام بى كما تهتمين بى الآن، فلن أستطيع عما قريب أن أصبح الحياة الأفضل (٢) بالنسبة إليك كما كانت نيتى أصلاً. لن أستطيع أن أكون بالنسبة إليك فجأة، دون أن تلحظى بحق، قطعة من حياتك بعد ذلك.

إلا أن «پاولا» لم تعد تنصت بحق إلى الخِياطة الأفضل.

ذلك أن «پاولا» فى أثناء عكوفها على الخِياطة الأفضل، تفكر فى الحياة الأفضل، تلك التى ستكون يقيناً مع «إيريش» أسرع من الحياة الأفضل التى ستكون بعد عامين عندما تكون قد فرغت من التعلم. أما أفضل حياة فربما كان من الممكن أن تبدأ غداً «پاولا» مستعدة فى كل وقت.

لا يزال الأفضل إطلاقاً أفضل مما هو أفضل من غيره.

أفضل من هذا هو أن يرى الإنسان سعادته فى شخص آخر مختلف عنه، كما بحثت ماما والجدة

(١) نلاحظ أنسنة الخِياطة فهى تتأوه وتتكلم الخ كما لو كانت إنساناً. (المترجم).

(٢) نلاحظ فى السطور التالية تكراراً لافتاً للنظر لكلمة أفضل وتوابعاتها. (المترجم).

وأختى عن سعادتهن فى شخص آخر ولم يجدنها قط،
أفضل من هذا هو أن يرى الإنسان سعادته فى
شخص آخر، وأن يجدها فيه، هذا أفضل من أن
يصنع الإنسان سعادته بنفسه، أو من ألا يجد سعادته،
ويضيع شبابه هدرًا.

أفضل من هذا أن تكون السعادة مصنوعة من
إنسان إنسانى، على أن تكون مصنوعة من حرير غير
إنسانى أو قطن غير إنسانى أو تيل غير إنسانى (١).

كيف تصبح زوجة لـ «إيريش» يعترف بها امرأة؟
فلا ثنيات ولا عراو ولا غرز أجوريه ولا غرز معكوسة
خلف خلاف، ولا غرز ملفوفة مقلوبة، أو العمل فقط
بنصف قلب.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم (٢).

اليوم هو اليوم المائة ألف فيه «إيريش» يحش
الحشيش طعاماً للبهائم. بجانب عمله فى الخشب
على «إيريش» دائماً أبدأ أن يحش الحشيش طعاماً
للبهائم. وأن ينجز غير ذلك الكثير من الأعمال من
قبيل حش الحشيش طعاماً للبهائم، وتطهير الحظيرة
من الروث، ونقل الروث إلى المرعى، ثم حش الحشيش

(١) تكرار كلمة إنسان وتوابعاتها من قبيل إنسان إنسانى وإنسان غير
إنسانى إلخ (المترجم).

(٢) تكرار السطر نفسه مرتين، على طريقة الموسيقى دلالة على
الكثرة والإلحاح. لاحظ التكرار فى السطور التالية أيضاً.
(المترجم)

طعاماً للبهائم مرة ثانية، ثم مرة أخيرة يحش الحشيش طعاماً للبهائم وإنجاز غير هذا وذاك من أعمال كثيرة.

«پاولا» تزور أم «إيريش» والأشخاص المحيطين بها، وهم فى الحقيقة أشخاص محيطون بـ «إيريش»، كل شىء يدور حول «إيريش» هو المركز، الذى يحش الحشيش طعاماً للبهائم، كأنما كان يفعل ذلك كل يوم. نهاركم سعيد، آتيكم بكيكة مع أجمل تحية من ماما. كلوها بالهنا والشفا.

أم «إيريش» تندهش، فليس من المؤلف إن كان لدى الإنسان شىء أن يعطى منها طواعية قطعة مهما صغرت، هذا ما لم يحدث من قبل قط، لأن كل واحد هنا يحاول أن يأخذ، ولا يحب أن يعطى فى المقابل شيئاً، ولأن كل واحد هنا يحاول قدر الطاقة أن يأخذ دون مقابل. ولما كان كل إنسان يعرف بصفة عامة أن الإنسان لا يمكنه أساساً أن يحصل على شىء بلا مقابل، ولا حتى أعتى البلايا، فهذه أم «إيريش» تندهش، أن تأتى كيكة فجأة بلا مقابل سيراً على الأقدام وتدخل عليها البيت بكل بساطة. شكراً جزيلاً. مع أجمل تحية. ولكن هذه، كما يقولون، فرصة أن يحصل الإنسان على شىء هدية، أراهن واحد للمليون، هكذا تفوص أم «إيريش» فى تفكير أعمق. ماذا تريد هذه البننت يا ترى أن تحصل عليه فى المقابل؟ ما الشىء الذى نملكه، وما قيمته، الشىء الذى يمكنها أن تتوقع لمجرد لحظة أننا قد نعطيه

وأنها يمكن أن تناله؟ لا بد من أن يكون على الأقل أكثر قيمة قليلاً من الكيكة، فالإنسان في نهاية المطاف يريد دائماً أبدأً أن يسترد شيئاً أكثر مما يدفع على سبيل الاستثمار. لا يمكن أن تتوقع جادة أن يكون لدينا شيء ما، حتى لو كان ما تحت الأظافر من سواد، نعطيه بلا مقابل، ففي مقابل قطعة من الكيكة تأخذ منا على أكثر تقدير قطعة سميكة من اللحم المقدد، فاللحم الأعجم نأكله نحن، وهي لم تقل من قبل قط إنها تود أن تحصل على قطعة من اللحم المقدد أو بعض البيض أو برطمان كومبوت البرقوق. أم هل تراها تريد أن تحصل على برطمان من المربي التي صنعتها أنا بنفسى؟ إذا كان هذا ما تفكر فيه، فعليها أن تأتي بتورته وراء تورته تلعفها حتى يسود وجهها من التعب، هذا ما يخطر ببالى عندما أفكر فى الجهد الجهد الذى بذلته فيها. خيرٌ لها أن تأخذ مما عندها من مربي!

«پاولا» تمسك زمام حياتها بيدها. لم تجن حتى الآن إلا عدم الفهم والنكران وفقدان الثقة.

ولكن «پاولا» على الرغم من ذلك نشيطة كل النشاط. فهي تقطف الزهور طالما كانت مزدهرة بل ربما قبل ذلك. فهي تحديداً تتفتح فى كوب الماء أو فى الزهرية الخزفية الجميلة فى الحجرة المصونة. وفيها الشخص وحده أو الزائر المحبب ينال شيئاً منها.

ثم يأتى اليوم الذى يتضح فيه أن المربي لا يمكن أن تكون هى السبب. لو كان السبب هو تحديداً المربي

لكانت «پاولا» بعد قطعة الكيكة الثامنة قالت شيئاً ما عن المريى. ولا يمكن أن تكون حمقاء إلى هذه الدرجة تأتي بعشر قطع من الكيك تتعب نفسها في حملها من أجل برطمان مريى، إذا كان في مقدورها أن تحصل عليه في مقابل ثمانى قطع فقط!

ماهذا الذى تريده «پاولا» إذا، وتريد منه قدراً كبيراً إلى هذا النحو؟

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم من جديد. هل أستطيع أن أساعدك فى حمل علف البهائم، سؤال وجهته «پاولا». وهى لا تلبس ملابس تناسب حمل علف البهائم، بل تناسب على الأحرى الذهاب إلى الكنيسة، ولكنها لا تذهب إلى الكنيسة أبداً؛ لأن والديها كذلك لا يذهبان أبداً، لأن الإنسان لا يحصل على شىء فى مقابل الذهاب إلى هناك. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» كما ينظر الإنسان إلى خنفساء لا تسبب ضرراً، لا يكون عليه بالضرورة أن يدوسها للقضاء عليها إذا كان معتدل المزاج. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» وكذلك لا ينظر إليها. ستبتعين فستانك ببقع الحشيش، هذا ما قاله، إنك تبدين كأنما كنت تحديداً تريدين الذهاب إلى الكنيسة. يمكنك أن تذهبي توأ إلى الكنيسة بهيئتك هذه. لا، سأساعدك يا «إيريش»، فعليك دائماً أن تقوم بعمل ثقيل على هذا النحو! نعم، ثقيل هذا العمل، ولكن من الخير أنك تقوم به فى الهواء الطلق، فأنا أكاد أموت من العمل فى هذه المصانع، فى الهواء الرديء المحبوس الذى تعمل فيه حتى النساء، وتدخل «إيريش» فى الكلام

قائلاً، وهن ضعيفات ضعفاً شديداً. وردت «پاولا» على ما قاله «إيريش» قائلة: أنت على حق، وتذبذبت نبرة جديدة بينهما، نفمة تفاهم، فالعمل فى الهواء الطلق أصح من العمل فى المصنع، وهذا ما قرأته أنا أيضاً.

لم يقرأ «إيريش» هذا؛ لأنه لا يقرأ إلا كراسات عن الحرب العالمية، ولكن «إيريش» سمع أيضاً من قبل أن العمل فى الهواء الطلق أصح وأكثر حرية. وتدخلت «پاولا» فى الكلام قائلة، أنت على حق، الهواء الطلق والعمل فيه يجعل الإنسان قوياً، سليماً، وأحمر الخدين. وأنت يا «إيريش» بحق قوى. وصحيح البدن. كانت هذه أول محادثة فعلية بين «إيريش» و«پاولا»، محادثة يقول فيها واحد شيئاً، ويرد الآخر عليه برد مناسب من حيث المعنى. فى هذا اللحظة خالجت «إيريش» فكرة مفادها أن «پاولا» يمكن أن تكون شخصاً كما أنه هو شخص.

أدرك «إيريش» لب المشكلة على نحو عابر.

أما أمه فهذا هو «إيريش» يعبر على لب المشكلة بالنسبة إليها عبوراً. لا يشعر «إيريش» من أمه إلا بالتأثير: إعداد الطعام، التنظيف، صب اللعنات، التهديد بالضرب المبرح، التنظيف وإعداد الطعام مرة أخرى.

وأما «پاولا» فقد ردت بإجابة عن شيء قاله «إيريش».

تلك تجربة مارس فيها «إيريش» مباشرة معايشة نتيجة تصرف من تصرفاته.

ولهذا سمح لـ«پاولا» أن تساعد في حمل القفة.

هذه هي اللحظة التي يعمل فيها «إيريش» و«پاولا» عملاً مشتركاً معاً، على وجه التحديد أن يحملوا قفةً مملوءةً بالحشيش علفاً للبهائم.

عندما يعمل «إيريش» و«پاولا» في المستقبل شيئاً مشتركاً معاً، فسيحبسان نفسيهما أو يذهبان إلى داخل القابة.

لن يكون لأحد في المستقبل أن يراقبهما، عندما يعملان معاً شيئاً مشتركاً.

أحياناً في المستقبل أيضاً سيكمل «إيريش» و«پاولا» بعضهما بعضاً، مثلاً عندما يسدد «إيريش» إليها ضربات مبرحة وتلقى «پاولا» منه ضربات مبرحة، أو عندما يمرض «إيريش» وتمرضه، أو عندما يقومان معاً بنشر الخشب، أو عندما تطبخ «پاولا» ويأكل «إيريش».

كثيراً ما تخرج من فم الشعب نكت هزلية عن أناس من نوع «پاولا». والخلاصة التي تخلص إليها هذه النكت هي أن النساء، مهما كن من الحمق، لكنهن مع ذلك حبيبات.

لكنهن مع ذلك حبيبات.

وفي مواضع أخرى تقول النكت كذلك، إن الرجال، مهما كانوا من الوحشية واللؤم والخبيث والمكر، لكنهم مع ذلك حبيبون.

فى هذه اللحظة تبدأ أم «إيريش» فى التفكير فى المشاركة فى حمل القفة. ويحدث هذا فى هذه المرة بسرعة على الرغم من أن مخ أم «إيريش» غير متمرس.

«باولا» لا تريد إذاً زبداً ولا جبناً، ولا لبناً ولا نبيداً ولا مرتى. «باولا» تريد الشخص الذى يشارك مشاركة حاسمة فى جلب هذه المنتجات، بماله وبقوة عمله، ألا وهو: «إيريش».

لكنهن مع ذلك حَبَّوبات!

لا (لسن حَبَّوبات) !هذا هو ما تفكر فيه أم «إيريش».

Twitter: @ketab_n

ذات يوم كانت «بريجيته» و«هاينتس» (١)

مرة أخرى مشغولين، حيث فتح «هاينتس» السوستة على ظهر «بريجيته»، فجأة كان ظهر «بريجيته» مكشوفاً كله في نور النهار، ويقول «هاينتس»، ليس جميلاً جداً يمكن أن يجعل الإنسان يكشفه في ضوء النهار.

ومع ذلك فقد أخذ، وقد مسه كل هذا الحماس العقيم، «بريجيته» بسيارته بعيداً إلى بيت والديه الصغير بالحدائق الشربيرية الهامشية (٢).

(١) كثيراً ما تعتبر يلينك العنوان جزءاً من الجملة التي يكملها مطلع الفقرة التالية. (المترجم).

(٢) حدائق صغيرة على هيئة المستعمرة، كانت في القرن التاسع عشر تقام على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون في المدينة مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متنفس وزهور وأشجار فاكهة، ويحظر فيها عادة بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصغيرة، التي ربما تحايل أصحابها ووسعوها، فكر في إنشاء هذه الحدائق رجل اسمه شريبر Schreber (١٨٠٨ . ١٨٦١)، وما زالت موجودة، وهي علامة على أن أصحابها من محدودى الدخل أو صغار البورجوازيين. (المترجم)

وإذا كان للإنسان بيت صغير في حديقة شربيرية فتلك سعة كبيرة جداً، ولكن ربما اتسع البناء وارتفع ليكون بيتاً لعائلة أو لعائلتين. ومن شأن البيت الصغير في الحديقة الشربيرية على ضآلته أن يحفز «هاينتس» على الصعود إلى بناء أعلى. ليس المقصود ألا يفكر وأن يترك التدبير لرب التدبير، بل أن يدع آخرين يفكرون، وأن يقوم هو بالتوجيه.

الأب والأم يعرفان ما فيه الخير لـ «هاينتس».

لهذا فهما يستحسنان أن تدخل «زوزي»، التلميذة بالمدرسة النسوية الثانوية، في الحياة المشتركة.

«زوزي» تدخل إذاً دخولاً كاملاً وتعرض للخطر بذلك في الوقت نفسه الحياة. لا نقول الصائرة - في «بريجيته»، بل التي تُرجى لها الصيرورة.

«زوزي» شيء رفيع، و «بريجيته» ليست كذلك.

لا يمكن أن يقارن الإنسان بين الاثنتين. هذا مستحيل.

من الممكن أن يحب الإنسان هذه أو تلك، وعلى «هاينتس» أن يقرر.

هل يفضل هذه أم تلك.

عندما يقرر اختيار «زوزي» وكل ما هو رفيع، سيعطيه والداه رأسمال جميلاً يبدأ به الحياة الزوجية، سيعطيانه على وجه التحديد كل ما وفراه طوال حياتهما كلها. وليس هذا بالكثير، ولكنه جميل.

«بريجيته» تذهب إلى مصنعها لإنجاز كمية الإنتاج الإلزامى المحددة. «زوزى» تذهب إلى مدرستها النسوية الثانوية لحصص الطهى. «زوزى» أصبحت من الآن مبكراً امرأة صغيرة بحق بكل العيوب الصغيرة والنقائص التى تسم أية امرأة والتى علمتها إياها أمها نفسها بجهد جهيد بجرعات صغيرة متواصلة، وهى نقائص كثيرة. ما يكاد الإنسان يلقى «زوزانه» (١) حتى تتكلم عن وصفات أصناف الطبخ. إنها تتحرك فى بيئة يُعتبر الحديث فيها عن وصفات الطبخ موضوعاً من الموضوعات اليومية. اليوم مثلاً تحكى أن رقائق اللوز التى أعدتها مؤخراً كان شكلها مفرباً ولكن طعمها كان منفرأً. وعلى الرغم من ذلك فقد أكل بابا بعضاً منها حتى لا يمس كرامة ابنته العزيزة؛ لأن كرامتها كلها فى الطهى. لقد بذلت فى إعدادها جهداً فائقاً ودهنتها حتى ببياض البيض لكى تكتسب لمعة جميلة، وهاهى ذى جميلة الشكل ولكن طعمها ردىء، أف. كذلك أخوها الكبير «هاينتس» يُلسن بأسلوبه، أسلوب تلاميذ المدارس الثانوية، الذى تتكرر فيه كلمة نيلىة (٢) مراراً وتكراراً، وهى التى تحس «بريجيته»

(١) عن الفرنسية والإنجليزية = سوزان . اسم زهرة بالعربية = سوسن. (المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية معناها الحرفى براز ولها مقابل فى اللغة العامية الدنيا، يستخدمه السوق، والمعروف أنها منتشرة على المستوى الاجتماعى اللغوى المنحط ليس فى ألمانيا وحدها، ولكن فى فرنسا والبلاد الناطقة بالإنجليزية، ولكنى أفضل استخدام كلمة «نيلىة» فهى كافية للدلالة على المعنى. وعبارة يلينك ساخرة، تسخر من الذين يذهبون إلى المدارس ليتعلموا لغة لائقة فتصبح كلمة «براز» ومشتقاتها علامة مميزة للفهم. ومن قائل إن هذه الكلمة تدل على اتجاه تمرد جرىء. (المترجم).

طوال الوقت بهذه الكلمة القذرة تحرقها في فمها فهي تمنع نفسها غصباً من النطق بها. أخرجى يا «بريجيته» القذارة من فمك وإلا اختقت بسببها!

بابا قال: استمرى في التدرب على الطهى يا «زوزانه»، بالأمس طبخت المكرونة الإشيبيتسلى (١)، صحيح أن منظرها كان بشعاً، ولكن طعمها كان فى المقابل لذيذاً، طعمها كان كأن التى طبختها ربة بيت حقيقية صغيرة. وقالت «زوزى» وهى تثرثر مع «هاينتس» الذى تمدد على الكرسي الطويل: ثم قال بابا أيضاً، آه، ثم قال بابا أيضاً، ولما كنت قد أصبحت ربة بيت حقيقية صغيرة يا «زوزى»، فعلى الإنسان أن يكون متسامحاً معك فيما جرى على رقائق اللوز، ولكنك نظراً لأنك لا تزالين بنتاً صغيرة، تحديداً: بنت بابا الصغيرة، فلا بد من أن تعاقبى. لن تخرجى مساء اليوم من البيت. وسنتمرن معاً على الطبخ، فتقترين خطوة مهمة من ربة البيت.

النهاية.

والدا «هاينتس» يتافسان فى الابتهاج الذى يشع من وجهيهما عندما لاحت لهما فى الأفق ومضة. أسرة «زوزى» مباشرة حبلى بالمستقبل، عندها ابن فى المدرسة الثانوية، بل وابن آخر فى الجامعة! الأمل

(١) الإشيبيتسيلييه Spätzle نوع من المكرونة المنزلية المنتشرة فى بعض مناطق جنوب ألمانيا والنمسا وهى تشبه الشعيرة البلدية التخينة. (المترجم)

معقود على أن يكون ابننا «هاينتس» مسلحاً لكل هذا. ونحن قد أعطيناها تسليحاً جيداً. تدريباً عملياً مهنيّاً متيناً وأفكاراً في أن يكون له محل خاص به.

تعارف الاثنان («هاينتس» و«زوزي») في حمام سباحة على الشاطئ، وهو مكان تتلامس فيه اهتمامات كثيرة، إنه نقطة التقاء كل الطبقات والمذاهب والاتجاهات.

«زوزي» إنسانة لها اهتمامات. «زوزي» تهتم بكتب الجيب والسينما. وهي تهتم بالناس الذين يهتمون بنفس كتب الجيب والأفلام أو أشباهها. يتبع ذلك مباشرة أن يستطيع هؤلاء عندئذ أن يختاروا وأن يتخذ قرارات بشأن اختيار كتب الجيب والأفلام. «زوزي» تهتم بنفس الشيء، بالشيء الذي قد صارت هي إليه. تكاد أن تكون تلك مهمة حياتية أن يختار إنسان بين فيلمين مختلفين فيلماً يود أن يشاهده مع آخر، أن يشاهدها كلاهما معاً. يمتلك الإنسان على الفور الشعور بأن الكون يدور حوله.

«زوزي» تهتم كذلك اهتماماً شديداً بالطهى. وليس هناك ما يقال في هذا الشأن؛ لأن الاهتمام بالطهى صحيح ومهم. للبشرية كلها التي تمسها «زوزي» كذلك أحياناً فيما يدور من أحاديث. «زوزي» يمكنها أن تمسها لأن لديها الرؤية الشاملة.

عندما يسأل الإنسان «زوزي»: غامق أم فاتح، تقول: وسط.

وتضحك ضحكة حبّوبة.

«زوزى» شىء وسط، وهو الأضمن؛ لأنه ليس فوق وليس تحت. فى الوسط لا يكون على الإنسان أن يتحمل ضغطاً مفرطاً، ولا يكون عليه من الناحية الأخرى أن يقوم بالكثير المفرط من العمل الرائد. وهى فى المدرسة الثانوية النسوية فى موضعها الصحيح.

ولا تكون الإنسانية (١) فى موضعها الصحيح إلا مع الزوج الصحيح. والزوج الصحيح يكون مثلها أو أحسن قليلاً، وعلى أحسن الإمكانيات أفضل كثيراً منها. والإنسانة تكون فى وضع مائل سيئ إذا كان زوجها دون مستواها. ومستوى «زوزى»، كما ترى «زوزى»، مستوى مرتفع.

فرغت «زوزى» بسرعة الريح من تقييم كل شىء. تعلمت «زوزى» هذا من أمها التى لا تفعل طوال اليوم شيئاً آخر غير التقييم والقياس والوزن والعد. والنتيجة أن «هاينتس» أقل. تلك كلمة قاسية، ولكنها نهائية.

وعلى الرغم من ذلك فمن المفيد لبنت مثل «زوزانه»، متعطشة للمعرفة أن ترى الكثير من البشر

(١) كثيراً ما تستخدم يلينك كلمة man ومقابلها فى العربية الإنسان أو الواحد أو الشخص دون تحديد لماهيته، ودون تحديد للجنس، ولكن بعض الجمل لا تستقيم بكلمة إنسان إذا كان المقصود هو يقيناً المؤنث، وهنا نستخدم أحياناً لفظة إنسانة. (الترجم)

المختلفين والذين يكادون فى واقع الأمر أن يكونوا متطابقين، متساوين، وبالتحديد على مستوى دون مستوى «زوزى»، إلى حد بعيد، تراهم على تل واحد.

بينما تقوم «زوزى» بالقياس والوزن تتشى تتشى المرأة على الكرسى الطويل. لم تعد بنتاً صغيرة، بل أصبحت امرأة تماماً، كما يلاحظ الإنسان ذلك بدقة عندما يراها تتشى.

«زوزى» تشعر بالتسامح حيال «بريجيته». وبدافع من التسامح تود «زوزى» أن تعلم «بريجيته» مبادئ فنون الطهى، فلا تجنى إلا النكران والإنكار. وتعود «زوزى» إلى الصمت وقد ألم بها شيء من الضيق. خسارة، فى هذا اليوم الصافى الجميل.

«بريجيته» ينتابها فى التو والساعة غثيان بمجرد أن ترى رُوب حمام «زوزى» الناصع البياض وشعرها الأشقر الطويل. ورد فعلها هذا الذى يثير الاهتمام يختلف كل الاختلاف عن رد فعل «هاينتس». «هاينتس» أدرك تَمَيُّز «زوزى»، ولهذا سيصبح ذات يوم رجل أعمال جيد. «بريجيته» لا تستطيع أن تدرك تميزاً، ولهذا فمن الممكن ذات يوم أن تضيع.

«زوزى» لا تشعر بكراهية نحو «بريجيته»؛ لأن أفكارها تدور حول التورته اللينتسية (١) وكَيْكة ظهر

(١) التورته اللينتسية Linzertorte تورته منسوبة إلى مدينة لينتس النمساوية عليها مربى موزعة على تقسيمات صغيرة بشكل المعين أو متوازي المستطيلات. (المترجم)

الغزال المفرزة (١). الكراهية على اختلاف أشكالها غريبة على «زوزى». «زوزى» بنتٌ ودودة وروحها فى بيتها.

هل يرى حائزو بيوت حدائق الشربيرية الصغيرة المجتمعون أن «زوزى» تهمهم بعض الشيء لأنها ودودة. ليس هذا صحيحاً. فـ «زوزى» لا تهمهم فى شيء.

خلاصة الموضوع فى رأى «زوزى» أن «هاينتس» ووالديه كثيراً ما يكونون وقحين وقليلى الأدب، وهو شيء عليهم أن يفكروا فى إصلاحه، فلا فائدة فى أن يكون الإنسان فظاً وقحاً إذا كان فى استطاعته أن يكون ودوداً فى نفس الوقت أيضاً. هذا ما تراه «زوزى» السعيدة.

فى محيط «بريجيته» يكره كلُّ واحد المنافسة بكل أشكالها. فى دوائر «بريجيته» تعتبر الكراهية شيئاً مهماً بارزاً. «بريجيته» لا تستطيع أن تحب كل من يكون على شاكلتها، فهذا من شأنه أن يخرب كل شيء.

فى محيط «زوزى» يسود الحب الذى يجب أن يسود فى العالم كله، والذى لا بد من أن تصمت الكراهية أمامه. «زوزى» حبوبة جداً حيال «بريجيته» لأن «بريجيته» لا تهمها فى شيء مثل قطعة خشب

(١) كيكة ظهر الغزال المفرزة bespickter Rehrücken نوع من الكيك المشهور فى النمسا وهو يعد فى قالب مستطيل، ثم يزين بكسوة من الشوكولاتة وعلى الجانبين حليات بيضاء متقطعة وكانها غرزت بالمسلة بفرز متوالية. (المترجم)

عفة. «بريجيته» تكره «زوزى» كما يكره إنسان ما كلَّ الكره أساساً شيئاً معيناً يلبس روب حمام أبيض بياض الثلوج.

طلبوا من «بريجيته» أن تُرى «زوزى» الحديقة وأشجار الفاكهة بها. «زوزى» تصفق من شدة الفرح. «بريجيته» ترتعش أمام كل شجرة برقوق، إنها لا قدر الله تريد أن تأخذ منى هذه الشجرة التى تكاد أن تكون ملكاً لى، هذه الشجرة بالذات، وهذه، وهذه، وهذه! سأقتلك يا «زوزى» إذا أردت أن تأخذى منى أشجار فاكهتى المستقبلية، تلك التى تكاد أن تكون الآن ملكى، وإذا أردت أن تأخذى منى حياتى المستقبلية التى اسمها «هاينتس»، وإذا أردت أن تأخذى منى بيتى المستقبل الذى اسمه «بريجيته وهاينتس»، إذا أخذت كل هذا منى سأقتلك، تأكدى من ذلك!

«زوزى» تتط طيارة فرحانة من خلال النجيلة. دون انتباه منها تطأ زهور الأراولا والداليا وزهيرات الحديقة، طق طق. «بريجيته» ترتدى على الأرض وتقيم بعناية زهور الأراولا والداليا وزهيرات الحديقة، عسى ألا تكون بينها زهور انقصفت ولم يعد من الممكن إصلاح حالها. عسى أن تتط نطة تطيرها إلى الخارج، بعد هذا الذى فعلته.

«بريجيته» تحافظ بكل جسمها على ملكها الذى سيكون ذات يوم ملكاً لها. عندما لا يكون الإنسان قد امتلك ملكاً خاصاً من قبل قط، فإنه يدافع عن الملك

الافتراضى كما يدافع عن حياته ذاتها. فهى ترتدى على شجيرات الكشمش (١)، لتحميها من يد «زوزى» التى استبدت بها الوقاحة منذ قليل فأرادت أن تقطف ثمرة منها. ففصت «ب» بجسمها الفشيم عدة كيلوجرامات من ثمار الكشمش الحمراء. تدفع رأسها ثمناً لها!

«زوزى» مندهشة. تقول أنا أستطيع أن أشتري الكشمش فى كل مكان عندما أريد. «بريجيته» تقول نعم، ولكن هذا الكشمش هنا ملكى. ملكى. ملكى. وملكى هو ملكى.

و«هاينتس» هذا ملكى. ملكى. ملكى.

وسأمتلك ذات يوم بيتاً، سيكون أجمل بكثير من هذا البيت الصغير البسيط فى الحديقة الشربيرية، الذى سنتركه لوالدى زوجى، بينما سننتقل، «هاينتس» الذى هو ملكى، وأنا، التى أنا كذلك ملك نفسى، إلى بيت أكبر وأجمل، سيضم الدور الأرضى فيه محلاً خاصاً. للتركيبات الكهربائية. هذا عن «بريجيته».

تقول «زوزى» متلطفة، لقد ملئوا جعبتهم، و«زوزى» ليس لديها أى اهتمام بـ «بريجيته». من منظور «زوزى» يمكن أن يكون لـ «بريجيته» وجود أو لا يكون.

(١) الكشمش بالألمانية Johannisbeer بالفرنسية groseille
برى له ثمار كالعناقيد الحمراء يصنعون منها شرباً ومربى
وخشاف. (المترجم)

وجود «بريجيته» لا يمس حياة «زوزى» على أى نحو. «زوزى» حبوبة جداً مع «بريجيته»؛ لأن ذلك لا يكلف شيئاً ولأن «بريجيته» لا تستطيع أن تأخذ منها شيئاً، ولا حتى فنون طهيها.

أما «بريجيته» فتكره كل شىء فى «زوزى». وجود «زوزى» تهديد مستمر. إذا ما عرضوا ذات مرة على «هاينتس» ما هو أفضل، فمن الممكن عندئذ أن يريد امتلاكه أيضاً. لا!

«زوزى» تريد أن تأخذ منها شيئاً.

ربما كان خير ما تفعله «بريجيته» أن ترمى نفسها أمام «هاينتس» والحديقة والبيت، كما رمت نفسها على شجيرات الكشمش وتحميه بذاتها من أصابع «زوزى» الوقحة.

«زوزى» تشير إلى جمال زهرة عباد الشمس. تقول كم هى جميلة. جميلة كالبسكويت.

«ب» صماء حيال جمال الطبيعة. «ب» ليس لديها القدرة على استقبال الجمال، «ب» مرتبكة كل الارتباك، مشدودة، كالحبل. «ب» كومة صلبة من الكراهية. من منظور «ب» ليس هناك شىء جميل، ليس هناك إلا شىء يريده الإنسان ويكون عليه أن يمتلكه.

«زوزى» تعدُّ بإيقاع حر الكثير من الجماليات النباتية وضروباً مما لذ طعمه وطاب مذاقه من أشياء.

«زوزى» لديها حسٌ جمالى بارز المعالم، هذا مما
يقوله بابا كذلك. «بريجيته» تريد أن تملك تملك
تملك، وكل ما عدا هذا أنتهى وختم. «ب» تناضل.
«زوزى» أكثر أنوثة من أن تناضل. «زوزى» امرأة كلها.
«زوزى» تنال.

«بريجيته» ليست شيئاً على الإطلاق.

تابع: مشاعر «پاولا»

شئٌ ما فى نفسى إذا يسمونه حب، هذا ما تشعر
به «پاولا» للمرة العاشرة.

فى نفسى علاوة على ذلك شئٌ يتمنى أن يكون له
أولاد. لا يجوز التصدى له.

ستفقد الخياطة فرصتها الأخيرة عندى على أقرب
تقدير فى اللحظة التى سأصبح فيها أمأ. فى
الخياطة كل شئٌ ميت تماماً، أما فى الطفل الصغير
فكل شئٌ حى تماماً. الطفل الصغير هو الحب
المشخص. ما هى الخياطة الميتة بالقياس إلى طفل
حى.

عسى ألا يولد الطفل ميتاً!

فى البداية يأتى ما هو حى، ثم تاتى بعد ذلك
الأدوات الجامدة التى لا حياة فيها. وحتى لا يكون
الإنسان وحيداً وحيداً فى شيخوخته.

«إيريش» يفكر ملياً في أشياء لها موتورات، هي أيضاً شديدة الحيوية. سيارة السباق مثلاً لها قوة تساوى قوة عدد من النمر.

إنها وحدة جميلة الشكل تشمل الشكل والحركة. في لحظاته الفائقة الصفاء يفكر «إيريش» ملياً في حياة بأيدى نظيفة وقمصان بيضاء وبنطلونات جينس ضيقة وشغل خفيف. أو بدون شغل.

«إيريش» لا يفكر ملياً للحظة واحدة في «پاولا» «پاولا» بالنسبة إليه بديهية مثل الهواء الذي نتنفسه. «پاولا» لا تريد أن تكون شيئاً بديهياً، بل شيئاً متميزاً.

لهذا تجتاز «پاولا» الشارع بفستان يشبه المريلة خاطته بنفسها. «پاولا» تعض على النواجذ تمسكاً بالنظافة. شعرها ومريلتها وشنطة مشترواتها وساقها النحيفتان تبرق كلها في سباق على النظافة، وكأنها ريح بيضاء تدور كالدوامة!

وهكذا تلاشى الشيء المتميز في «پاولا» مرة أخرى.

في كل مكان على عتبات البيوت تقعد نساء مشرفات على الموت مثل ذباب مهروس لا يعمر إلا يوماً واحداً، يقعدن كأنما لصيقن في موضعهن بزفت سائح ويحطن بنظرهن دون ما هوادة ممالكهن الصغيرة الخاصة، ممالك ربات البيوت، التي يتربعن فيها تربع الملكات على العروش. أحياناً يجعلهن

صابونٌ سائلٌ ملكة، وأحياناً تجعلهن حلةً ممتازةً
التصميم ملكة (١) .

الحدائق في صدور البيوت محاطة على نحو
نظيف بأسيجة ومعزولة عن العالم الخارجى. زهور
عباد الشمس والشجيرات الكثيفة تعزل العالم
الداخلى عن العالم الخارجى الذى هو عدائى.

بعض العائلات تعيش فى بيوت صغيرة تقيم فى
البيت الواحد عائلات عديدة. ستحصل «پاولا» على
بيت من هذا النوع ستستطيع «پاولا» أن تتربع فى
مطبخه على عرش الملكة، حيث كل شىء سيلمع
وسيبرق فيبهج جميع من يرونه.

«پاولا» تعبر على البيوت عبوراً وتفكر فى الدرجات
المتعالية من النظافة، ما يكون نظيفاً، ما يكون أنظف،
ما يكون هو الأنظف. هنا وهناك تبرز واحدة من
النساء المشرفات على الموت وتشد حفيداً، ابناً أو بنتاً
إلى صدرها وكأنها حصن أو تمثال خشبى منحوت
على غليون (٢) مقارنة بـ «پاولا» النظيفة التى لم تتزوج
بعد. وهناك ترتضى إحداهن بدافع الحماية على ابنها
الذى سألته «پاولا» عن المدرسة. وتقطع كلام ابنها

(١) تنويغات ساخرة على جملة ألمانية متكررة لا تتعب النساء
فى رأى يلينك من تكرارها على سبيل الفخار، وهى أن البيت وتدبير
النظافة وتلميع حلل الطبخ فيه، هو مملكتهن، وكان الصابون السائل
أو الحلة اللامعة المتميزة بتصميم خاص هو الذى يجعلهن ملكات،
وهن لا يدركن أنهم ضيعن أعمارهن وأصبحن كالذباب المهروس.
(المترجم)

(٢) من الفرنسية Galion وهى سفينة. (المترجم)

وتحكى فخورة عن أنواع القلق التي تغشاها بسببه، إنها تعتز بالقلق على ابنها الشقى العنيف، وتخجل من قلقها على ابنتها. تقول إن مَنْ ليس عنده أولاد لا يمكنه بتاتاً أن يعرف الحال التي يكون فيها الإنسان عندما يكون عنده أولاد.

وتوضح كذلك أنها مسرورة لأنها لم تعد مضطرة للعمل بائعة، فليس مما يحقق الرضا للإنسان أن يعمل من أجل الآخرين. ولقد أخذوها من منضدة البيع إلى هيكل الكنيسة وزوجوها.

ولديها الآن بعض الأعراض المرضية التي يبدو عليها أنها خطيرة.

الطبيب لا يستطيع أن يجد شيئاً.

أما هي فقد وجدت سعادتها.

سعادتها هذه هي أن يكون كل ما عمله من أجل زوجها، يتم عمله من أجلها هي نفسها في الوقت ذاته أيضاً. الجوارب المفسولة والقمصان والملابس التحتانية والأحذية النظيفة، كل هذا (الذي عمله من أجل زوجها) عمله أيضاً من أجلها هي نفسها ومن أجل أولادها. ليس في مقدرها أن تعمل شيئاً لنفسها هي مباشرة.

أحياناً تذهب إلى الكوافير، مزين النساء. ففي ذلك تجميل.

عندما تسأل «ياولا» إحدى النساء عما تتمناه، تجدها تتمنى شيئاً للأسرة كلها، مثلاً سيارة تركبها

الأسرة كلها، والأم فيها متنبهة تترىص دائماً بالطفل لتضربه، تأديباً له، لكي تستطيع أن تبرر وجودها هي. وعلاوة على ذلك يستطيع الإنسان (١) أن يزين السيارة أيضاً بزهريرات وخذأديات. ففي ذلك تجميل. دائماً يصرخ في مكان ما في بيت ما طفلٌ ضُرب تأديباً له. وما يكف طفلٌ عن الصراخ حتى يبدأ طفل ثان بالصراخ.

وأناس يصفقون يبرزون من النوافذ التي تلمع كالمرايا (٢).

«پاولا» تقول: لا تضربي «كارلى» بهذه القسوة، فهو لم يفعل شيئاً، دعيه يمشى.

وهنا تطالبُ «پاولا» بأن تقفل حلقها؛ لأنها لم تلد شيئاً ولم تخلف أحداً.

أما دور الجدة فهو دور مواساة.

لهذا فالأولاد كذلك يحبون تيتا جداً. أما الأب والأم فهما لا يحبان تيتا لأن تحشر نفسها.

وزوج تيتا نفسه، جدو، يكره تيتا، أولاً لأنه كان دائماً أبداً منذ سنوات الصبا يكرهها، فالحب القديم

(١) المقصود: المرأة. (المترجم).

(٢) نلاحظ هنا وفي مواضع كثيرة جداً من الرواية حرص يلينك الساخر على كلف المرأة في النمسا والمانيا وربما في بلاد أخرى على التنظيف والتلميع المبالغ فيه والتأديب المبالغ فيه أيضاً، وهي في رأيها أمور تضيع فيها المرأة صحتها وعمرها، فتصبح كالميتة قبل أن تموت في النهاية. (المترجم)

أصبح عادةً لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها
بالسرعة المأمولة، ويحتفظ الإنسان بهذه الكراهية في
الشيخوخة، فما هذا الذي يحتكم الإنسان عليه في
الشيخوخة، لا شيء، اللهم إلا الكراهية العظيمة
القديمة المجرية.

والكراهية كذلك تزداد وتتزايد دائماً أبداً لأن تيتا
فقدت منذ وقت طويل رأسمالها الوحيد، ألا وهو
الجمال الذي ربما كان موجوداً ذات مرة. تيتا اعتبرت
كُهنة مكهنة عديمة القيمة. والنساء الأخريات،
الأصغر سناً، ضِعْنَ منذ أمد بعيد بالنسبة إلى الرجل
المستهلك العجوز المكحكح، وكسبهن رجالٌ آخرون
أصغر منه سناً، مستهلكون أيضاً، ولكنهم مازالوا
قادرين على الكسب.

النساء الأصغر سناً لن يقامرّن من أجل رجل
عجوز منفر بحياتهن المضمونة بجانب هؤلاء الرجال
الأصغر سناً.

هكذا يموت جدّو وينتهى، صحيح أنه يموت على
نحو أكثر بطئاً وتردداً من زوجته التي تكاد أن تكون
ميتة، ولكن الموت موت، والضياع ضياع، وكل شيء راح
وانتهى. وزوجة الرجل نفسها تظل حتماً تذكره
بتدهوره وتحوله من الشاب المتعافى إلى الشيخ الهرم
المنفر المقرّف.

جدّو مستهلك، وتيتا ستصبح مستهلكة. والعين لا
ترى مستهلكاً، ولكن الإنسان يُستهلك..

وتيتا تعلم يقيناً أن زوجها ابتداءً من عمر معين يبقى لها دائماً أبدأً إلى أن يصيبه مرض الموت وما يتبعه من خروج من الدنيا. إنه لا يستطيع أن ينصرف عنها ويتركها ويترك الفرن والأكل والشرب والمائدة وغسيل المواعين ومزود العلف.

إلى أين يذهب الشيخ العجوز.

الشيخ العجوز الهرم مرتبط بتناول الأكل المنفر.

وهكذا تظل سلسلة سراويله المتسخة وجواربه المفضمة بالعرق تمر من خلال يدي تيتا.

وتيتا فى شيخوختها تتنقم منه بأفعال صغيرة. فليها إمكانات كثيرة للانتقام الفعال.

وهكذا تتابع سلسلة من الآلام التى يمكن تديرها لتيتا، تخرج من بين يدي جدو، سلسلة من الأيام البشعة. جدو يضطر إلى أن يتولى بيديه أعمال كل يوم قدر على تيتا أن تعيشه. هو شخصياً. وليس لإنسان آخر أن يحشر نفسه ليشارك بشيء.

ولكن جدو اعتاد منذ الطفولة أن تنجز له تيتا كل ما يحتاج إليه فى حياته اليومية، كله تتولاه ماما أو تيتا. إنه لا يستطيع أن يعد لنفسه بيديه أى شيء ولا حتى بيضة مقلية.

إنه معتمد على غيره مثل الطفل، فى الأشياء الصغيرة اللطيفة وفى شغل البيت الثقيل، ومن الممكن أن يثير الإنسان غيظه ويدفعه إلى ثورة عارمة بسهولة

عن طريق أشياء صغيرة ومنفصات طفيفة وعن طريق أعمال تخريبية.

والزوجان المسنان مثل حشرتين تعض كل منهما الأخرى عضة دائمة غائرة، أو مثل حيوانين يفترس بعضهما البعض، واستقر أحدهما نصفاً في بطن الآخر.

اللحم مفذٍ وشديد الصبر.

مثل قافلة من الجمال يسير طابور من نساء لم يتجاوزن الشباب تظهر ظليّاتهن بوضوح شديد على الأفق. يحملن شنط مشترواتهن ويسحبن بشدة أطفالاً صفاراً وراءهن.

بابا يتأملهن راغباً من خلال المنظار المقرّب. وتتحرك فيه بقية من رجولة.

وفى المطبخ ترفع ماما عقيرتها، وعلى البقية أن تصمت.

الشمس تميل أخيراً إلى مفيب.

ولكن «پاولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن تحب أحداً!

كأنما لم تكن مشقة بيت عائلى صغير بحديقته المنزلية الصغيرة كافية وحدها بدون ذلك أيضاً. ولكن «پاولا» فكرت فى أن الأمر سيكون أسهل بكثير مع بيت صغير.

وسوف يعمل بدن «پاولا» أقصى ما يستطيع.

الشمس مالت أخيراً إلى مغيب.
ولكن الليل أيضاً رغم ذلك يحمل إلى الرجل والمرأة
ما هو أكثر فظاعة.
ولكن «پاولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن
تحب أحداً.

«بريجيته، تكره «هاينتس»»

على الرغم من أن «بريجيته» تكره «هاينتس» فإنها تريد أن تحصل عليه ليكون بالتمام والكمال لها هي، ولا يكون لغيرها.

وإذا كانت «ب» تكره «هاينتس» منذ الآن قبل أن تتاله أصلاً، فكيف سيكون كرهها إياه، إذا حدث ذات مرة ما هو مشكوك فيه جداً، فنالته على الدوام وإلى الأبد، ولا يكون عليها أن تبذل الجهد لتحصل عليه.

على «بريجيته» مؤقتاً أن تخفى كرهها بعناية، فما زالت هي لأحد، أي خياطة سوتيانا، وتريد أن تصبح أحداً، أي زوجة «هاينتس».

خياطات كثيرات يأتين من يوغوسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا أو غيرها من بلاد الكتلة الشرقية.

قد يتزوجن ويختفين وقد يضمن.

والواحدة من كثيرات عديدات تعتبر أساساً وأصلاً واحداً.

«ب» ترى أنها لأحد فهي واحدة من خياطات سوتيانات كثيرات عديدات، منهن كثيرات يخطن نفس الخياطة التي تخطيها. «ب» ترى أنها تكون أحداً عندما تكون واحدة من زوجات كثيرات جداً. «بريجيته» ترى أنها ستصبح أوتوماتيكياً أيضاً أحداً؛ لأن «هاينتس» أحد، أى هو واحد سيكون ذات مرة أحداً، يمتلك محلاً خاصاً به.

إذا لم يأت بريق من العمل فى خياطة السوتيانات، فلا بد من أن يأتى البريق كل البريق من «هاينتس».

لأن البريق الذى نقرأ عنه أو نراه فى التليفزيون، يأتى من أحد آخر تماماً ويعود إلى أحد آخر تماماً، ولأن بريق المجالات والأفلام يدور حول أناس غرباء أشد الغربة كثيراً ما لا يلبسون حتى سوتيانات، ناهيك أن يفكروا فى خياطة سوتيانات، ولأنه ليس هناك بريق أصلاً، فإن «بريجيته» تصنع بحماس بريقاً. ساعات طوال. ودائماً حول «هاينتس».

وهى تأمل أن يعود عليها شىء من إشعاع هذا البريق. ولكن من لديه بريق يحتفظ به لنفسه، هذا ما أحاطت به أم «بريجيته» خُبراً. فقد أتى البريق إليها من مندوب مبيعات. ومتى انطفأ؟ منذ سنوات عديدة. مع سيارته.

أم «بريجيته» تقول: على «بريجيته» أن تدع «هاينتس» يسير بلجام طويل تمسكه ولا تتركه من يدها، أما الحبس فليس الآن ولكن فيما بعد، ولكن عليها رغم ذلك أن تمسكه بشدة وأن تربطه فيها، عن طريق ألف من الطفائف، منها على سبيل المثال طفل صغير. ولكن كذلك عن طريق مواهب وقدرات حِرْفِيَّة خاصة: مثلاً غسل الفسيل.

والواضح أن أم «بريجيته» لم تكتف بهذا على كثرته.

الواضح أنه لا يزال في سحنة أم «بريجيته» مكان صغير خال.

مطاردة صيد بلا رحمة.

لا المطارَد «هاينتس» ولا الصياد المسكين المرهق الذي هو «بريجيته» يمنحان فسحة للراحة. والصياد يكون أحياناً في موقف أسوأ من الصيد.

في حالة «بريجيته» هي في موقف أسوأ منه.

«زوزي» إنسان له بريق. وهي تنط بهمة مفرطة وقد غشاها من نور الشمس بريق فائق، تنط وراء فراشة يسمونها فراشة ليمونية. وشعرها الأشقر مثل الشعر الأشقر بالضبط.

البعض يكفيهن نور الشمس بريقاً؛ والبعض الآخر يحتجن إلى بريق يأتيهن من محل تركيبات كهربائية.

ليس لـ «بريجيته» أن تجافى التواضع إلى هذا الحد، وأن تقنع بالشمس مثل «زوزى».

«زوزى» تكتسب فى الحديقة بريقاً فوق بريق. الحديقة ليست حديقته بل حديقة «هاينتس»، أى حديقة «بريجيته». «ب» ترتدى فوق «زوزى» وتطرحها أرضاً بعيداً عن مرمى أى بريق. أحب شئ إلى نفسها أن تدفن «زوزى» فى التربة، فى الطين الموحد.

«بريجيته» تتمدد فوق «زوزى» طويلاً وعرضاً وتشرح وهى تلهث لماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ما يشاء بملكه الخاص، أما بالملك الأجنبى فليس للإنسان أن يعمل إلا ما يسمح به المالك الأجنبى، فى هذه الحالة: «بريجيته». مثال ذلك: تقول «ب» فى المصنع على أن أعمل ما يقولونه لى. أما فى دولابى الصاج فأستطيع أن أعمل ما أريد؛ لأنه ملكى، فيمكننى أن أراعى النظام أو الفركشة، كما يحلو لى تماماً. النظام بديهى. فى الكانتين على أن أراعى الزمالة لأن الكانتين ملك مشترك للجميع، أما فى مكاني على المائدة فيمكننى أن أعمل ما أريد. لأنه ملكى أنا وحدى. نعم، البداية تكون بأشياء صغيرة.

وتغمس رأس «زوزى» فى ماء راكد إلى أن يأتى «هاينتس» ويخلص «زوزى» بالقوة من قبضتها.

وتستأنف «بريجيته» كلامها، وعندما يأتى صاحب المصنع إلى فى بيتى، يكون عليه هو نفسه أن يفعل ما

أريد، لأن بيتي هو قصرى. وعلى قدر صغره، تعظم قدرتى أيضاً على الأمر والنهى فيه.

وتمت «زوزى» (١) : صاحب مصنعكم لن يأتى أبداً إلى حضرتك فى بيتك، لأنك فظة كل الفظاظ.

لا فعلاً؟ ربما يأتى ذات مرة. ولن يستطيع أحد أن يمنعه، ولا حتى حضرتك، على كثرة ما تريد أن تمنعنى. أما صاحب مصنعى فلن تستطيعى تخويفه.

ربما يأتى ذات مرة ليزورنى ويزور كذلك أمى! وردت «زوزى»، لن يأتى أبداً. لأن حضرتك تافهة. لأن حضرتك أخط وأتفه ما يوجد.

وتقول «بريجيته» وهى تلهث: ولكنه لو أتى سيكون عليه أن يعمل فى مسكننا ما نأمر به، بل إن هذا قانون قانونى (٢). إنها تعرف الأمر أحسن من الآخرين.

بعد خمس دقائق تجلس المتصارعتان صراع الديوك إلى المائدة لتناول وجبة خفيفة.

«بريجيته» تكلمت بكلام مفيد، ملء بالمضاربات والاحتمالات والتوقعات، كما هى الحال فى الحياة الاقتصادية.

(١) زوزى تتكلم بصيغة الاحترام «حضرتك». (المترجم)

(٢) من أمثلة التكرار «قانون قانونى»، كذلك نلاحظ من أمثلة تعامل يلينك مع اللغة أنها تكثر عمداً من استخدام كلمات الحشو من قبيل «أيضاً» و«إذا» على طريقة عامة الناس، وتكرر الأسماء الأعلام، وتكرر «أحد» و«لأحد» و«الناس» و«الشيء» وغيرها من الكلمات الدالة على ما هو مجهول أو غير قابل للتحديد. (المترجم)

ربما استطاعت «بريجيٲه» أن تستغل نتائج هذه
المحادثة، عندما يكون لها ذات مرة محل أعمالها
الخاص ويكون «هاينتس» قد أصبح لها.

الحب إذا هنا الآن

الآن جاء الحب للمرة كذا، ولكن الحياة الأفضل بالنسبة إلى «باولا» لم تبدأ حتى الآن بعد. حان الوقت لكي تدخل الحياة والتطور أخيراً في هذه المسألة التائهة!

«باولا» لا تستطيع أن تتمتع حقاً بحبها الكبير؛ لأن عليها أن تصحو الساعة الخامسة لتعد للأب طعام الإفطار. «باولا» تعلم أن الحب الكبير يحتاج إلى وقت لكي يستطيع أن ينمو، ولكي يكبر أكثر مما هو كبير. «باولا» ليس لديها وقت.

في الوقت نفسه تطلع أم «باولا» وفي يدها الشوكة إلى المرعى على سفح الجبل لكي تدبر أمور مملكتها الصغيرة. تحيط الأم ببصرها على الدوام مملكتها من حدود ربة بيت إلى تلك التي تليها. وتلف الأم رأسها هنا وهناك بفتة بحثاً عن عابري الحدود الخارجين عن القانون.

الأم تنظر على الدوام من بداية مملكتها إلى نهايتها، دائماً أبدأ هنا وهناك، وتفرح بأن لها مملكة ربة بيت.

ربما كان عند آخرين أكثر كثيراً مما عندها، ربما كان آخرون يعملون نجارين، كهربائية، سباكين، بنائين، ساعاتية، جزارين! أو صناع اللحوم المدخنة.

ولكن في المقابل كل الناس في أسرتها بصحة جيدة.

عندما تمر الأم بيوم سيئ تفكر في أن زوجة صانع اللحوم المدخنة على سبيل المثال تمتلك مملكة ربة البيت، ولكنها عندها أيضاً مصنع تدخين اللحوم الخاص به. ثم تحت الأم حفيد «فرانتسى» بخبطة من أسنان الشوكة الحادة، صراخ «فرانتسى» وعويله يعوض الأم حيال زوجة صانع اللحوم المدخنة التي لديها مملكتان خاصتان بها، مملكة ربة البيت ومملكة زوجة صانع اللحوم المدخنة. صراخ «فرانتسى» يوجه اهتمام الأم مرة أخرى إلى لب القضية، تحديداً إلى أنها هي نفسها عندها كل شيء يمكن أن تتمناه امرأة. والجميع بصحة جيدة. تنسى زوجة صانع اللحوم المدخنة. تواسى «فرانتسى» بالتفصيل. ما الذي يمكن أن تتمناه الأم أكثر من هذا؟ لا شيء.

أم «پاولا» لا يمكنها أن تتمنى لنفسها شيئاً أكثر من هذا؛ لأنها استهلكت قدرها دون أن يثمر هذا الاستهلاك شيئاً.

ولما لم تكن أم «پاولا» تستطيع أن تتمنى شيئاً أكثر مما أوتيت؛ لأن الأوان تأخر أشد التأخير، فإنها سعيدة لا تتمنى المزيد.

تخرج أم «پاولا» إلى الحقل. وتنصت إلى أعماقها، هل هذا رنين نغمات أغنية أو شذو شحورور فى موضع ما بها، لا إن ما تسمعه هو السرطان الذى ينشرها بمنشاره ويفترسها. ليس عند الأم ما تتصدى للسرطان به ولا حتى الكحول باعتباره مضاد للسم.

والسرطان قد رأى أشياء أجمل من هذا البطن الخرب الذى جرى فيه على مر سنوات الزوجية الطويلة ما جرى. ولا نريد بتاتاً أن نبدأ بحديث عن جلسات الماء الساخن رغبة فى الإجهاض.

أما ما لم يُسمح للدكتور أن يراه قط، فقد بقى الآن من شأن هذا المرض الخطير المميت. ويكاد الأمر يبدو كأنما وفرت هذه الإنسانة لنفسها آخر طاقاتها الضئيلة طوال حياتها، لكى تُقتل عندئذ على نحو بطيء مؤلم ، وتُخرب.

من أجل من تُخرب البطن فى نهاية المطاف ؟... من أجل المرض. المرض يحصد ما لا يزال من الممكن حصاده. ولم يعد كثيراً.

صحيح أن الأم قرأت الكثير عن هذا المرض الخبيث فى صحف نهاية الأسبوع، إلا أن الخوف يملكها الآن بكل قوته. وعلى الرغم من أنها قرأت أن الخوف لا يؤدي إلا إلى أن كل شىء يزداد سوءاً، وأن

على الإنسان أن يحفظ توازنه، فإنها تخاف خوفاً
فظيماً وتفقد توازنها كليةً.

قالت «پاولا» ذات يوم إنها ستذهب إلى طبيب
أمراض النساء ليصف لها الحبوب عندما يحين حين
ذلك، حتى لا تلد أولاداً كثيرة. يا وقحة يا خنزيرة،
أتريدين الذهاب إلى طبيب، إلى رجل أجنبي، يفحص
جسمك، يا للقرف، هذا من عمل الشيطان. عندما
تكون «پاولا» مقيمة في مملكة ربة البيت الخاصة بها،
فلن تفعل ذلك.

«پاولا» أحست بالارتياح؛ لأنها لم تكن تريد الحياة
طويلاً في مملكة الأم، بل في مملكتها هي.
ولكن «إيريش» لا يتخذ أية إجراءات لأى شيء.

الخيطة تجعل «پاولا» عصبية وقلقة. والذهاب
المتعدد إلى مركز التدريب على الخياطة (١) يلهيها عن
«إيريش». «پاولا» لا تحتمل الانتظار بتاتاً إلى أن تعود
إلى البيت. خسارة أننا لن نحصل على بيانات عن
تجربة «پاولا». «پاولا» تود أن تعتكف في الحياة
الخاصة. إلى اللقاء يا «پاولا» على مستوى أكثر
خصوصية، وأكثر راحة!

(١) سلم العاملين الحرفيين يبدأ بالصبي المتدرج أو الصبية المتدرجة
التي تلحق بالعمل بهذه الصفة وتتلقى أجراً بسيطاً ويكون على
هؤلاء المبتدئين تعلم الحرفة عملياً بالممارسة وبمتابعة حصص
تدريب نظري وعملي، ثم تأدية امتحان. ويمكن أن يتعلم
الناجح ليصبح عاملاً حرفياً. أعلى درجة في سلم الحرفيين
هي درجة المعلم ولها دراسة عملية ونظرية وامتحان صعب؛
(المترجم)

ما تكاد «پاولا» ترجع من حصة التدريب على
الخياطة حتى تلقى بنفسها فى أجمل فساتينها،
الفيستان الأحمر، وتطلع الجبل تجاه «إيريش». فوق
يتلقفونها كالبوميرانج (١)، حتى قبل أن ترتاح تماماً
من جهد الجرى ، تتلقى ضربة بالقدم من الخلف،
فتجرى البنت عائدة إلى البيت.

«پاولا» تصعد الجبل عدواً ويكون عليها أن تدور
دورة حول نفسها، وأن تعود عدواً هابطة سفح
الجبل، مثل من يبلغ عن حريق. كأنها لم تصل إلى
نتيجة.

مقاليد الأمر والنهى فى البيت فوق فى يد أم
«إيريش» وجدة «إيريش».

مقاليد الأمر والنهى الفعلية فى قبضة الرجل
الوحيد فى البيت، زوج أم «إيريش»، الذى كان موظفاً
حكومياً، وهو ما لا يستطيع الكثيرون أن يقولونه عن
أنفسهم عندما يحين فى نهاية المطاف حين الحساب
الأخير.

زوج الأم واسمه «رَبَّو» (٢) لأنه مريض بالربو يشغل
المرأتين المضحضحتين حتى تكون هناك بهجة.

(١) عصا خشبية محوية من أستراليا تلقى من بعيد على الهدف
فإذا أخطأته عادت إلى الرامى وأصابته. يضرب بها المثل فيمن
تصيبه ضربته الفاشلة. (المترجم).

(٢) بالألمانية Asthma وهى الكلمة التى تعنى مرض الربو
المعروف. (المترجم)

هى بهجة بالنسبة إلى «ربو». وهى بالنسبة إلى
المرأتين بهجة أقل من بهجته، ولكنها بهجة
أيضاً.

وهو يتولى الأمر والنهى بحيلة ماهرة، حيلة موظف
الحكومة.

يتولى الأمر والنهى بلا كلام، فقط بشخصيته.
«ربو» الموظف المريض المحال إلى المعاش، يقعد مثل
سلحفاة أرضية فى مكانه ويزودونه بالطعام والشراب
وبرنامج التليفزيون.

ويحوم «ربو» مشخشا مشخشا داخلية قبيحة
مطبقة فوق كل شىء مثل الكابوس.

«ربو» يسيطر على كل شىء سيطرة مطلقة، كما
كان فى الماضى يسيطر على جزء صغير من السكك
الحديدية الاتحادية ولكنه جزء جوهري. كثيراً ما
يحكى «ربو» عن هذه الأوقات. فيسود توتر تتحسس
معه الأنفاس.

بينما «ربو» يحكى حكاية تتقطع من فرط
الحشجة عن وقائعه فى السكك الحديدية، تلك
الوقائع التى لا يصدقها العقل وإن كانت حقيقية،
تتناوله الأم بعملية تنظيف وتكليس تدخل بها إلى
داخله وتخرج بها إلى خارجه، وتطلع بها من
فوقه وتنزل بها من تحته، حتى تصبح هناك
متعة (١).

(١) استخدام ساخر لكلمة المتعة، ثم كلمة السعادة، حيث أن المقصود
هو العكس! (المترجم)

لم تشعر الأم منذ سنوات بشيء من المتعة.

المتعة التي كانت الأم في الماضي تشعر بها أحياناً اضطرت أن تدفع ثمنها غالياً بطابور طويل من الأولاد.

وقد تبعت المتعة سعادةً دائمة، سعادة لم تكن مثيرة إلى حد كبير، ولكنها في المقابل كانت أكثر بقاءً، ألا وهي سعادة كثرة الاولاد.

«ربو» يدعهن يخدمنه وقد غمرته المتعة كدجاجة الليجهورن^(١).

«ربو» يود أن تمحو الأم كل ذكرى عن متع قديمة في داخلها. وأحب شيء إلى نفسه أن يرى كيف تقوم الأم بكحت القذارة من الأرضية بأظافرها. والموت وحده للأسف هو الذي سيحول دون إنجاز الأم كحت كل شيء غير نظيف عملته من قبل.

«ربو» يراقب زوجته مراقبة عنيفة، فكثيراً ما كانت تقع في الفواية في الماضي. أما الآن فـ «ربو» وزوجته على الطريق الصحيح، إنهما تقريباً في القبر. لم يبق لهما إلا برهة قصيرة.

«ربو» ينظر في جو الجبل المسالم إلى زوجته وهي تعمل. عظام حوضها المريضة تحتج بالطقطقة الصارخة على هذه المعاملة القاسية. لا شيء

(١) فصيلة من الدجاج، والدجاجة الليجهورن كثيرة البيض.
(المترجم)

يساعدها. ولا بد من أن يقوم أحدهم بالعمل،
وأحدهم هذا هو الأم. والامتحان (١) يعينها على
ذلك.

الامتحان يعصر من أجلها خرقة مبتلة.

يفرح بهذا روماتيزم المفاصل.

الأم تشبه قرن فاصوليا فارغ أو شنطة مشتروات
خاوية بعد أن وقع منها كل شيء من زمان. إنها تشبه
شبكة زادت فتحاتها خروماً كثيرة.

في هذه الأثناء تصعد «پاولا» الجبل عدواً.

عندما تدق حافلة النقل العام نفيها علامة على
وقوفها في محطتها تكون تلك العلامة بالنسبة إلى أم
«إيريش» علامة على أن «پاولا» رجعت من شغلها.

وتنتظر الأم فوق منذ برهة، آه ها ، الآن تلبس
«پاولا» ملابس نضرة، الآن تمشط شعرها
الخفيف المصبوغ باللون الرمادي الفيراني، تمسك
الآن قلم أحمر الشفاه، الآن الحذاء المصنوع من
البلاستيك الذي كان رخيص الثمن ولكنه جميل
الشكل. الآن تأخذ أيضاً الشنطة الصغيرة، المناسبة
لها لوناً، البيضاء. الآن: إلى الأمام سر.

(١) كلمة «الامتحان» مستخدمة على سبيل السخرية. ويذكر
الألمان والنمساويون بعد سقوط النازية أن كلمات «الامتحان»
و«الشكر» كانت ترد في خطب هتلر وجوبلس فاتخذت طابعاً مقلوباً
(جوبلز) وأصبحت عبارة «امتحان الوطن» تعنى الكارثة والمعاناة.
ونلاحظ أن الامتحان هنا مؤنس على طريقة يلينك التي تؤنس
المجردات. (المترجم)

إلى «إيريش».

الآن تبدأ الأم كذلك فى التحرك، شعارها اليوم هو: نعم للبطء الجميل، ولا للعجلة.

تظهر «پاولا» عند المنحنى، وتصطدم بالأم، جامدة ومغيظة. الأم تفكر حانقة وقد افترستها الكراهية: إذا كان الموضوع هو الرجل فهى تتحرك، أما إذا كان هو الشغل فهى فجأة لا تتحرك.

«پاولا» ترتطم فى جريها بأم «إيريش» كما يرتطم الطائر فى طيرانه بلوح زجاج، بحائط خرسانى، النتيجة واحدة: التوقف.

إلى الأمام سر. نزول فى الاتجاه المضاد، وبشء من الهمة من فضلك.

الأم تقول: «پاولا» لم تفقد هنا شيئاً. بينما «پاولا» فقدت هنا قلبها.

الأم تود أن يستمر «إيريش» فى حلب البقرة الوحيدة التى تدر لبناً لقهوة بابا، وتود أن يسقى الخنزير علاوة على ذلك. الأم تعاني من سل العظام، وهذا قدر مشئوم على «إيريش» أن يخففه عليها. قياساً على تقلبات حياتها كان العدل أن تستحق الأم شيئاً أسوأ من سل العظام، ولكنها نالت موظف حكومة، و«پاولا» تستحق شيئاً أكثر سوءاً، وسوف تناله.

«إيريش» يحتاجون إليه فى الأعمال الثقيلة، وفى الأعمال الدقيقة إذا كان يصلح لها بمخه المحدود.

سلام الرب عليكم (١) ، أتيت من أجل «إيريش»
بهذه الكلمات تستطيع «پاولا» أن تشدو كالعصافير،
ولا تستطيع أكثر من ذلك. إنها لا تخجل من الجرى
وراء «إيريش». «إيريش» هو أعظم ممتلكاتها إنتاجاً.

مثل اللعبة ذات الزمبرك التى على شكل حيوان
تدفع «پاولا» مسرعة هابطة سفح الجبل، وكل خطوة
تبعدها عن هدفها، عن «إيريش».

الأم تقعد دائماً، إذا لم تكن مشغولة بعمل، عند
كوة نافذتها للمراقبة وتحقق فى درب الجبل.

«پاولا» تقعد دائماً، إذا لم تكن مشغولة بعمل أسفل
درب الجبل، وتحقق فيه من أسفل إلى أعلى.

والجدة تقعد عند كوة نافذتها بحجرتها، والجدة
تقدمت بها السن وبلغت الحد الذى أصبح الناس
عنده على الأحرى يحتملونها على مضض، ولو لم تكن
ابنتها هناك هى وزوجها «ربو» الذى يعولها لضاعت.
وجود الجدة معلق فى خيط حرير، فوجود أكل أكثر
معناه وجود أكل أكثر من الاحتمال، حيث إن «ربو»
يلتهم كل شىء وحده.

الجدة والأم تقومان على التبادل بورديات مراقبة
حتى لا يأخذ منهما أحد «إيريش». و«ربو» على أية
حال لا يأخذ منهما أحداً بل يبقى لهم. ولا يقف الأمر
الآن عند حد أن كل واحد يكره كل واحد، بل إنهم

(١) التحية فى النمسا وجنوب المانيا Grüb Gott = حرفياً حياكم
الرب، سلام الرب عليكم. (المترجم)

جميعاً بإجماع جميل يكرهون كذلك أيضاً «پاولا» التي
ليس عندها ما تقدمه هدية إلا الحب ونفسها.
وهذا قليل أشد القلة.

«پاولا» تميل على الأحرى يقيناً إلى أن تستغل قوة
عمل «إيريش» لأهدافها الخاصة القذرة، ألا وهي بيت
وطفل وعيال وسيارة. والمنفعة التي يمكن أن تجنيها
«پاولا» من «إيريش» لا يمكن أن تعادل الضرب المبرح
الذي سينهال به «إيريش» عليها. الضرب المبرح لا
يعادل المال أبداً. المال أثقل من الضرب المبرح.
«پاولا» في المقابل ليس لديها ما تهديه إلا نفسها
وحبها.

وهذا قليل أشد القلة.

Twitter: @ketab_n

الفروق بين «زوزى» و«بريجيته»، المشترك المحتمل بين «زوزى» و«بريجيته»،

بين «زوزى» و«بريجيته» خط حدودى لا يمكن زحزحته: إبريق القهوة الملىء. إنه خط فارق حاد أليم يضع كلاً منهما فى مكانها ويفصل بين الشخصيتين اللتين لا سبيل إلى الجمع بينهما. إذا رفعت إحداهما إبريق القهوة وصبت القهوة، إذا بـ «زوزى» و«بريجيته» فجأة معاً جميعاً وليستا مفترقتين منفصلتين شتى.

ثمة نقطة فارقة بينهما هى على سبيل المثال أن «زوزى» تروم أن تحقق الخير للإنسانية كلها، للجميع، كباراً وصغاراً، وعلى نحو خاص الأطفال الصغار الجوعى فى العالم كله؛ لأنها امرأة وستكون عما قريب أمماً. تَصَوَّرُ الأطفال الصغار الجوعى بشعّ فى نظر «زوزى»، المرأة فى داخلها ثائرة من أجلهم، الأم المستقبلية فى داخلها تهبّ ساخطة من أجلهم.

ولهذا السبب ومن أجل هذا الهدف نشطت بقدر
ضئيل فى اتحاد طلابى سياسى وبقدر كبير فى فريق
للرقص الشعبى. وهى تخفى بمهارة على والديها
الحبيبين أمر الاتحاد الطلابى السياسى أما فريق
الرقص الشعبى فتحمله أمامها كالحمامة المحبوبة
....

«بريجيته» تريد «هاينتس». «زوزى» تريد فى المقام
الأول أن تناقش وأن تحاور. تخطر ببالها كلمات كثيرة
والأشياء المرتبطة بها، وهى تصرفها عن نفسها فى
اللحظة التى تخطر فيها ببالها.

«زوزى» تبصق فى كل مرة تفتح فيها فمها كميةً
كبيرة من الجوعى فى الدنيا قاطبة. «بريجيته» تبعد
القشدة المضروبة. الكريم شانتيى. عن بصق «زوزى»
وتضعها فى مكان آمن. «زوزى» تحب أن تتعلم الطهى،
وهو ما يعلمونه فى المدرسة الثانوية النسائية، حتى لا
تدع «زوزى» على الأقل زوجها وأولادها، عندما تكون
قد تزوجت، يضطرون فى المستقبل إلى الجوع مثل
آخرين كثيرين يمكنها أن تذكر أسماءهم. «زوزى» تجد
تعبيرات مختلفة كثيرة جداً تعبر عن الجوع والظلم.
«بريجيته» لا تجد إلا أن من الظلم فقط أن ينشغل
«هاينتس» بـ «زوزى». وزوزى تجد أن من الظلم أن
يشبع «هاينتس» وترضى نفسه، بينما يجوع الكثيرون.
وتردف قائلة شىء جميل أن يرقص الإنسان على
طريقة الشعب فى فريق رقص شعبى، ولكن شىء
جميل أيضاً، على النقيض من ذلك، عندما يكون
الإنسان إنساناً مفكراً، يهتم للبؤس فى العالم.

«بريجيته» لا تعرف إلا كلمة واحدة هي: هاينتس. وهي حقيقة تعرف الكلمة الدالة على العمل، ولكنها لا تنطقها؛ لأنها لا صلة لها بها. وهي تقول بالفخر كل الفخر إنها لم تعرف الجوع قط، ولن تجوع أبداً في المستقبل على العكس من الكثيرين الآخرين الذين لا تستطيع أن تذكر أسماءهم، الذين يستحقون ما يجرى عليهم؛ لأن الجوع لا ضرورة له، عندما يكون الإنسان مجتهداً، و«ب» هنا تفكر في «هاينتس» واجتهاده، ولا تفكر في اجتهداها هي.

و«بريجيته» تزهو بأنها كان عندها دائماً ما يكفيها، وبأن «هاينتس» سيكون لديه ذات مرة أكثر مما يكفيه، بل سيكون لديه أكثر مما يكفيهما كليهما جميعاً.

أحياناً يصيب «بريجيته» من المنفصات ما يكفيها، أحياناً تطلع المنفصات من داخلها حتى تصل إلى حلقها. عندما تتأمل «هاينتس» في مثل هذه اللحظات، تحس من فورها عندئذ بأن ما بها أقل من القليل، ويكون على «هاينتس» عندئذ أن يعمل، أن يشغل المحرك وأن يحقق إنجازاً عملياً.

إنجازاً عملياً يستطيع الجميع رؤيته.

«هاينتس» موهوب تقنياً، ولهذا فعلى إنجازه أن يقع في مجال التقنية. «زوزي» و«بريجيته» تزهوان بما تخرجه التقنية كل يوم. «بريجيته» أكثر زهواً من «زوزي» لأن «هاينتس» واحد من هؤلاء الذين خضعوا للتقنية، ويفهمون كيفية التعامل معها. سيبيع

«هاينتس» و«بريجيته» الكثير من الأجهزة الكهربائية، بل سيكون في مقدور «هاينتس» أن يصلحها.

«زوزى» أكثر زهواً من «بريجيته» لأنها سيكون في مقدورها مالياً أن تشتري كميات كبيرة من هذه الأجهزة. وسيكون في استطاعتها أن تعطي «هاينتس» أوامر لإصلاحها إذا ما أصاب بعضها عطل.

هناك فرق كبير بين زهو «بريجيته» الحرفى، وزهو «زوزى» الامتلاكى. «بريجيته» ليست فنية حرفية، «هاينتس» هو الفنى الحرفى. كذلك «هاينتس» يحس بالزهو.

«هاينتس» يزهو بأنه ذات مرة سيكون فى استطاعته أن يعين عنده عمالاً حرفيين، يؤدون من أجله أعمال الإصلاحات القذرة. عندئذ سيكتفى بمزيد من مراقبة المحل.

فى هذه الأثناء تظل «زوزى» دائماً تحس بالأسى حيال الناس الذين أحوالهم أسوأ من أحوالها هى.

وفى هذه الأثناء تظل «بريجيته» دائماً لا تحس بالأسى حيال من هب ودب؛ لأن عليها أن تركز كل التركيز على «هاينتس».

«زوزى» لا مصلحة لها فى «هاينتس». فالواضح أن «زوزى» عندها كل شىء. و«زوزى» تحس بالأسى حيال «بريجيته» أيضاً.

«بريجيته» تحس بالأسى حيال «زوزى» لأن «زوزى» لا تستطيع أن تعرف ميزات «هاينتس».

ومع ذلك وعلى الرغم من أنها لا تود أن تنبه «زوزى» إلى هذه الميزات، وعلى الرغم من أنها لا تود أن تسيل لعاب «زوزى»، فإن «بريجيته» لا تتكلم عن شيء آخر إلا ميزات «هاينتس».

«زوزى» لا تزال تحس بالأسى حيال «بريجيته»، التي لا يبدو عليها أنها تدرك أن هناك منتجات متميزة أفضل من «هاينتس».

والإنسان يلاحظ أن هناك بين الاثنتين حدوداً طبيعية هي من القوة بحيث لا يستطيع أحد هدمها.

«بريجيته» عدوة لـ «زوزى» أكثر من أن «زوزى» عدوة «بريجيته».

«هاينتس» يتابع بانتباه ما تشرحه «زوزى». وهو ينظر حوله، وينظر حواليه، ويبحث فى أى مكان عن جوع، مما يقال عنه إن الموجود منه كثير. ثم يقول على سبيل الفكاهة لقد اشتدت شهيتى بحق الآن بعد كل هذه المحادثات حول الجوع والبؤس، إلى تناول شريحة من اللحم المحمر.

ويمسح «هاينتس» بيديه على كرشه الشحمى وهو يزوم.

وتهب «زوزى» و«بريجيته» قائمتين كأنما وخذتهما عقريتان من جنس الترانثله (١). كل منهما تحاول أن تسبق الأخرى على الطريق إلى المطبخ. «زوزى» تفعل

(١) نسبة إلى مدينة تارانتو الإيطالية ويضرب بهذه المقارب المثل فى الوخز الأليم السام. (المترجم)

ذلك بدافع الاعتداد بنفسها، و«بريجيته» بدافع الخوف من براعة «زوزى».

وتطرح البنتان بعضهما بعضاً أرضاً. وتتلاكمان وتحداث الواحدة فى الأخرى جروحاً قبيحة وكدمات زرقاء. بل أصيبت «بريجيته» بسحجات. ويرقد «هاينتس» على الكرسى الطويل وينعم بالصمت والطبيعة والروائح المنبعثة من المطبخ. لديه الآن بالفعل شهية لتناول شريحة حلوة من اللحم على الطريقة الثييناوية (١) مع سلطة الخيار.

وينصت «هاينتس» مبتهجاً إلى صراخ «بريجيته» وزعيقها وقد همت بجذب «زوزى» من شعرها لتبعدها عن فرن المطبخ. ولكنها لا تتجح لأن «زوزى» رياضية متمرنة وتلعب كذلك التنس وكرة السلة. وتلقى «بريجيته» من «زوزى» ضربة تأديب على أصابعها، «بريجيته» تولول. تعوى كابن آوى، هكذا تذوب كل فرحة اليوم الجميل فى المسلى المقدوح. فى هذه الأثناء تنكب «زوزى» على العمل.

«زوزى» هادئة وباردة الأعصاب كالثلج ومتئدة مثل الموت ذاته وهى تفقش البيض.

كذلك الأم بعين ضاحكة وعين باكية ترهف السمع إلى ما يجرى فى المطبخ. بابا يقول إن البننتين

(١) Wiener Schnitzel شريحة اللحم على الطريقة الثييناوية نسبة إلى مدينة فيينا عاصمة النمسا تصنع من لحم العجل البيتلو وتكسى بالبقسماط، ولها شهرتها فى النمسا وخارجها.
(المترجم)

تتصايحان كالدجاج. عين الأم الباكية تقول إنها تفقد الآن «هاينتس» الذي ستأخذه «زوزى». هي التي ربتة، والآن تأخذه «زوزى» التي سترعاه هو وبطنه رعاية جيدة، لا قلق من هذه الناحية. وعين الأم الضاحكة تقول «بريجيته» بقى لها أن تنظر من خلف «هاينتس» وهو يولى عنها.

باستثناء دار المسنين لن تكون أم «هاينتس» على حق. «هاينتس» يفكر فى أن «زوزى» عما قريب لن تقرز نفسها بموضوع الجوع فى العالم عندما يكون عليها أن تتشغل كليةً بجوعه هو. سيتملى كل يوم من أيام «زوزى» ذات مرة كل الامتلاء.

سيكون هو شغلها الشاغل وستتلقى الحياة الأسرية لتزرع فى رأسها ثابتة راسخة.

«هاينتس» يمسك بالخيط كلها فى يده.

هكذا، شرائح اللحم تم قليها.

أبدعتها «زوزى». ولهذا يحق لـ «زوزى» أن تحمل الأكل كله وتدخل به. «بريجيته» تحاول أن تأخذه من يدها بالضرب، ولكن أم «هاينتس» أسرع من «بريجيته»، إنها تضربها على أصابعها ضربة قوية ترن وتحدث صدى.

يقول «هاينتس» لـ «بريجيته» الصارخة متئداً :
عندما أكل أحب أن أنعم براحتى. اسكتي، وإلا تلقيت منى ضربة أخرى. ضربة تسند ضربة.

ضربة تسند ضربة. «بريجيته» تلزم السكون على الفور، وتفكر في سعادتها المزدوجة، في البيت وفي محل الأجهزة الكهربائية. «بريجيته» تلزم الصمت لكي لا تعرض سعادتها للخطر.

«زوزى» منفوخة جداً، من فرط الزهو. أفكارها نظيفة جداً ونقية.

«هاينتس» الحلوف العلفوف لديه أفكار قذرة جداً، يكتبها الآن وهو يلتهم العلف. على الرغم من أن «زوزى» تخفى دائماً وبدأً بمهارة أنوثتها فهي موجودة. بعد الكيك والقهوة عندما يشبع «هاينتس» سيفكر في «زوزى» وأنوثتها

«هاينتس» لا يفكر الآن في شيء، فكاه يطحنان ببطء ولكن بإتقان.

«بريجيته» التهمها الكره تماماً حتى إنها نفسها لا تستطيع أن تلتهم شيئاً. وهي تحاول أن تحط من قيمة الشريحة الفييناوية التي أعدتها «زوزى». أما «هاينتس» فيرفع بدوره من قيمة الشريحة الفييناوية. ويلتهم نصيب «بريجيته» من فوره. إلى هذا الحد كان الطعم لذيذاً.

«هاينتس» يعتبر نفسه نواة الخلية الأولانية، هذا ما علمه إياه والداه الحبيبان.

«هاينتس» يعتقد أن الارتباط بينه وبين امرأة أصيلة كاملة الأوصاف لابد من أن يؤدي إلى العلاقة المثالية.

«زوزى» تعتقد بالفعل أنها امرأة أصيلة كاملة الأوصاف، ولكن هذا لا يمكن أن يؤدي إلى علاقة ما بـ «هاينتس». «زوزى» تريد رجلاً أصيلاً كامل الأوصاف تتخذه زوجاً، وليس هذا الرجل هو «هاينتس» فى نظر «زوزى» «هاينتس» بروليتارى علفوف. والرأى عند «زوزى» أن «زوزى» طباخة ممتازة، حتى لأبيها.

«زوزى» تحاول الاستمرار فى شرح البؤس حولنا وتحريض عائلة «هاينتس» على اتخاذ موقف ضد هذا البؤس.

أبو «هاينتس» يقول بلهجة شديدة الود إن عليها أن تسد حلقها؛ لأن ابنه «هاينتس» لا يود أن يسمع فى أثناء التهام الطعام شيئاً محزناً، بل يود أن يسمع شيئاً بهيجاً. وابنه «هاينتس» الآن يلتهم الطعام مرة أخرى، ألا تستطيع «زوزى» أن ترى ذلك.

«زوزى» تصمت مفزوعة، إنها تخجل من أجل الجمهور العام البليد الذى يجسده هنا أبو «هاينتس». «زوزى» هادئة تسترسل فى حلم: انقضت ساعتان مرة أخرى، وحتى الآن لا يبدو طبيب أول فى الأفق.

«هاينتس» يحلم فى يقظته بأشياء صغيرة: «زوزى» الصغيرة تتمنطق بمريلة صغيرة لطيفة فى حجرته المطبخ.

«هاينتس» الخبير الماهر بأمور الحياة، المتخصص الذى يعرف ما يعرف نقلاً عن والديه، يقول لـ «زوزى» هازلاً: ستولّى عن حضرتك هذه الأمور فى الزواج.

«هاينتس» الذى يتكلم دائماً بجمل عامة، كأنه يعرف الموضوع، كأنه تعلمه، أو خرج به من خبرة. والواقع أنه سمع به فقط من والديه أو من زملائه فى العمل. والداه لا يعرفان شيئاً، وإلا ما كان الأب ليقوم بسفريات بعيدة. وإلا كانت الأم على أية حال ستضطر إلى الاستمرار دائماً أبداً فى شغل البيت. وأياً كان الرجل فإن شغل البيت يظل ملك يمينها. «هاينتس» يتكلم كأنما كانت له خبرة كبيرة بالحياة، وما كانت لديه هذه الخبرة.

«زوزى» تحكى عن هواياتها: الأجانب من البشر والبلاد الأجنبية. «هاينتس» الخبير يقول الحال عندنا أجمل حال. «زوزى» تتكلم بازدراء. وعلى الرغم من ذلك يعرف «هاينتس» أحسن منها، هو رجلٌ رجل. «بريجيته» تظهر فى هذه الأثناء شدة اهتمامها بصينى وملاعق عائلة «هاينتس».

«بريجيته» تحافظ على الصينى لكى لا تتلفه يد أجنبية.

«بريجيته» تبين كم تحب الصينى المزخرف بالزهور الصغيرة، وتمسك الفناجيل بين أصابعها كأنها كتكوت خرج لتوه من البيضة. بخفة بالغة. ما كان يمكن أن تؤتمن على هذه الأشياء هذه الأيدي غير المدربة. المسألة تسبب حرجاً لوالدى «هاينتس». قد تعتقد «زوزى» الآن أن الصينى شىء خاص متميز عند عائلة «هاينتس»، وما هو بشىء خاص إلا فى نظر العاملة «بريجيته». والدا «هاينتس» يسارعان

بتأكيد أنهما يتناولان الطعام كل يوم في طقم صيني مزخرف بزهور صغيرة، فإذا تكسرت قطعة، هننشترى جديدة بدلها.

«بريجيته» تعتقد أن اهتمامها البالغ المفعم بالحب سيضطرّ الأفكار الأجنبية الخارجية التي تلاحظها الآن أحياناً عند «هاينتس» إلى أن تتلاشى، ولكنها لا تتلاشى؛ لأنها ليست أجنبية خارجية بل داخلية فهي أفكار موروثية عن والديه. أخطأت «بريجيته».

«زوزى» تمد يدها إلى الإبريق وكأنها هو من الصاج وكأنها هو ملك لها. نحن لسنا في السجن حيث الأواني المصنوعة من الصاج، إننا مع الصيني عند عائلة خطيبى المستقبلى. خطيبى! «بريجيته» تريد أن تتنزع منها الإبريق، وتحافظ عليه، وتضمه إلى صدرها إلى قلبها وتهدهده كالرضيع، حتى يرى كل واحد كم تقدر هي أيضاً قيمة ما سيكون ملكاً لها. وعلى الوالدين أن يسدا حلقهما، في دار المسنين، سيكون في مقدورهما أن يلتهما الأكل الرديء من طبق صاج، هذين المهكّعين المرعوشين.

إحدى البننتين على خطأ بين. كما هي الحال دائماً: «بريجيته». «بريجيته» و«زوزى» تلعبان على الحب والأنوثة.

«زوزى» تتجح في هذا المسعى لأنها فعلاً حبوبة، وهذا ما تستطيع بسهولة أن تكونه، فهو لا يكلفها شيئاً، ويسرُّ كلَّ من حولها. ولو كان يكلف شيئاً، فإن «زوزى» قادرة على تحمل النفقات.

«بريجيته» لا تنجح في هذا المسمى لأنها في الطريق القاسى إلى «هاينتس» أصبحت قاسية وامتلات مرارة. بالنسبة إلى «بريجيته» لا ينبغي أن يكلفها شيئاً، اللهم إلا جواهرها. وجوهر «بريجيته» ينخر فيه الآن الكثير من الضيوف الذين لم يستضفهم أحد: خط السوتيانات الجامد هو أشد هؤلاء الضيوف الناخرة عتواً. جوهر «بريجيته» رقيق كالحرير المستهلك التايك.

الصمود وحده هو الذى يحفظ الحصن. أما الحب فقد ذهب منذ حين لينام. ليس هناك من يستطيع أن يظل يقظاً كل هذا الوقت.

مرة ثانية يضطر الحب إلى الفشل وتنتصر القوة الغاشمة.

لا بد من أن تنتصر «زوزى» دائماً؛ لأنها حبوبة وطيبة. ولأن عندها إنسانية. «بريجيته» ضد الإنسانية.

«بريجيته» تكسب بكل القسوة الصراع على إبريق القهوة. تضطر «زوزى» ذات الأنوثة والنعومة إلى أن تترك الإبريق. وتجذب «بريجيته» المجردة من الأنوثة والنعومة إليها الإبريق منتصرة، وهذا هو الإبريق تضمه «بريجيته» إلى صدرها: لقد انتصرت. «زوزى» تقول، عندنا فى بيتنا إبريق أجمل من هذا بكثير، سأذهب الآن إليه.

وترمى أم «هاينتس» نفسها فى سكة «زوزى» لكى تبقى. وتعددها بأن تشتري أجمل إبريق على الإطلاق

إذا بقيت ولم تخرج. وتضم أم «هاينتس» «زوزى» بقوة إلى صدرها الذى أرضع «هاينتس» منذ سنين وجعله فيما بعد رجلاً ينظر إلى ما هو جوهرى. لا إلى اللاجوهرى. أى «بريجيته».

أم «هاينتس» تقول لـ «زوزى»، علينا أن نتضافر أنثوياً ضد القسوة اللاأنثوية - «بريجيته».

وكسبت «زوزى» المعركة فى النهاية بفضل أنوثتها ونعومتها. عليك أن تبقى هكذا يا «زوزى» لا تدعيهم يعلموك الخشونة!

ولكم ود «هاينتس» أن يصفع «بريجيته». فى اللحظة التالية يصفعها «هاينتس» بالفعل. على الرجل أن يفعل ما آلى على نفسه أن يفعله. هذا الظلم مؤلم! لقد أنقذت «بريجيته» فى نهاية المطاف إبريق العائلة من الدخيل. لا تزال تضم الصينى إلى صدرها، الصينى أصبح دافئاً دفاً الجسم، على عكس «هاينتس» الذى ظل بارداً حياً «بريجيته».

على مفرش المنضدة بقعة داكنة كبيرة. «زوزى» تعدو إلى المطبخ، لكى ترضى غرائزها التى تقول لها: نظفى المفرش!

تظهر فى الصورة خرقة مبلولة. بنجاح شخصى تدع «زوزى» الخرقة المبلولة تتزلق على مفرش المنضدة. تقول «بريجيته»: أنا لا أعطى الإبريق إلا الحماة أو هاينتس، أما حضرتك ف«لا». ولكن لم يهتم بها أحد. وصفق الجمع المتحمس المكون من «هاينتس» وأبويه، لـ «زوزى».

«بريجيته» غير موجودة. ولو لم تكن «بريجيته» لا تزال تمسك الإبريق بكوارعها المخرمة، لما رآها أحد إطلاقاً.

أما ما أخطأت في عمله «بريجيته» بلا أنوثتها، فقد أصلحته «زوزى».

وهي لا تريد في مقابل ذلك شكراً، لا لا .

«بريجيته» تريد في المقابل «هاينتس».

ولكن هذا المسعى يتحقق على هذا النحو على أية حال.

حيث يكون حب، يكون أيضاً طريق

القسيس يقول الحُبُّ طريقٌ إلى الأنت (١). «پاولا» تسعى إلى تفاهم مع «إيريش». «پاولا» تبحث إذا عن طريق إلى الأنت أكثر قريباً من الأرض. «پاولا» تبحث عن أساس تستطيع أن تقابل عليه «إيريش»، حتى يكون في مقدورهما أن يقوما عندئذ بأعمالهما القذرة المشتركة معاً.

كل منظومة مهما كانت من الصرامة فيها في مكان ما ثغرة يستطيع الإنسان أن يتسلل من خلالها. وكثيراً ما يقوم الحب باكتشاف مثل هذه الثغرات. فكَرَّ حُبُّ «پاولا» (٢) من فوره في الوكالة الاستهلاكية. حماتها المستقبلية نسيت الوكالة الاستهلاكية، وأصبح على «إيريش» دائماً أن يقوم بمشتريات الأسبوع الكبيرة.

(١) الـ + أنت . مثل الأنا والنحن والهو الخ. (المترجم)

(٢) تعمد يلينك إلى تشييء البشر (يبحث عن شيء أفضل بمعنى شخص أفضل)، وإلى أنسنة الأشياء فتجعلها تقول وتفكر (الفرائز تقول ؛ الحب يفكر). (المترجم)

ويأخذ معه كراسية فيها تسجيل لكل شيء. «إيريش»
يقدم الكراسية إلى السيد رئيس الفرع الذي يضع
الأشياء في الشنطة التي تحمل على الظهر فتزداد
ببطء ثقلاً شيئاً فشيئاً ويميل ناحية المطعم.

في كل مكان حول «إيريش» بل في داخل «إيريش»
حيطان من أجساد نساء، كلهن أمهات، من كل سن
على الأقل أم، وأمام باب الوكالة تتزاحم ثمار
بطونهن^(١) بالدزينات^(٢) وتتدلى كالعناقيد الكثيفة
على الواجحة، وتتدفع بجنون على رولرات فتصطدم
بأوتوبيسات وعربات النقل الخشبية والسيارات
الخاصة، وتقع تحت موتوسيكلات وسيارات كومبي
وسيارات نقل بمقطورات، وفي حالات نادرة تحت
الجرارات البطيئة التي يستطيع الإنسان أن ينجو منها
بالقفز إلى جانب الطريق. وقد لوحظ وسُجِّل فقدان
طبيعي بين ثمار البطون. ولكنه يؤخذ ببساطة؛ لأن
من الممكن على الدوام إنتاج ثمار جديدة بدل فاقد.
وعمل الثمرة ليس لطيفاً، والحمل ربما أقل، وليس
الوضع بكل تأكيد هزلاً، ومن يكون عنده عيّل يعاني
الأمرين. ولكن أياً كان الأمر فوجود المرأة كأم يظل
لعدة أعوام من خلال العيّل مبرراً ومضموناً.

كل واحد يرى: عائلة كاملة. الرجل يرى: الآن
عندي مخلوق آخر غير زوجتي أستطيع أن أضربه

(١) = العيال ، الأطفال إلخ والكلمة من لغة الكتاب المقدس.
(المترجم).

(٢) الدزينة أو الدستة = عبوة الجملة المكونة من ١٢ قطعة.
وتستخدم الكلمة للدلالة على الكثرة وقلة القيمة. (المترجم)

ضرباً مبرحاً وأن أزعق فيه، ولحم الطفل ناعم، ولكنه محدود المساحة.

المرأة ترى: لقد أنجزت شيئاً، ينبغى أن يكون حافظاً لى على مزيد من الإنجاز.

الطفل نفسه: الشخص الرئيسي، التبرير الحى لكل الوقت المضيّع دون ما فائدة، كل الوقت المشحون شحناً هائلاً بأعمال لا فائدة فيها لمن تقوم بها، فهى تتجزها من أجل آخرين، من منطلق فكرة خلفية معتمة مفادها أنها فى نهاية المطاف سترتد إليها على هيئة نور أمومة ساطع على الأقل فى عظة يوم الأحد بالكنيسة، وهو ما لا يحدث أبداً؛ لأن الأعمال تقع عليها، لا فى هيئة ضياء قدسى، بل كتلة تزن خمسين كيلوجراماً تطحن الإنسان وتحيله إلى طحينة. وذات يوم تذهب كتلة بلا شكل اسمها مانا إلى الفراش ويكون من يدعى بابا قد مات ودفن من وقت طويل

....

الشخص الرئيسى، الطفل الصغير، تغير له اللفظ والكوافيل، إلى أن يمشى ويجرى بالرولر، عندئذ تنهال عليه الصفعات، ويحملونه أثقال شنت المشروات، ويحشونه بالمحشات، ويفتونه تحت السيارات، أو يسقط فى الترعة الشيطانية، أو فى أيدى أب مخمور، أو تحت خشب الوقود المفلوق أو شظايا خشب الوقود المهودور أو فى أيدى بعض هاتكى الأعراض. عندما ينجو بحياته يمكن أن يرتطم وهو ابن الخامسة عشرة مخموراً ركباً الموتوسيكل فى عمود الكوبرى الخرسانى.

من الممكن أن يلاحظ الإنسان طفلاً منهمكاً فى محاولة لعبة تنتفض انتفاضات واهية، فينجذب عنها فجأة جذباً شرساً، وتتهال عليه ضربات على الرأس، وشلايت ورميات بحقيبة الظهر، ثم هيا إلى شراء علف للبهائم. رجوع وملح.

لا يخطر ببال صاحبتنا «باولا» شىء من ذلك بينما هى فى الخارج تحت أعين الأمهات المتشككات وعلى أمل أن تلقى عيني «إيريش» المعجبتين، أمام باب الوكالة توزع بونبون. وتمنع الأولاد الكبار من أن يأكلوا ما تعطيه من بوبون، وتحضهم على أن يأخذوه إلى البيت لإخوتهم الرضع الصغار جداً. فإذا دس أحدهم سراً بونبونة فى فمه تهال عليه صفة، تتخلخل من عنفها الأسنان.

كثيراً، كثيراً، ما تترك حلة الطهى وهى تغلى دون أن يعبا بها أحد، وتدفع المرأة كالمجنونة إلى الرضيع الذى لا إرادة لها، لكى تجرد جسمه بالقوة من الثوب الملوث بالبراز^(١)، وتعمل بطاقة عارمة على أن تدسه فى ثياب بيضاء ناصعة كالثالج مفسولة لتوها. ثم

(١) نلاحظ فى كتابات يلينك الالتزام العلمى بتسجيل التفاصيل الحيوية التى تشمل الجنس والإخراج والضرب العنيف والدم والجراح والمرض والموت والسذاجة التى تؤدى إلى الكوارث والجهل والجرى وراء الرجل بأى ثمن ووراء خلف العيال دون تدبر وتدبير. ويشمل هذا الالتزام استخدام السجل اللغوى المباشر الذى قد يهز الحياء والتحفظ ورقة الإحساس لدى من لم يالف قراءة هذا اللون من الأدب. ومن منظور مفهومي عن تناقل الثقافات أقف موقفاً وسطاً، مراعيماً أن يكتسب القارئ الواعى الانطباع الصحيح عن الأصل. (المترجم)

تتوالى القبلات الكثيرة من أفواه كثيرة تتطبع على البرياتوز الممتلئ. ويجرى نقل البراز إلى الغسالة. معجزة من معجزات الطبيعة تتكرر دواماً، كيف يبدل الشيء الأبيض، بل الأكثر بياضاً من الأبيض بالشيء الداكن النتن. نسى البراز، وطلعت الشمس. أفواه كثيرة معجبة جاءت لتوها زائرة، تقول للطفل الصغير يا خنزور وتقول للأم السعيدة يا أيتها الأم النشيطة. كثيراً ما تحس «پاولا» بدافع نحو «إيريش». كثيراً ما تحس الأم بدافع نحو التنظيف.

وهذا هو الدافع نحو «إيريش» قد حل. الشاب الحليوة يحدث أثراً طيباً على هذه الخلفية من أجسام النساء ومن أصحاب المعاشات المهكمين المرتعشين ومن الصفار غير البالفين المحملين بأثقال فوق الطاقة. ويشق «إيريش» عفونة العرق كما تشق الستارة، وهاهو ذا.

وراء منضدة الوكالة نساء متبرمات بلا دبل زواج، لابسات معاطف بيضاء يصلحن كويتها، بينهن أم ولد غير شرعى، وسينذهب الولد، الآن عما قريب، مبكراً، إلى الغابة لقطع الخشب. تسريجات شعر برماننت، بلوفرات جديدة عليها اسم الوكالة تحت المعاطف البيضاء، أحذية واطية برياط ومن فوقها سمانة رَجُل بيضاء تخينة، أسنان ذهب، سلسلة ذهبية يتدلى منها صليب. تنهال على «إيريش» أسئلة كثيرة صعبة مجلجلة عن أمه وجدته وأبيه، وتخرج إجابات من فم «إيريش» أبطاً بكثير من الأسئلة. حيال الأسئلة يقف

«إيريش» كالثور أمام السياج الحديدى. شكراً بخير.
نور النيون غير مألوف للعيون التى يتاح لها أن تنعم
بهواء الريف النقى. نور النيون غير طبيعى وغير
صحى. «إيريش» جميل الطلعة ممشوق القوام.

البائعات يتملكنهن فى الحال حنين إلى نُتفة من
الحب.

«إيريش» ليس لديه نُتفة من الحب ليوزعها، بل
ليس لديه حب بتاتاً. حتى أقرب قريباته، اللاتى
انقصت أيديهن من مدها أكثر من مرة تطلب
«إيريش» وضربه المبرح، لم يُتَحَ لهن التعلق به، بحب
«إيريش». «إيريش» يتمنى أن يقتل أباه وأمه، ولكنه لا
يجد لديه الشجاعة للتنفيذ. والجميل أنه بدلاً من
ذلك يعذب كلباً صغيراً، قطة أو طفلاً صغيراً، عندما
لا يراه أحد.

ليت «پاولا» تعرف ذلك.

«پاولا» تجرى وراء الحب جرى الخنزير وراء حشف
البلوط.

«پاولا» تشمشم فى كل الشقوق بحثاً عن «إيريش»
لتهبه نفسها.

والحانة تنظر ساكنةً إلى هذه الأعمال، ولكنها
سوف تدخل فعلياً عما قريب فى الصراع بين
الجنسين.

عندما يكون الإنسان مخموراً، يضرب أسهل من
غير المخمور، ولكنه يفيد من الضرب أقل لأنه يضرب

وكان غيامة تغشاه، ولا يستطيع حتى أن تكون لديه ذكرى جيدة عن الضرب. على «إيريش» أن يجد طريقاً وسطاً يمكنه سلوكه، وهو ما يتطلب سنوات كثيرة من الزمن، إلى أن يقع مرض الشيخوخة أو تقع الشجرة. سنوات كثيرة من الممارسة.

أما «باولا» فلا تزال تعتقد دائماً أن الحياة والحب أمامها، ولم تعرف للآن أن حبها وحده على أكثر تقدير هو الذى أمامها. على الإنسان أن يعمل كل شيء بنفسه. فى مقابل ذلك يَنْتُجُ شَيْءٌ. عندما يعمل الإنسان كل شيء بنفسه فسيكون كما ينبغى، ونقول فى نهاية المطاف إن الإنسان لم يعد فى مقدوره أن يعتمد على أحد حق الاعتماد.

فى الخارج صرير فرامل. إنسان أفلت من الموت.

«باولا» ترافق «إيريش» ومشترواته إلى الشونة القديمة. عدد من أولاد الريف الأصحاء سبقوها ودخلوا ثم خرجوا مرضى. البعض وجدوا فيها سعادتهم ثم فقدوها بعد ذلك مباشرة، والغالبية وجدت هنا تعاستها. قليلون هم من وجدوا هنا شيئاً يمكن أن يدخل السرور على النفس. الشعور بالسعادة ليس هو القاعدة هنا، هنا تسيطر الحسابات وعمليات الجمع وعمليات الطرح. هنا برودة ثلجية.

هنا لم تتحقق بعض أشياء كانت مأمولة. هنا قال البعض عما قريب سنكون ثلاثة. هنا تحطمت بعض الزيجات وبعض القلوب. هنا يسود الوله الذى لم يره أحد حتى الآن رأى العين. هنا يدخل الإنسان مبتوراً

عاطفياً ويخرج مبتوراً عاطفياً. وما جرى بين دخول وخروج فلاشئ، ولا يغير شيئاً. هنا يسود قانون أسفل البطن، على خلاف قانون الغابة، الذى ينطبق عند العمل. وتبتلع فى الختام صنوف مختلفة من مياه أذيب فيها مسحوق الفسيل الملابس المتسخة التى كانت قد دخلت الشونة نظيفة مفسولة.

«إيريش» يتعثر قليلاً تحت وطأة شنطة الظهر الثقيلة وتحت تأثير السيد الكحول (١). «پاولا» تحس وخزاً فى قلبها وضيق تنفس لأنها تتأهب لشيء كبير. والسيد «إيريش» الكبير موجود، ولن يأتى شيء كبير غيره من بعد.

«پاولا» تافت فرحانة إلى الحب الذى لن تناله. حتى بعد أن انصرف «إيريش» تبحث «پاولا» بين كتل الخشب وفى المزود المنتن وفى التبن وفى مصرف الروث عن الحب.

ولكنها لا تحس إلا بالأم فى

«إيريش» يصعد الجبل

«پاولا» تعلم أن الحب يؤلم عند فقد إنسان عزيز، حدوث مصيبة، حادث بالسيارة الرياضية، الموت تحت مشرط الجراح أو انتحار مأساوى.

كيف يمكن أن يؤلم الحب عندما يأتى؟ وليس فقط عندما يذهب؟

(١) تصور الخمور والكحوليات على سبيل السخرية على صورة إنسان تسميه السيد الكحول. (المترجم)

«پاولا» تجلس فى التبن تقريباً فى لحظة تحول الطفل المرتجى فى مخها إلى خوف فظيع وخطر مستطير. من طفل مرتجى إلى طفل مرعب. «پاولا» والعواقب.

إذا لم تكن «پاولا» بجسمها الذى لم يكتمل نموه وعقلها الضامر، واشتغالها المبتدئ فى الخياطة وفستانها الأحمر الجديد، قد استطاعت التمكن من «إيريش» فكيف يمكنها التمكن من «إيريش» بطفل صغير؟

ونحن لم نصف الحب بين «إيريش» و«پاولا» لأنه لم يكن له وجود. كان ما بينهما كحفرة فى الأرض يعثر فيها الإنسان، فيقع داخلها، ثم يسير من بعدها بخطى عرجاء. لم ينكسر شئ إلا إنسان من البشر فى زهرة عمره.

ويوم الغسيل فى البيت يبتلع بلا حياء المنديل كما ابتلع قمصان الشغل العرقانة الخاصة بالأب والأخ. هكذا يكون الفرح والألم والعمل قريبين أشد القرب بعضهم من البعض الآخر.

بالنسبة إلى «پاولا» يتطلب الحصول على «إيريش» والاحتفاظ به عملاً ثقيلاً. لم يعد للحب مكان فى الجسم الحب فى رأسها فقط....

خير للإنسان أن تكون لديه حجرة مطبخ جديدة لامعة من أن تكون لديه فرخة فى بطنه. الفرخة لا تدوم والمطبخ يبقى ويدوم.

كذلك لابد من أن تأتى غسالة آلية.

على «باولا» الآن أن تربط بين عمل آلة وبين مهارة
الراقص على الحبل.

ما يتهددها شيء أكثر من الانهيار.

ما يتهددها هو انقطاع التعب....

وليس جميلاً دائماً أن ينقطع التعب.

للأسف

ألا يوجد سوى عطلات نهاية الأسبوع فى الحديقة الشربيرية، هذا ما تفكر فيه «بريجيته» التى ناداها الواجب لتوها: تعالى يا «بريجيته».

كثيرات يدخلن فى العمل بشراً لم يتغيروا ويخرجن منه وقد اعتراهن مزيد من التصلب والسوء.

«بريجيته» لا تريد أن تزيد صلابة، بل تريد طفلاً.

لا شئ فى رأس «بريجيته» سوى «هاينتس».

«هاينتس» يقعد عند نهاية مستتقع طويل كما يمكن أن يجد الإنسان مثيله فى رعوس كثيرات من زميلاتهما. مع فارق هو أنه ليس هناك عند نهاية كل مستتقع واحد كـ «هاينتس» يقعد ويلوح، وليست هناك صنايير ماء منكلة ولا سخان ماء ولا سلطانيات تواليت.

عند نهايات المستتقيات الكثيرة الأخرى ينتظر

أناس أقل بكثير من «هاينتس» عقلاً وبدناً وخلقاً.
كثيراً ما لا يكون لديهم أيضاً وعى بالواجب.

كذلك «بريجيته» ليس لديها وعى بالواجب. فى الزواج ستتعلم «بريجيته» الوعى بالواجب، كما تعلمته صبايا كثيرات كن من قبل مستخفات متساهلات إلى حد كبير. «هاينتس» يصر - عن وعى بالواجب حيال بدنه المحتاج للراحة وحيال أصدقائه - على ممارسة البولينج. «بريجيته» - عن شك فى نوايا «هاينتس» أو عن معاندة - لا تذهب لممارسة لعبة البولينج. كثيراً ما يرى «هاينتس» وهو يمارس البولينج نساء أجنبيات، وأحياناً بدون زوج شرعى.

النساء اللاتى ليس لهن رجال قوامون عليهن خطيرات جداً على شاب لم يصلب عوده بعد مثل «هاينتس» الذى لن يصلب عوده إلا فى الزواج.

عندما تأخذ «بريجيته» بعد ذلك «هاينتس» الذى تعلقت به كله قطعة واحدة بحيث تفوح منه رائحة البيرة القميئة وتنتشر فى كل مكان، فإنها تحسن بإحساس خالص بالامتنان، وكأنما امتدت يد الجن

لم يكن هناك شىء يمكن الإحساس به حتى ذلك الحين، ولكن هذه الراحة الهائلة عدلت مزاج «بريجيته».

وهذا أمر ضرورى لأن أمامها مرة أخرى يوم عمل شاق.

وقد حدث

وقد حدث لـ «پاولا» أن انقطع التعب.

تبع الخوف من انقطاع التعب ، ولم تكن امرأة في محيط «پاولا» تستطيع أن تفكر فيه إلا على أنه تعب، انقطاع للتعب لا راد له.

حتى الآن لم يأت من الحب شيء، بل انقطع شيء، علامة على أن شيئاً سيأتى من شأنه أن ينشط وظيفة «پاولا». شيء كبير.

نفس الحياة أى لس «پاولا»، ولكنه لم يمسه فقط.

الخِياطة ما زالت هناك. ولكن «إيريش» هو الذى ما زال مختفياً.

ليس لـ «پاولا» أن تصعد الجبل، وهو ما لم يكن يعنى بالنسبة إليها شيئاً لأن سرها الحلو، كما يسميه الناس، يحيطها بأستاره أيضاً فى الوادى.

سر «پاولا» الحلو لابد أن يُبلِّغ للرجل الذى تحبه
والذى .. ، حتى يتبع ذلك الزواج.

عما قريب سيجعل سر «پاولا» وجهها أنعم،
ونظرتها أحن، وبطنها أضخم، وصدرها أكبر،
وظهرها أشد إيلاماً، ووزنها أثقل، وخوفها أشد.
السبب: «پاولا» تخشى والديها اللذين يتسمان
بخشونة الطبع، ولكن السر سر حلو.

«پاولا» لم تقل لـ «إيريش» حتى الآن أنا أحبك؛
لأنها لا تكاد تعرفه، والآن تقول الجملتين بنفْسٍ واحد،
أحبك وفى بطنى طفل منك.

وعلى «پاولا» أن تبلغ الأم والأب. ويلاه.

«پاولا» تحتاج إلى «إيريش» فى وقت الحمل هذا
على نحو خاص جداً؛ لأنه يعنى بالنسبة لكل امرأة
موقف أزمة، وبالنسبة للتكوين العضوى الأنثوى حملاً،
ولكن حمل مفرح. «پاولا» تحتاج فى وقت الرجاء
الصالح هذا إلى الكثير من التفهم والعناية والحماية
من الحيوانات الشرسة والعمل الصعب والضرب
العنيف والمعاملة اللاإنسانية. و«پاولا» تفكر فى أن كل
معاملة لاإنسانية، حتى لو كانت هينة، ستثير الأسى
فى قلوبكم، إذا ما علمتم أننى أشعر فى داخلى بحياة
ناشئة. الحياة التى لم تولد تتمطى داخل «پاولا»
وتتمدد نحو الشمس.

«پاولا» تتخيل أحياناً فى كوابيس مرّضية ما يمكن
أن يحدث إذا هى قالت لأبيها: يا بابا أنا أحتاج الآن
إلى الكثير من الرعاية والعناية لأن فى داخلى شىء لم

يولد يتمطى ويتمدد نحو الشمس. حينئذ تقبض يد استهجان حديدية على «پاولا». على الرغم من أن بابا أنجب الكثير والأكثر من الكثير من العيال.

هل سيقول مرحى! مرحى! حفيدى يخرج الآن من أحشاء ابنتى، يا مرحباً، أهلاً وسهلاً، ادخلوا، هانحن أولاء لدينا مرة أخرى فى بيتنا حياة رضية صغيرة تكونت لتوها، المهم أن تكون سعيدة؟

والأم، هل ستعطى تقريراً فنياً من خبيرة عن هذا الوضع البهيج الطويل الذى ليس بلا نهاية؟ هل ستحيط ابنتها بالرعاية والعناية؟ هل ستساعد فى شراء لوازم الطفل؟ لونها أزرق أم وردى؟ أم أصفر؟ موضوع ظريف. عندئذ لن تكون «پاولا» وحدها هى التى تعيش، بل هناك كذلك حياة ثانية حياة طيبة. عما قريب حياتان سعيدتان بدلاً من خياطة واحدة.

و«إيريش»، الأب السعيد، سيمضى كل دقيقة فراغ مع الأم والطفل، سيكرس كل دقيقة فراغ للسهر على زوجته الصبية، وسيكف عن شرب الكحول، ولن يمقت أحداً بعد الآن، ولن يبعثر النقود، إلى آخره.

«پاولا» تتوى أن تفتح لأمها داخلها كله بما يجيش فيه. والسبب: الأم نفسها كانت أمأ عدة مرات وتفهم هذا الوضع الذى تهيم فيه «پاولا». بل إنها تفهمه أكثر من رجل لا يمكنه إلا أن يكون أباً ولا شأن له بهذا القرف المقرف الذى هو من شأن النساء «پاولا» تحكى حكاية مسألة نسائية لامرأة هى الأم التى هى امرأة.

«پاولا» تضع ثقتها فى أنوثة أمها، فيخيب رجاؤها.

الأم تهال على «پاولا» بكل حاد من التقرير والتشنيح وتدكها فى الأرض دكاً. وكل الأولاد الذين كانوا فى زمن مضى حملاً ثقيلاً فى أحشائها، يبدو عليهم أنهم يدكون معها بكل همة، هكذا حطت على المرأة كل هذه القوة الهائلة فجأة.

لم تسمع «پاولا» حتى الآن ضربات البلطة مدوية بعيدة الصدى إلا فى الغابة. ولو لم يكن التدبير لقتل «پاولا» بالبلطة ليتم بكل هذه الكراهية، لكانت عملاً بهيجاً. المحبة تضم، الكراهية تفرق. أم «پاولا» تكره «پاولا» بسبب الطفل الذى فى بطنها. أعضاء مختلفة أخرى فى جسم «پاولا» تتحطم نتيجة لهذه المعاملة.

أم «پاولا» كرهت زوجها من قبل مراراً بسبب الأولاد فى بطنها، بسبب زيادة الشغل، وعملية الولادة المقززة، وكذلك كرهت مراراً وتكراراً الأولاد فى بطنها ثم الأولاد خارج بطنها، والآن فقدت شعورها ولبها نهائياً حتى أنها لا تكره فقط طفلاً خارج بطنها وداخل بطن ابنتها، بل تكره علاوة على ذلك ابنتها. سيعتقد الناس أنها ربت ابنتها نفسها تربية غير صحيحة. هذه الفضيحة وهذه السخرية. فوق هذا الشغل الجنونى كل يوم تأتينا الفضيحة والسخرية. تستطيع أم «پاولا» ارتجالاً أن تذكر دزينة من الناس، كلهم خشابون، ومعهم معيبتهم، سيفرحون لهذه المصيبة من فورهم ارتجالاً أيضاً. ومنهم أناس فرحنا فرحاً هائلاً لمصائب حلت بهم (ابن معتوه، أب فى السجن

بجريمة هتك عرض، أم استأصل الجراحون أحشاءها كلها، أب وقعت فوقه شجرة قضت عليه، أم هربت من زوجها وعيالها ودخلت المصنع، طفل يعيد السنة في المدرسة مرة بعد مرة، سحب رخصة قيادة نهائياً بسبب السكر، سقوط قاتل من أعلى الجبل، كرسى جديد تماماً مزقه الابن شر ممزق بالمقشط... إلخ).

ومن الممكن أن يفرح هؤلاء الأندال بمصيبتنا فرحاً زائداً، وهذا خاطر فظيع خطر ببالها.

البنات «پاولا» سيكون عندها طفل

البنات «پاولا» سيكون عندها طفل!

مشهد كراهية مضحكة في قاع الوادي هنا.

الكراهية تنتقل كالنار المتدافعة من جبل إلى جبل.

و«پاولا» في قلب النار، بل ربما هي التي أشعلت النار.

تذهب «پاولا» متلطفة كل التلطف إلى أمها التي هي أم أيضاً وتسلك إليها طريقاً شاقاً مطولاً، وتدس رأسها الصغير الذي لم يصفف شعره، تحت ذراعها، كما كانت «پاولا» الصغيرة تفعل دائماً في الماضي في زمن الطفولة التعيس، تذهب إليها لتعترف وتريد أن تأخذ بعض وصفات تريكو وكروشيه تستخدمها في الجاكته اللذيذة الزرقاء أو الوردية التي تود أن تشتغلها أو تطرزها لطفل «إيريش». وكوفئت ثقة «پاولا» كالمعتاد بالضرب المبرح وصراخ الكراهية الهائل..

رأس «پاولا» معلق فى خيط رفيع، فليس فى جسم
التي ستصبح أما موضع سليم.

وعندما يظهر الأب القوى فى الصورة التي هي
الواقع ستكون الحال غير الحال!

وهاهو ذا يظهر، ويعرف الخبر بكلمتين على
أسلوب البرقيات، لكى لا يضيع وقت الضرب المبرح
الثمين، الأم قطعت النفس من فرط الضرب المبرح
الذى انهالت به على «پاولا»، لا تستطيع أن تضم
شئات الحكاية وتربط الأسباب بالمسببات، فعليها أن
تضرب وأن تزيد وتعيد فى الضرب.

وتستمر توأ، هيا إلى مطاردة الصيد البهيجة، هذا
أجمل وقت لها، من كان الخنزير؟ من هو الخنزير؟ أى
خنزير هذا الذى عليه الآن أن يتزوج، أراد أو لم يرد؟
عجيبة من العجائب أن هذا اليوم المثير لم يتبعه
سقوط الجنين.

«إيريش» ذو الرأس الخنزيرية.

فى الفترة التالية لم يجر على «پاولا» الكثير مما
كان من المؤلف أن يجرى عليها. لم يجر على «پاولا»
فى يوم من الأيام شىء ذو بال. يقولون إن جروح الروح
كثيراً ما تؤلم أكثر من جروح البدن، ولكن جروح
«پاولا» البدنية فى هذه الحالة ليست هينة، إنها تحتاج
إلى عناية وبعض المراهم.

«پاولا» تشعر بأنها تعامل كشىء غير مستحب، ولا
تعامل كإنسان، فهى إنسان. ولو كان الوالدان قد انهالا

بالضرب المبرح على شئ صلب لا يلين، فالأرجح أن رسفاهما كانا سينشقان.

ولا حاجة بالإنسان إلى أن يقول شيئاً عن حالة «پاولا» النفسية. لقد أصبحت إنساناً صلباً كالصخر متجمد كالثلج.

لم يأت أى «إيريش» ليساعد. «إيريش» تملكه الغابة، أما الغابة فلا يملكها «إيريش» بحال من الأحوال.

إذا لم يكن حديثاً من امرأة لامرأة. وهذه نماذج الكروشية المقصوفة ملقاة مكموشة على الأرض متسخة ومدنسة.

صحيح أن «پاولا» لم تُرجم رجم المدنسات، ولكنها خائرة منهارة. الطفل فى بطنها الضيق يهدد حياته حمامُ الماء بالصابون المحبوب ذو المفعول الأكيد الذى يقولون إنه سيجعله ملكاً صغيراً، وإن كان الفشل يحيق به أحياناً؛ لأن الحياة الناشئة تتشبث بأرض الأم.

ماء جيد ساخن يفلى بصابون من علب مسحوق الفسيل الجيدة النظيفة الملونة وفيها الكثير من السم الجيد (١). يمكنه حتى أن يقضى حتى على الأب إذا ما ابتلعه. ولكن الأب يفضل ابتلاع سِجِّق حثالة الخشابين.

(١) نلاحظ السخرية فى استخدام كلمة جيد ثلاث مرات متتالية فى جملة واحدة. (المترجم)

وهذا وسيط في طريقه إلى «إيريش» من خلال الغابات والحقول والترع الشيطانية. ليس الموقف رومانتيكياً على الإطلاق.

من المأمول أن تكون السحجات والكدمات الزرقاء والجروح والرضوض قد خفت إلى أن يحين حين عقد القران.

في كيان «باولا» رنين نشيد، ولكنه ضعيف جداً. فيه بدلاً من الجروح فستان دانتيلا أبيض طويل يصل إلى الأرض ومعه طرحة (١).

لا ماء بالصابون، بل قبة جميلة من الزهور.
لا إجهاض، بل تورته زفاف جميلة.

ليس فيه سقط ميت صغير، بل شواء جيد من لحم الخنزير.

من الحجرة المطبخ تحملق نظرات كراهية مثل الأشواك، كثيفة هذه الأشواك، فلا يكاد أحد يستطيع من خلالها أن يدخل المطبخ.

حيوات وأمنيات خائب رجاؤها تنتقم الآن متزامنة من «باولا» (٢).

(١) في السطور التالية استخدام ساخر لبعض تقنيات النصوص الشعرية الفنائية البسيطة، وبخاصة الشعبية، من قبيل تكرار كلمة مرتين أو اللعب بكلمة لها أكثر من معنى أو التجنيس الناقص، أو القافية الضعيفة، مع عدم الاهتمام المتعمد بالمقومات الشكلية الكلاسيكية التقليدية لأسلوبيات وجماليات الشعر الفنائي. (المترجم)

(٢) لا يصدر عن الانتقام عن منظومة دينية أو أخلاقية، بل عن معاناة أفراد طوال حياتهم من ظلم وبؤس وانتقام يتحول الآن إلى هدف مستضعف. (المترجم)

البقية الأخيرة من الحسية في «باولا» تتسرب في التربة. فقدان كامل للإحساس البدني.

محاولة قتل الصغيرة «زوزانه» في بطن «باولا» لا تتجح. أما قتل الأب والأم فقد تم منذ سنوات. هناك بالنسبة إلى «باولا» عالمٌ تحطم، وليس لذلك أهمية، لأن العالم على أية حال لم ينتم في يوم من الأيام إلى أي جزء من «باولا».

Twitter: @ketab_n

بل لى صديقة

لى صديقة تذهب إلى المدرسة الثانوية، هكذا تتفاخر «بريجيته» أمام إحدى السكرتيرات وجزر الكناريا التي جاءت منها. عند التفكير في «زوزى» تتقلص معدة «بريجيته»، وتكاد القهوة المصفأة (١) تصعد إلى أعلى وتخرج من فمها ومن فتحتي أنفها. وعلى التويخالج «بريجيته» الأمل في أن يتحقق الحمل في هذه المرة. ولكن ليس الذي في مخيلتها سوى «زوزى».

«بريجيته» تدعى أن «زوزى» تعاملها كأنسان.

السكرتيرة ترتب أشياء خاصة بالمكتب بحركات تتم عن التملك. وهي تشعر بأنها تنتمي إلى رئيسها، وهي لا تشعر في أية لحظة بأنها تنتمي إلى «بريجيته».

(١) القهوة المصفأة هي القهوة العادية التي يشربونها في ألمانيا والنمسا. (الترجم)

فبين «بريجيته» وبينها هوة عميقة. والهوة بينها وبين «بريجيته» أسمها: مدرسة التجارة.

وليس هناك غير هذا ما يقال أو ما يحس به.

وليس هناك ما يُعمل إلا الانتظار.

«بريجيته» و«پاولا» تنتظران الزواج.

«هاينتس» إنسان طيب؛ لأنه سيتزوج «بريجيته» بسبب طفلها وسيهيئ لها حياة فى حياة الأعمال.

وقت الانتظار لا يمكن أن يشغله أحد بموسيقى أو بكتاب جيد مشوق أو برنامج تليفزيونى أو أمسية بولينج. لا بد أن يصبح وقت الانتظار صفحات خالية. «إيريش» إنسان أسوأ؛ لأنه لا يريد أن يتزوج «پاولا» بسبب الطفل. ولكن لا بد أن يفعل على الرغم من ذلك.

مرة أخرى يقوم أبو «هاينتس» الذى نقص نصيبه نقصاً مفرطاً بتقريع ابنه بقبضة بوليسية، تعينه عليها غضاريف عموده الفقرى المستهلكة عوناً شيطناً. إنها ترسل من أسفل إلى أعلى إشارات ألم كالإشارات التلفزيونية إلى مخ الأب. يتكلم الأب بثقل كل خبراته الحياتية الكئيبة. «هاينتس» يضيق نفسه ويلهث بحثاً عن هواء وعن «زوزى».

«زوزى» تلهث بحثاً عن هواء تتنفسه تحت المعانقات الرياضية القوية التى يضمها بها أبوها الرياضى الذى يمارس أيضاً لعبة التنس. أبو «زوزى» يعانق ابنته لأنها أنجزت وحدها بالتمام والكمال تورته جيدة.

أبو «هاينتس» لم ينجز (١) حتى الآن حياته تماماً إلى نهايتها على الرغم من أن عموده الفقري المكسّر لا يكاد يستطيع أن ينجز شيئاً له فائدة، لا لمن يعطيه لقمة العيش، ولا لصاحب العمل، ولا للأب نفسه. لا يزال أمام «هاينتس» حياته، وهذا هو ما أن يعتقد. و«بريجيته» أمامها حياة «هاينتس».

بينما أمسك الأب «هاينتس» من رقبته مسكة الخنق بكل طاقات سواق المسافات البعيدة الذي لم يعد صالحاً للسوافة على المسافات البعيدة، ترك الأم بركبتها على صدر «هاينتس» (٢) وتطالب «هاينتس» بالأل يسرق منهما ثمار توفيرهما، بأن يأتي بواحدة مثل «بريجيته» إلى البيت الذي بنياه بما وفرّاه من نقود. إنهما يفضلان واحدة مثل «زوزى». ولكن واحدة مثل «زوزى» لا تفضلهما، وهو ما لا يخطر ببالهما. فهما يعتبران «زوزى» شيئاً أقل؛ لأنها امرأة، ولهذا فهي دون «هاينتس». «زوزى» باعتبارها امرأة شيء واطى، ولكنها كإنسان يحتل درجة ما فى المجتمع، شيء أعلى من «هاينتس».

(١) نلاحظ استخدام نفس التركيب «أنجز تماماً» مرة فى الحديث عن التورته ومرة أخرى بعدها مباشرة فى الحديث عن حياة الأب، وهى طريقة تشبه النقلات الموسيقية، والأصل الألمانى للتعبير غير مألوف فى هذا المجال الدلالى ولكنه مفهوم فى اتجاه التضخيم والسخرية. (الترجم)

(٢) نلاحظ كثرة استخدام أسماء الأشخاص على نحو غير مألوف ، فقد يرد الاسم فى السطر الواحد ثلاث مرات ، وفى الصفحة عشرين مرة ، وهى طريقة إلحاح فى التدقيق يلجأ إليها محدودو الثقافة والمتشككون . (الترجم)

هذا شيء بالغ التعقيد بالنسبة لواحد (سائق سيارة) لا تقع عيناه دائماً أبداً إلا على لافتات المرور، طول عمره تقريباً.

هذا شيء غير مفهوم كليةً بالنسبة لواحدة لا ترى عينها دائماً أبداً إلا الصحون و«هاينتس»، طول عمرها تقريباً.

هذا المشهد يجرى لأن الأب مضطر إلى الخروج إلى المعاش المبكر؛ وقد حُجز له في حفل الآلام للرقص المقنع، وفي حفل رقص الكارنڤال مكان، ولهذا فقد تعرض حساب توفير الزوجين لتجاوز مفرط إلى أبعد حدود الإفراط. لم يعد الأب يقف على رجليه كليهما في قلب الحياة كما كان حتى الآن. إنه غارق في المصائب الرهيبة حتى رقبتة. تلك أرض غير مطمئنة إلى حد بعيد.

صحيح أن الحياة مستمرة في المسيرة ولكنها تُعبر على والدي «هاينتس» عبوراً.

كل الآمال معلقة الآن على «هاينتس» الذي سيخيب رجاءهما.

ما أخذه خطفاً أو اقتناءً أصبح في حوزة «هاينتس»، فكأنهما لم يكدا ولم يشقيا. والأمر الجوهري بالنسبة إلى «هاينتس» هو الآن أن يجتاز امتحان «العامل الفني» وامتحان «الأسطى» ويكون له محل أجهزة كهربائية.

طريق حساب التوفير هو: إلى «هاينتس»، وفرملة أمام «بريجيته».

وهذه «بريجيته» فى غرفة معيشة أمها تتبادل الحديث مع بطنها. «بريجيته» تسأله: هل الصغير الذى لم يولد فى الداخل الآن؟ لا، هكذا يرد البطن، لا أزال خالياً. آسف. ولكن ربما فى الشهر القادم.

«بريجيته» ترفع رأسها عالياً. والشغل يبقى لها على أية حال، إنه ينتمى إليها وحدها. لن أعود إلى العزلة أبداً.

جثمان (١) أم «بريجيته» ممدد على الأريكة ويقرأ فى جريدة بيوت الأمراء. هى فى بيتها ملكة. أما «بريجيته» فليست للأسف فى بيتها الخاص بعد.

(١) يلينك تعتبر المرأة ميتة بمعنى أنها وهى حية فى حكم الميتة.
(الترجم)

Twitter: @ketab_n

فوق في الطبيعة

فوق في بيت الفلاحين الصغير تتصادم في هذه الأثناء مصالح أهالي الريف العاملين. مصالح أناس لم يستفزوا قط مصلحةً أى شخص آخر، وهم أنفسهم لا يعرفون أنهم من الممكن أن يكون لهم شيء ما يشبه أن يكون مصلحة. وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعتبرون أنفسهم البنزين في الآلة ويعتبرون «باولا» الرمل الذى يعطلها.

«ريو» يصدر من أنفه صفير حشيرة كفأر مدهوس. لا حاجة بـ «ريو» إلى أن يتكلم لكى يظل بعض الأشخاص يتحركون دائماً، يتحركون حواليه. بطن «باولا» الضئيل - الذى سينتفخ ويكبر عما قريب، بحيث يمكن أن يكون هناك فجأة فى مقابل النقود نفسها (التي تنفق على الأكل) زيادة فى وزن «باولا» مقداره عدة كيلوجرامات - معروض للمزاد. ولكن ليس هناك من يريده. لو كانت الزيادة فى وزن

خنزير لاعتبر زيادة هائلة فى القيمة. فى «پاولا» (١) تعتبر الزيادة علامة على أنها كانت سهلة المنال، سهلة سهولة مفرطة، وأصبح عرضها فى المزاد الآن صعباً صعوبة مفرطة.

لا أحد يريد ما فى بطن «پاولا» وحده، يريه ويحبه. لا أحد يريد «پاولا» كشخص ببطن أو بدون بطن. حتى جلدها الخارجى لا يريده أحد. فلا يمكن أن يصنع منه شلثة لأريكة ولا كليم من قطع مرتقة بعضها فى البعض.

أما رأس «پاولا» فلا فائدة من الكلام عنه. من يأخذ جسم «پاولا» وقوتها العاملة، يأخذ رأسها فوق البيعة. هدية للدعاية أو هدية الشركة لمن خدمها طويلاً بأمانة. والناس الذين ينظرون إلى المستقبل ويحسبون حساب ملكها، ثروتها المنتجة المسماة «إيريش»، من المحتمل أن يعتبروا رأس «پاولا» مصيبة تفكر أكثر من الكثير، فلا يمكن لهذا السبب توجيهها التوجيه الصحيح.

«ربو» يتنفس من خلال خياشيمه بصعوبة ويتأوه بعد أن أكل غذاءه. الموظف السابق له أن يطلب. أما «پاولا» التى تطلب «إيريش»، فلها أن تطلب ولكنها لا تحصل على شىء. وأم «إيريش» تندفع إلى أمام تجاه الفرن الساخن الذى يلقى فيه الطعام وينضج. وما كاد الأب الذى يجد عناءً فى

(١) المقارنة الساخرة الأليمة بين الإنسان والخنزير.
(المترجم)

الكلام يلقي أوامره بالحشرجة، حتى كان الجولاش^(١) أمامه .

الخلاصة: «پاولا» لن تدخل هذا البيت، إلا إذا مات ثلاثة أشخاص كبار. لم يبق هناك عمل لأحد، نحن نقوم بعملنا وحدنا، النساء تقوم بشغل النساء، و«إيريش» يقوم بعمل الرجال وهو كثير. كذلك «إيريش» مهم في تدبير النقود. تكاد النقود تكون أهم وأصعب في الحصول عليها من العمل. فلم ينقصنا قط عمل، أما المال فكثيراً ما كان ينقصنا.

الإدارة العليا يتولاها السيد المايسترو «ريو». هو الذي يقود دون كلام أوركسترا هؤلاء العجزة. أما البهار الذي يرش فوقه فتدبره الأم بآلام مفصل الحوض، ومن شأنه أن يضمن ألا يكون في المطبخ والقبو والزريبة والسرير أبداً سأم. إنه يجعل العمل مثيراً ومنوعاً.

و«ريو» باعتباره موظفاً حكومياً سابقاً مدرب على إصدار الأوامر. ولكن «ريو» لديه أيضاً قدرة تؤهله لذلك. «ريو» لم يعد يستطيع التنفس، ولكن مهاراته المدربة بعناية ما زالت تحدث أثرها. التعليم الدقيق العميق في السكك الحديدية الاتحادية يبقى مع من يتلقاه طول العمر، حتى بعد انتهاء وجود السكك الحديدية الاتحادية. في هذه الناحية ليس عند «پاولا» شيء تعلنه أو تريده أو تقوله.

(١) الجولاش Gulasch لحم مقطع على شكل كباب الحلة يطهى مع البصل والبهارات الحريفة ويعتبر من الأكلات الفمساوية المشهورة ، ومنه تنويعات مختلفة. ولا علاقة للجولاش بالحلوى المسماة عندنا «جُلاش». (المترجم)

«پاولا» تقعد مرتدية فستان يوم الأحد تارة هنا وتارة هناك. رأسها المدهوس بالصفعات يستتر فى بطنها المدهوس بالركلات. تحولت «پاولا» إلى كرة صماء متكورة على نفسها كالقنفذ. ولكن بلا أشواك. ويدها اللتان لم يكن عليهما إلى الآن أن يبتليا بامتحان الخياطة تمسكان كل النسيج الذى لا سبيل إلى مسكه. الخياطة لا تقدم باقة زهور. فالاثنتان، «پاولا» والخياطة، لم يتم بينهما بعد إلا قليلاً من التعارف. فى رأس «پاولا» يبرز برعم صغير، أما كانت الخياطة بالحق أفضل من «إيريش». البرعم يُجثث فى الحال ويداس بالأقدام. فى قلب «پاولا» يذبل آخر غصن حب ساكناً بينه وبين نفسه. فى ماء الغسيل تغفو الصحون نعسانة فى محيطها المألوف بينها وبين نفسها. طريحة جديدة من الصفعات تتكور فى الطبقة الدهنية الزنخة لقلاية العائلة إذا ما لم تمل «پاولا» فوقها توأ. لقد مال «إيريش» إلى «پاولا»، فلم يقد ذلك أياً منهما إلى أمام، إلا «پاولا» قادها إلى التعاسة التى كانت تقعد فيها من قبل. بل إنها ألقت بـ «إيريش» إلى الوراء فى مسيرته احتراف قيادة السيارات والدراجات البخارية (١).

(١) المقصود : الموتوسيكل الخفيف الذى يسمى بالألمانية Moped موييد ، وهى كلمة مكونة من مو = موتور وييد = بيدال، أى دراجة ذات موتور، ويراعى فى صناعتها ألا تزيد سرعتها حسب المواصفات الألمانية - عن ٤٠ كيلومتر فى الساعة، وألا تزيد سعة موتورها على ٥٠ سنتيمتر مكعب. أما الموتوسيكل واسمه بالألمانية موتورراد Motorrad فمعروف بقوته المتزايدة وسرعته المتعظمة وجاذبيته لهواة الاندفاع، وكما يقولون: التحرر من قيد الأرض. وهناك من يقارن الجسورين من راكبى الموتوسيكل بالفرسان راكبى الخيل. (المترجم).

من الممكن أن يأكل طفل ما شعر هذا أو ذاك إذا ما أراد.

لعل الدراجة البخارية تنصرف في صراع المصالح هذا، هذا ما يتمناه «إيريش». بعد أن اتخذ «إيريش» هذا القرار إذاً مغلباً الدراجة البخارية على «پاولا» ودسه في عين «ربو» الشبيهة بعين الضفدعة، هاهو ذا يركب الدراجة البخارية منتصراً، ويندفع تجاه الغرب في الشمس الغاربة. «ربو» يحس بالارتياح. وسوف يطرد من مخ الولد هذه الدراجة البخارية التي لا فائدة منها والتي تفترس النقود، واحدة وراء الثانية.

والدا «پاولا» المفتاظان يهبطان الجبل مندفعين بجنون بين ذراعي «پاولا»، عدة مرات متتالية، بين أمام وخلف، وعندما يتركان حطام «پاولا» التي لم تغسل حتى الصحون، لم يكن بقى منها إلا القليل من العظم ومن الريش.

أما الغرب فقد امتلأ بـ «إيريش». في الغرب كان مصطافون جدد قد أتوا، منهم أيضاً نساء. الآن يبلغ فن حب «إيريش» أخيراً غايته.

«پاولا» تعاني عناءً هائلاً حتى تكاد أن تجن. إنها تعتقد أن عقلها يتسرب منها من خلال كل الفتحات، من كل فتحة يتسرب قليل من العقل، حتى يفرغ. وهي تندفع برأسها مرتطمة بالحائط، والوالدان الطيبان فرحان، لأنها توفر عليهما الضرب المبرح؛ «پاولا» تتولى ذلك بنفسها، برافو.

من ناحية الأم لا تتوقع «پاولا» تضامناً أنثوياً. إذا كانت الأم ستتفقد حتماً نتيجة للسرطان، فعلى «پاولا» على الأقل أن تعاني القليل من المعاناة النفسية، وهو أقل وطأة بكثير من الآلام الجسمية التي ستدخل البيت إلى الأم قريباً. والأب يقول (١) الآن تستطيعين الاستمرار في تعلم الخياطة لتتفقى على طفلك.

«پاولا» تبعب حزينة قائلة: إنها تريد أن تكون بجانب طفلها، عندما يكون قد جاء، ثم هي فيما تريد أن تنتظر طفلها عندما يأتي بالقطار وأن ترافقه، وأن تكون دائماً وفي كل لحظة حوله. لا تريد أن تكون أمّاً تمارس حرفة، فالطفل يعاني من ذلك. «پاولا» تفضل أن تكون هي من يعاني.

الآن يحز في نفس الأب بطبيعة الحال، أنه لم يقتل «پاولا» في الماضي بالخياطة، ولكن الوقت فات، وتأخر تأخراً مفزطاً.

(١) تتعمد الكاتبة إهمال علامات الترقيم ، فبعد فعل يقول لا تضع النقطتين (:) ولا تضع علامات التصيص ("). لا تستخدم إلا النقطة في نهاية الجملة والفصلات التي تخضعها لتصوراتها. وقد ذكرنا من قبل أنها لا تعترف بالحروف الكبيرة التي لا تستهل فقط - بحسب قواعد الإملاء الألمانية - الأسماء الأعلام والكلمة الأولى في الجملة، بل كل الأسماء وما يعتبر في حكم الأسماء من ألفاظ أخرى. وهذا التمرد ، الذي نجده عن كتاب آخرين أيضاً، يهدف إلى إعادة النظر في الموروث، وإبراز دور الفرد المتفرد حيال القيود الجماعية التي تهدد الهوية الشخصية الفردية، وهوية الإنسان أساساً. (المترجم)

«پاولا» تتريص بـ «إيريش». لم تعد تفعل ذلك من أجلها شخصياً، بل من أجل حياة الطفل التي ستأتي والتي هي أهم منها ذاتها.

يكاد «إيريش» يكون بلا أهمية بالنسبة إليها، ولكن بالنسبة للطفل عندما يستطيع الكلام، لن يكون «إيريش» بلا أهمية، سيكون أباً. «پاولا» تتريص وراء خميلة البندق، ووراء خميلة اللسان أو وراء الكنبه المصنوعة من خشب الصنوبر.

من هنا تقفز بصرخة حربية إلى «إيريش» الذي يعود مسكيناً ومرهقاً من العمل. إنه مرهق مرهق مرهق مرهق مرهق مرهق. تكاد يدها ألا تكونا الآن أيدي بشرية، بل يغلب عليهما أن يشبها الشجر أو الجذور. «إيريش» يثرثر ويرغى متجهاً نحو مرفأ الوطن والفراع. «پاولا» ترهق آخر احتياطات «إيريش». وهي لم يعد لها أدنى اهتمام بـ «إيريش» الإنسان، وإنما بـ «إيريش» الأب المستقبلي.

وهاهي ذى تندفع إلى أمام، وتتشبث بظهر «إيريش» وتتكلم عن الحب والطفل. وتحكى «پاولا» عن مشاعرها الموجودة حيال «إيريش». «پاولا» لم تعد تشعر بشيء إطلاقاً نحو «إيريش»، وكذلك «إيريش» لم يعد يشعر نحو «پاولا» إلا بأقل من لا شيء. «پاولا» لم تترك المدرسة إلا منذ وقت قريب، فما زالت تعرف كلمات كثيرة يعبر بها الناس عن المشاعر. أما

«إيريش» فلم يمض في داخل المدرسة وقتاً يكفى لتكون لديه كلمات تعبر عن أى شيء روحى (١) .

غير البيرة والإشنپص. هاها. إنه يذكر دائماً عند سماع كلمة روحى من قبيل النكتة الإشنپص (٢) والبيرة أو النبيذ.
نكتة جيدة.

«پاولا» تقول أنا بحاجة إليك، وطفلنا المشترك بحاجة إليك أيضاً، ربما أكثر منى، يا «إيريش»، وكم أنا بحاجة إليك!

ولما كان من هم بحاجة إلى «إيريش» كثيرين فقد ألم به الغضب شيئاً فشيئاً. وحال ثقافته بينه وبين صد هؤلاء، فأخذ يضرب كالمجنون حواليه، وكثيراً ما كان يصيب نفسه فقط. وهاهو ذا فى الوقت الأخير يقابل «پاولا» فيأتيه اللقاء بنوع من الرضا.

يدرك «إيريش» أن قراراته وتصرفاته أصبحت فجأة مهمة لشخص آخر. وأن أحدهم تابع له. وأن أحدهم على نحو ما تحت رحمته. وهو ما يعطيه

(١) تلعب الأديبة هنا وفي الجملة التالية بالمعنى المزدوج لكلمة روحى التي تستخدم أيضاً للدلالة على الخمر : المشروبات الروحية. واللعب بالمعاني المتعددة للكلمة الواحدة مألوف لديها، وهي تتوسل به إلى التعبير عن صعوبة التفاهم بين الناس، فما هو المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب بالضبط؟ هل هو ما فهمه المستمع أو القارئ؟ (المترجم)

(٢) الإشنپص Schnaps مشروب كحولي من مجموعة البراندي يحتوي على نسبة عالية من الكحول. (المترجم)

إحساساً جميلاً جديداً. «إيريش» يريد أن يختبر
إمكان الإفادة منه.

«نكى لاودا» اختبر من قبل الكثير، حتى إنه اختبر
سيارات الفورميولا رقم واحد أو سيارات سباق الرتبة
الأولى (١) الرائعة.

الموضوع نفذ إلى مخ «إيريش».

وذهب الاثنان إلى الشونة القديمة، فلم يكن فرق
بين الذهاب وعدم الذهاب. ولقد عانت «پاولا» الكثير
....

من فوق الحقل الذى حش نجيله يطير سرب من
الطيور تجاه قلب الغابة، الواحد وراء الآخر، عما
قريب يحل الخريف. فى مقابل نقود حضراتكم لا
تنتظروا هنا المزيد من وصف الطبيعة! ونحن لسنا
هنا فى السينما.

«پاولا» ترقد ساكنة وهادئة على
ظهرها... تستطيع أن تستريح وهى تنظر إلى
السماء الزرقاء، والبرد قد بدأ وعما قريب ستظهر
سحب الثلوج الأولى. المستقبل وحده هو الذى لا يظهر
على أى شكل. من الترية يصعد ضباب، والغابة

(١) سيارات الفورميولا واحد بالألمانية Formel 1 سيارات سباق
حددت المنظمات العالمية رتباً تبعاً لمواصفاتها، وهناك سيارات
الرتبة الأولى، وسيارات الرتبة الثانية وسيارات الرتبة الثالثة
إلخ. ونقلاً عن الإنجليزية تسمى فى صحافتنا فورميولا واحد،
واعتقد أن تركيب «الرتبة الأولى» يفى بالفرض، بقى أن تكون
هناك موافقة عامة عليه. (المترجم)

تتلاصق أشجارها وتصبح جداراً، وجذوع الشجر
البيضاء تختفي في الظلام. الطبيعة شيء قاس، هذا
ما تفكر فيه «پاولا». إنها أقوى من الإنسان، إنها قوة
أولانية.

أليس هذا وعل صغير؟ بعد قليل تبدأ نشرة
الأخبار المسائية في التليزيون!

أخيراً تستطيع «پاولا» أن ترتاح مرة، وربما
استطاعت في أثناء ذلك أن تربط «إيريش» بها
بالسلاسل.

من الممكن نسيان الألم الخفيف، فهناك آلام أعتى
تستطيع «پاولا» أن تذكرها. الحب ألم هين نسبياً في
سلم الآلام.... مرة أخرى يقع من «پاولا» أمل في التبن
المتعفن. وإذا فقد الإنسان أملاً، فهو على الأقل قد
استطاع أن يستريح. والرقود أيضاً يفيد الجنين.

ليس في «پاولا» حنان. ليس في «پاولا» شيء على
الإطلاق. عندما تكون كل الآمال قد سقطت من
«پاولا» فستصبح خفيفة جداً كالريشة، كالقطة
الصغيرة أو كالكتكوت الصغير.

كل الجزارين! صناع اللحم المدخن! النجارين،
الساعاتية، الخبازين، ومنظفي المداخن اختفوا على
الأفق. يلاحقون الغريان.

الخيطة تحزم الآن حقائبها، إنها تريد أن تلحق
آخر أوتوبيس قبل أن يفوتها.

الحب لم يفتح حقائبه ولم يُخرج منها متاعه ولم
يرتبه.

تحول العمل إلى حالة تمرير، وهي تمسح بيدها
على ملاءة السرير في المستشفى لتسويتها.

لا حب على الإطلاق في «باولا» .

إذا كان في «باولا» شيء فهو الكراهية التي تنمو
وتنمو.

لم تُدْخِلْهَا هذه الأحاسيس من تلقاء ذاتها، وإنما
كان على البعض أن يشتغلوا شغلاً ثقيلاً من أجل
ذلك.

الظلام ينزل، في الغابة تبدأ بعض الحيوانات في
إحداث حفيف، في بيت الثعلب يتحرك شيء، رجلان
مرهقان يجتازان هرولة طريق القرية، يريدان الرجوع
إلى المنزل، إلى العائلة وإلى التليفزيون. أنوار متفرقة
تضاء. في بعض المطابخ يصيح بعض الأولاد. الأم
تضع طعام العشاء على المائدة. ضوء سيارة مبهر
ينبرم بصعوبة من خلال الضباب. ما من أحد يفكر
في الغابة إلا على اعتبار أنها أرض ممتدة. الغابة
مكان عمل. لسنا هنا في رواية موضوعها الوطن!
لم يعد هناك أمل في داخل «باولا».

Twitter: @ketab_n

علينا فى هذا الموضع أن نقطع بشئ من المباغته قدر بريجيته

لما كنا نمسك فى يدنا قدر «بريجيته» فبإمكاننا
فى أى موضع يحلو لنا أن نقطعه المرة تلو المرة.

أحاسيس «بريجيته» لا يطرأ عليها تغيير، فقلبا
يضرب دائماً من أجل «هاينتس»، و«هاينتس» يرد
الضرب (١) دائماً.

ينبغى أن يكون الحديث هنا عن أحاسيس، لا عن
وقائع.

«بريجيته» لا قدرة لها على الأحاسيس، ولهذا
فليس ثمة ما يقال عن «بريجيته».

«بريجيته» لا تصنع وقائع، بل الوقائع تقع عليها.

«بريجيته» تصنع الآن بلوهر لـ «هاينتس».

والبلوهر لا يتقدم إلا ببطء؛ لأن على «بريجيته» أن

(١) نلاحظ: القلب يضرب وهاينتس يضرب. (المترجم)

تتفق وقت عملها على العمل، وقت فراغها على مراقبة «هاينتس» والعناية به، ورعايته

يقال إن كل امرأة لبست سوتياناً خاطته «بريجيته» تتصور نفسها ملكة.

«بريجيته» لن تتصور نفسها ملكة إلا في بيتها الجميل.

و«بريجيته» لديها علاوة على ذلك القدرة على إنجاب أطفال، وتلك قدرة ليست عند كل إنسان. وهي تتمنى أن يكون لها أن تنجب مثل هذا الطفل عما قريب.

منذ أن عرفت «بريجيته» «هاينتس» يملكها دافع يدفعها إلى أن تنجب طفلاً. إذا لم يكن هذا إحساس، فما هو الإحساس إذا؟

تكلم قلب «بريجيته» فقال «هاينتس». «بريجيته» تتبع هذا القلب إلى حيث يقودها، تحديداً إلى «هاينتس».

تلقت مائة مرة شلايت ...

«بريجيته» تستطيع أن تعلن خبر النجاح، ألا وهو أن الطفل منتظر. ستشرق الشمس أيضاً على «بريجيته». «بريجيته» تشتري اليوم على عجل بيكيني ليوم الأحد القادم.

سيكون الطفل طفلاً مُرتجى. «بريجيته» ترتجيه، أما «هاينتس» فلا.

صحيح أن هذا الوضع غير ملائم، ولكن الطفل في المقابل سيُسَهّل عليه دخول الحياة عن طريق محل خاص للأجهزة الكهربائية.

«بريجيته» نفسها كان دخولها الحياة صعباً. كثيراً ما تحس شيئاً كأنه ذنبها هي، بينما هو ذنب يحمله أجنبى.

إنها تعتقد على سبيل المثال أن الذنب ذنبها هي إذا كان تحتم عليها أن تعمل على خط الإنتاج في المصنع. بينما الذنب ذنب «هاينتس» وحده دون سواه، فهو الذى لا يريد أن يتزوجها وأن يحررها من ربة خط الإنتاج في المصنع.

كثيراً ما رأت «بريجيته» فى السينما، أنه من الصعب أن يضطر إنسان إلى أن يعيش بذنب.

سيرة «بريجيته» تتناقض وتتناقض بدون أحداث تُذكر. ويمكننا مستقبلاً أن نقصر كلامنا على بضعة عناوين تتصل بالوضع العام، ونريد بها أن نذكر باختصار وضع «بريجيته» الثقيل على نحو خاص.

كل ما سيأتى الآن يتلخص فى انتظار وفى تنصت استبطانى، هل هناك أخيراً حركة أو عجلة.

الجبهات تم توضيحها وتفسيرها.

لن تجرى أحداث باستثناء الحدث الكبير المذكور. العمل سيجرى على وتيرته.

فذلك مؤلم بما فيه الكفاية.

كذلك الولادة خيرة مؤلمة، ولكن من الضروري المرور بها، حتى يمكن أن تتحقق هبة الطفل.

ولا ينبغي أن تكون هناك هبة الطفل فى نهاية المطاف لكى يفرح بها الطفل الصغير، ولكن لكى يفرح بها الرجل الذى ينال الهبة. إن حصول الطفل على اسم عائلة «هاينتس» والضمان الكثير الجيد الذى يجره معه مثل هذا الاسم، هبة كافية ينالها.

الطفل والمرأة مدينان لـ «هاينتس».

من الممكن من الآن أن يضمن الإنسان للطفل، أنه بعد ذلك لن يتاح له الكثير من الفرح، باستثناء زيارة الحمويّن أو زيارة يقوم بها عميل مهم. إذلال الأم يعود يقيناً على الطفل، يعود على الطفل الأول بالضرب المبرح والأضرار المزمّنة، ثم يتم بعد ذلك إنتاج الطفل التالى. من الممكن أن يموت الطفل ضحية الاستهلاك العام أو موصلات المدينة الكبيرة، فمن الضرورى أن يكون هناك واحد احتياطى. الأفضل أن ينجب الإنسان طفلاً من قبيل المخزون الاحتياطى وتعويض المستهلك.

وربما يكون الطفل أفضل من ماكينة الخياطة، فمع الطفل يستطيع الإنسان أن يخرج للنزهة فى الهواء البلق، أما مع ماكينة الخياطة فلا. الماكينة ليس لها قلب، الطفل له.

والماكينة علاوة على ذلك مكانها فى المصنع، والطفل فى البيت فى بيئة منظمة.

من الممكن أن تستمر السيرة عدة أشهر أخرى، وهنا فى الكتاب ما زالت عندنا صفحات كثيرة، إلى أن يخرج الطفل من بطن الأم ويمد رأسه كالودودة عندما تخرج من التفاحة، قد لا نصل إلى هذا المدى، وربما تحتم علينا أن نقطع قبل ذلك. ولكن هذا لا يهم، فنحن نعرف كيف تسير الأحوال. الحياة تستمر بدون مفاجآت، ولكن فى مسارات منظمة.

تدخل «بريجيته» بيت أمها الكئيبة الكئيب مجردة من الأمل كحالتها دائماً، وهاهو ذا «هاينتس» فى المرحاض يدبر.... إنه لا يريد أن يُقبض عليه ويتحول إلى أسير، بدلاً من أن يتحول إلى مقاول حر. «بريجيته» تنهال عليه بالضرب صارخة بدافع من العاطفة، كما قالت لـ «هاينتس» فيما بعد شارحة... وكان معها كيس من بسكويت نوسكيپفرل^(١)، ألقت به على الأرض حتى تكون يداها حرتين

بسكويت النوسكيپفرل يتبعثر فى هذه الأثناء على ألواح الأرض الخشبية المتسخة طوال الوقت تفكر «بريجيته» بسكويت النوسكيپفرل الذى اتسخ الآن، وضاع عليها، خسارة. «هاينتس» يفكر عابراً هل سيكون بيتى متسخاً على هذا النحو إذا كان علىّ ربما أن أتم إجراءات عقد القران؟

Nusskipferl (١)

«بريجيته» التي خمنت أفكاره، تجيب بـ«لا»، عندما يكون البيت بيتي ملكي الخاص، فسأعمل على العناية به وصيانتته.

بيتي ملكي الخاص فقط.

كذلك «هاينتس» يتمسك بالملك الخاص. في هذه النقطة يتلاقيان.

الملك الخاص هو فقط الملك الخاص الذي يحوزه الإنسان. ما يملكه الإنسان يكون ملكه، وما لا يملكه الإنسان لا بد أن يسعى لامتلاكه. فإذا لم يحصل الإنسان عليه، فهو شيء لا يهمه.

ملك الغير حرام (١). «هاينتس» ملك «بريجيته»، وهو لهذا حرام. حرام بالنسبة لـ «زوزي» وبالنسبة لكن جميعاً.

....

.... أفكار «بريجيته» لا تزال عند بسكويت النوسكيפרل وشنطة اليد الجديدة المطبقة على الأرض

تفاحتا عينيها تتابعان طريق بسكويت النوسكيפרل وسط القذارة على الأرضية. الأم في الواقع خنزيرة عجوز، فهي لا تكنس الأرض ولديها الوقت فليس لها رجل عليها أن ترعاه

(١) في الأصل tabu. (المترجم)

فى هذه الأثناء تقعد الأم متحفظة متباعدة فى
المطبخ. تلزم الصمت الكامل حتى لا تزعج سعادة
ابنتها بعبارة متسرعة.

فى حجرة الجلوس مشهد سعادة «بريجيٲه»
«هاينتس» يطلق صيحة الجيران سيشكون
....

«هاينتس» يسرع إلى أصحابه فى ملعب الرياضة.
«بريجيٲه» تنظف البسكويت النوسكيٲفرل لأن
اتساخه يحز فى نفسها.

Twitter: @ketab_n

الآن تزداد «باولا» بدانة

الآن تزداد «باولا» بدانةً وهو منظر شديد القبح. فى داخل «باولا» تصعد أحاسيس الخجل. أحاسيس تعاودها بعد زمن طويل، ولكنها ليست أحاسيس طيبة.

فى القرية عندما تذهب «باولا» محتمية بدائرة مناخية واسعة، أو غير محتمية بشيء فى غير وجودها، لشراء الحاجيات، كثيراً ما تصيب حصوات رأسها من خلف، أو مقعدتها، أو بطنها أو سمانتى ساقها، أو شنطة مشترواتها، وأسوأ الحالات حالة شنطة المشتروات وبداخلها الزجاجاة التى لا بد من إعادتها فارغة إلى المحل، فتتحطم عندئذ.

فى البداية تحطم شىء فى «باولا»، والآن تتحطم الزجاجاة ذات الرهن.

«باولا» لديها إحساس أن القرية انتهزت هذه اللحظة غير الملائمة؛ لكى تظهر الأولاد والهموم

المشروعة مع الرجال. فى كل موضع بالشارع كمّ من المال والخيرات (١) هنا وهناك.

«پاولا» ليس عندها مال ولم تكن خيرة.

«پاولا» تعتبر أماً ناشئة، ولا تعتبر ربة بيت ناشئة.

«پاولا» تعتبر ميتة.

النساء الأخريات يُعتبرن مثل الأحياء، وهو ما يعنى أنهن لم يصبحن أحياء. أزواجهن يتظاهرون بأنهم أحياء جداً.

وإذا مات أحدهم ذات مرة بتليف الكبد بدلاً من السرطان، فهذا من قبيل التنوع. ومن الممكن فى هذه الحال أن يشمل التنوع. على سبيل التبديل أعراضاً مرضية أجنبية. فقد يحمل بعضهم أحياناً فى وقت شراء لوازم البيت عاملاً خشبياً غارقاً فى الدم بعربة جيب إلى المستشفى.

من أفواه النساء الحوامل شرعياً تدوى صرخة مفزوعة كأنها تصدر من فم واحد. ويضغطن بأيديهن على بطونهن الحساسة للصدمات ويسرن بخطى متعثرة إلى أمهاتهن أو نساء من أقاربهن. ويخفين رعوسهن فى حجور مختلفة، يخفن على ما لم يلدن بعد من أولاد، أن يؤثر عليهم منظر المشوه الذى رأيته فيخرجوا إلى الدنيا مشوهين.

(١) اللعب بالمعاني والاستخدامات المختلفة للكلمات، تويعتان أو

أكثر، هنا أربع تويعات لكلمة gut. (المترجم)

على التو تُمدد هذه النساء الحوامل شرعياً فى البيوت المختلفة، وتُذكرن بما فى بطونهن من أولاد، وتُغطين بأغطية دافئة.

وتدوى كلمات مواساة غالباً ما تعبر عن أن المصيبة كان من الممكن أن تصيب زوج هذه أو تلك، والحمد لله أنها أصابت رجلاً أجنبياً، لابد أن زوجته تبكى عليه حتى تجمد عيناها. وبعد قليل تجف دموع الحوامل، وتهدا البطون المرتجفة ببطاء، وتخرج من الأنوف نغمة شمشمة راضية.

أما «پاولا» التى لا تستطيع أن تذكر رجلاً زوجاً لها، فإنها تتكمش على نفسها متضائلة كل التضاول، وتزوى فى ظل سقف بيت. وتتصهر مع محيطها مستحيلة إلى لا شىء.

بينما النساء زميلاتهما يدسسن أنفسهن فى المخدات والشلت وينعمن بجسدهن الممتلى الثقيل، توحدت «پاولا» مع الظلام.

جدات مختلفات فى بيوت مختلفة يؤدين أشغال البيت الثقيلة بدلاً من بناتهن اللاتى ينعمن براحة فترة الحمل. أما «پاولا» فلا تنعم بشىء، وليس لها راحة فترة حمل.

ولما كانت «پاولا» قد نعمت بمتعة محرمة منذ وقت طويل فلم يعد لها أن تنعم بأى متعة.

وبينما يتابع الجميع عملية رمى القرون (١) التى يسترسل فيها الشباب غير المتزوجين ويصفقون؛

(١) لعبة عريضة متوارثة يلاحق فيها الشبان البنات ولا يتدخل الأهالى الكبار عادة لمنعها، بل قد يرونها على العكس نوعاً من اللهو الذى حفظته التقاليد. (المترجم).

استحساناً لكل قرن كبير هائل يُرمى، تخرج «پاولا» من مكانها الظليل وتذهب فى سكون إلى البيت. وفى هذه الأثناء يصيب «پاولا» مراراً قرناً منها إصابة محسوسة. حتى الشيوخ الذين لم يعودوا يستطيعون رفع ذراع أو رجل وهم جالسون على الدكة اللصيقة بالمدفأة، يفشى وجوههم بريق كأنه من العالم الآخر ويفرحون عندما يصيب «پاولا» قرن من القرون.

إنهم يفكرون فى زمان رميهم القرون.

هذا الزمن ولى منذ أمد بعيد، وتلك مأساة.

على الدكك بطول الطريق الاتحادي (١) وهو شريان المرور الرئيسى، وأمام محل الوكالة الاستهلاكية يحتشد رماة القرون. أحياناً يرمى رأس شجاع مباشرة على سيارة نادرة الماركة. وترتفع العقائر بصياح هائل. بل أحياناً توجد رأس دامية بجوار القرن الذى أصابها على نحو أثار البهجة. بل ربما تمدد جسم غارق فى الدم بجانب الرأس والقرون. عندئذ يكون على الغاية مرة أخرى أن تبحث عن رجل آخر بدلاً منه. كل هذا الدم والعنف على كومة واحدة، كل قلب يضرب أعلى كثيراً من ذى قبل. هورًا. هورًا. مرحى. مرحى.

وهذه هى «پاولا» تتمرن من جديد على التوارى عن الأنظار.

(١) الطريق الاتحادي طريق مهم للسيارات، يلى فى الأهمية الأوتوستراد، وله رقم، ويمر بمدن وقرى أو من خلالها، وعادة ما تمر به سيارات كثيرة تتسبب فى حوادث. (المترجم)

ولكن هذه هي في قلب الأحداث ومقره الرئيسي، حيث يبلغ الصخب والتمتع أبعد مدى. «پاولا» البطلة حاملة اللقب.

على الرغم من أن «پاولا» تحاول دائماً أن تتواري زاحفة لتغور داخل الأرض، هاهم أولاء ينبشون ويخرجونها. والشباب يلاحقون «پاولا» بتصويب دقيق وهدفهم هو رمى القرون. إنهم يريدون رمى القرون وإصابة «پاولا» على الفور لأن الأمر أصبح الآن غير خطير.

لن يكون عليهم بحال من الأحوال أن يدفعوا نفقة الطفل، وسينالون ما يبهجهم

من الممكن أن يكتشف الإنسان في قلب السرب «إيريش» أيضاً، وهو ما يحز في نفس «پاولا». «إيريش» يسير دائماً مع السائرين، إلى حيث يتجهون جميعاً، وما يفكر فيه الكثيرون صحيح، وأكثر صحة ما سوف يجرى، وصحيح ما يفكر فيه «إيريش». بحركة متقلصة من يده التي أنشئت ودربت على أعمال أكثر خشونة يقبض على مقود دراجته البخارية، ودراجته البخارية هي أفضل صديق له في الفرع والترح. وبحركة متقلصة من يده الأخرى يقبض على زجاجة البيرة التي ستسليه بعد قليل أفراحه وأتراحه.

«پاولا» لا تستطيع أن تغير من هذا السلوك.

إنها تسعى إلى أن تكون قريبة من «إيريش»: لا يمكن أن تجد «إيريش» إلا في وسط السرب. بعد قليل تصوّب كل القرون الصلبة المدببة على «پاولا».

«پاولا» تطالب «إيريش» باتخاذ قرار بشأنها.

وعندما يكون «ربو» بعيداً عن المعمة، فوق سفح الجبل، والأم هناك في المكان المناط بها، تحديداً بجانب «ربو» تحت سيف «ربو» على سفح الجبل، حيث عملت له لتوها حماماً ساخناً لقدميه وغمست أصابع قدميه القميئة التي لا يجرى فيها الدم إلا لماماً، يُطالب «إيريش» فجأة بأن يتخذ قرارات وأن يستهدف بها «پاولا». «إيريش» ينظر في بيرته، والبيرة تنظر من الكأس إلى الخارج برأسها الميت الذي من شأنه أن يذكر أن الكحول يمكن في ظروف معينة أن يقتل إذا لم يكن الإنسان قد قتلته من قبل ظروف العمل وظروف الحياة، عندما ينظر «إيريش» إذاً في بيرته، يعتره فجأة إحساس بأنه قد يستطيع أن يتخذ بالفعل قراراً.

وفي نهاية المطاف لا يتخذ «إيريش» قراره هو، بل قرار «ربو».

«إيريش» يتخذ القرار وهو: لا.

«إيريش» تأخذه بالفعل رافة بـ «پاولا». العملة التي عملها والتي أدت إلى الوضع الذي وقعت فيه «پاولا» لم يترك ذكرى لديه. لا يستطيع أن يقول هل كانت جميلة أم لا. «إيريش» لا يستطيع أن يحس بجمال شيء إلا آلاته، دراجاته البخارية، التي يحطمها بقيادته الواحدة بعد الأخرى.

عندما يندفع بالدراجة البخارية مسرعاً يبدو كأن كل شر يسقط عنه، فى المقام الأول العمل الذى هو أعتى شُرٍ يمكن أن يصيب الإنسان. ولكنه لا بد من أن يؤدّى. صحيح أن «پاولا» فى كرب، ولكن ليس من الضرورى أن يتزوجها أحد.

«پاولا» تنتمى إلى الشر الذى يسقط عن الإنسان عند يندفع بأقصى سرعة على الطريق الزراعى.

وفى النهاية يتركون «پاولا» تعود نهائياً إلى البيت. من بعيد يتبين الإنسان امرأة ذات نظرة مستبطنة مشتاقّة، وابتسامة أمومية، وخطوة حريصة، وتقلص فى الباطن، تسيّر إلي البيت. إنها صاحبتنا «پاولا».

«پاولا» تتكلف ابتسامة مثل رأس ميت، رأس ميت بلغ الخامسة عشرة من عمره، مرحباً بك فى البيت يا «پاولا». كدأب كل يوم ينتظرها شغل البيت لإسقاط الجنين.

الأم تأمل أن يكون الحفيد ناقص التكوين وأن ينزلق عاجزاً عن الحياة من «پاولا» إذا ما هى بركت على ركبتها وتلوت بعنف، وإذا ما رفعت دلواً مملوءاً بماء ساخن قذر بالصابون، إذا ما هى عذبت نفسها كما ينبغى، البنت «پاولا». ولكن لا شىء ينزلق إلا العرق يتفصد من مسامها كلها. الأم تظن أن هناك قفلاً مقفولاً بمفتاح يسد السكة أمامه.

«پاولا» تستبعد بعيداً فكرة أن تطعم الطفل وتكسوه من عائد الخياطة القديمة. الفكرة لا تصلح.

ف«إيريش» هو الأب الملزم بطعام طفله. هذا ما تعلمته «پاولا» من أمها. ومن أبيها كذلك، الذى كاد أن يعدمها من الضرب، ولكنه تولى طعامها دائماً بانتظام. أبو «پاولا» أوفى دائماً أبداً بواجبه تجاه عائلته، وهذا ما ينبغى أن يفعله «إيريش» كذلك.

عندما تهيم أفكار «پاولا» إلى بعيد جداً، فإنها تخرج إلى القوى الطبيعية التى تعرف «پاولا» عنها أنها أقوى من الإنسان. وبنفس الطريقة التى يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعى، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة. والقانون الطبيعى اسمه فى هذه الحالة «إيريش» الذى لم يسمع من قبل. قط. كلمة قانون.

وهكذا تلاحظ «پاولا» كم هى صغيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. إنها حبة تراب. حبة تراب فى الصحراء.

ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ضد القدرة الأولانية لقوة الطبيعة، لا شىء. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافى فى التليفزيون، وهذا ما تقوله «پاولا» أيضاً كثيراً.

قدَر بَرِجِيَّتِهِ التالى

قدَر «بَرِجِيَّتِهِ» فيما بعد فى الحقيقة قد أنهى، والأحرى ألا نذكره هنا مرة أخرى. والسبب فى أننا نذكره على الرغم من ذلك، هو أن وصفه سهل؛ لأنه يتركز على نقطة واحدة هى: «هاينتس»، صحيح أن من الممكن أن تخرج منه طرق مضللة وانحرافات صغيرة، ولكن الإنسان يستطيع دائماً أن يجد إليه الطريق الصحيح. قدَر "بَرِجِيَّتِهِ" انتهى هنا، بقى فقط أن من الضروري أن يُعرض.

اليوم هو مرة أخرى واحد من تلك الأيام التى تتجه فيها «رِجِيَّتِهِ» على نحو خاص وعن وعى بالهدف إلى هدفها، بأن تهض من الفراش؛ لأن عليها أن تذهب إلى المصنع. المصنع انحراف صغير، فالهدف هو هذا المساء مع «هاينتس». «بَرِجِيَّتِهِ» تدس نفسها فى ثوبها الذى يتكون من جونيللا وپلوفر، وبرز سماتها الأنثوية، وهو شئ له معنى ومقصد.

المصنع حجرة انتظار، ومكان العمل هو «هاينتس».
أما «پاولا».

أما «پاولا» فلها اهتمامات أخرى، سيكون في مق دورها أن تحققها بمساعدة «إيريش». اهتمامات «پاولا» هي: الذهاب مراراً إلى السينما، قضاء عطلات في إيطاليا، تليفزيون في البيت، تربية الأولاد في البيت وخارج البيت. «پاولا» لا تريد فقط أن تحصل على «إيريش»، وإنما تريد أن تبني معه شيئاً مشتركاً: بيتاً. مملكة مشتركة صغيرة للإمارة والإدارة، وهو البيت كما ينبغي أن يكون. صحيح أن «پاولا» تحتفظ نحو «إيريش» بحب أصبح صغيراً، ولكنه حب لا يزال موجوداً؛ لأنها سمعت أن على الإنسان أن يكون لديه حب نحو شخص واحد؛ لأن هذا الشخص هو أبو أولادها، وعلى الإنسان أن يحبه كذلك أيضاً باعتبارها الزوج، وهو ما يلي حب الوالدين المحبوبين ويحل محله.

«پاولا» لا تحب والديها على الإطلاق.

وعلى الرغم من ذلك ترى «پاولا» أمامها مستقبلاً مملوءاً بالحب. «پاولا» تنتج من ذاتها حباً كما تنتج هورموناً.

أما «بريجيته»

أما «بريجيته» فتحتاج إلى هاينتس» وتحتاج إلى المحل المستقبلي لـ «هاينتس»، وتحتاج إلى إبعاد الحمويين عن الطريق، ثم تحتاج إلى عمل عمل ثم عمل؛ لكي تجمل المحل وتكبره.

ما عند «بريجيته» الآن: عمل عمل ثم عمل. عندما يستثمر الإنسان قوته في شيء يملكه، يعود المردود إليه مضاعفاً مضاعفاً كثيرة ، وعندئذ يمكنه راضياً أن يتنازل عن الحب وتبعاته والأعباء.

«بريجيته» تريد إذاً أن تحسن موقفها جذرياً.

«پاولا» تريد أن تحسن موقفها جذرياً وأن تجد في أثناء ذلك أيضاً السعادة.

السعادة لا تهتم «بريجيته» بمعنى أنها ترى أن «هاينتس» ممثل الرفاهية هو والسعادة شخص واحد. ولهذا يكفيها «هاينتس» بكماله وتمامه، «بريجيته» متواضعة.

«پاولا» ليست متواضعة. إنها تريد نفس ما تريده «بريجيته» ولكنها تريد هالة براقه جميلة من حوله. إنها تريد أن تعرض أمام الناس كم يحب الإنسان الطفل والزوج والبيت والفسالة الكهربائية والثلاجة الكهربائية والحديقة. كل هذا. الحب يمكنه أن يحرك الجبال، ولكنه لا يمكنه أن يحرك «إيريش». الحب يمكنه أن يحرك الجبال، ولكنه لا يمكنه أن يحرك «إيريش» ليضعه في وضع الإنسان المحب. «إيريش» غير متمرس في أن يُحَب، فلم يجرب ذلك هو نفسه على نفسه قط.

كذلك لا يمكن أن يجلب الحب ثلاجة كهربائية. إذا لم يكن هناك ثلاجة كهربائية إلخ ، فلا يبقى للإنسان إلا أن يحب الزوج والأولاد، وهم أشياء قليلة أشد القلة بالنسبة إلى حب «پاولا» الكبير أشد الكبر. في

«پاولا» حب كثير جداً جداً يبور كالأرض البور ويسيل لعابه توقاً إلى أشياء تستحق.

«بريجيته» تريد فقط أن تملك وأن تملك الكثير ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. «بريجيته» تريد أن تملك وأن تقبض على ما تملك.

«پاولا» تريد أن تملك وأن تحب وأن ترى الناس أنها تملك أن تريحهم ما تملك وما تحب.

حتى لو لم تعد «پاولا» تحب «إيريش»، سيكون عليها أن تتصنع وترى الناس مع ذلك أنها تحب «إيريش». والتصنع يحتاج إلى جهد كبير، ولكن لا بد منه. وحتى لو لم يكن في مقدورها أن تحب «إيريش»، فهناك أشياء كثيرة اشتراها «إيريش» بماله من الممكن أن تحبها على اعتبار أنها بديل.

«بريجيته» تريد أن تملك وأن تزيد ما تملكه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. هذا هدف بسيط، وهذا شيء يفهمه طفل صغير.

والبيئة المحيطة المتعجبة، التي ألفت كل هذا من قديم الزمان، تقف حاضرة فتصفق استحساناً وتتراهن على من يظفر ويكون الأول ومن يكون الثاني. وأحياناً يخسر أحدهم.

اليوم يتكرر مرة أخرى ألا تكون «بريجيته» قد حملت بعد.

حمل واحد فقط يمكن أن يدخل تغييراً على حياتها وعلى مسار الأحداث هنا.

اليوم، كما حدث مراراً، تعاني «بريجيته» خوفاً فظيماً، من أن تحمل «زوزى». تلميذة المدرسة الثانوية النسوية. قبلها، وهو شيء تنقصه للأسف أشد الشروط بدائية.

«زوزى»، على وجه التحدي، ليست امرأة، بل ما تزال في سن البنات.

«زوزى» لا تزال توفّر. لا تزال «زوزى» تستطيع بابتهاج هادئ أن تحزم حقيبتها الرياضية لتلعب التنس، لم يدخل شيء قدر بعد حياتها.

«هاينتس» لا يعتبر نفسه شيئاً قدراً، وإنما يعتبر نفسه شاباً نظيفاً، وكذلك لَعِبُهُ البولينج ليس قدراً.

أقدر شيء في حياة «هاينتس» هو بكل تأكيد «بريجيته»، النقطة الغامقة الوحيدة على صدريته البيضاء (١).

المقاول الشاب يوجه طموحه بوضوح دامغ إلى «زوزى».

«بريجيته» تريد أن توجه بوضوح دامغ طموحه إليها هي.

«بريجيته» تنسى أن الإنسان لا يحتاج إلى طموح لكي ينالها. عندما يخرج «هاينتس» من البيت يعثر في «بريجيته».

(١) الصدرية البيضاء رمز البراءة من الجرائم التي تمس الشرف. (المترجم).

ذات يوم تلاحظ حتى أم «زوزى» أن وراء «زوزى» ظل حالك، هو صاحبنا «هاينتس». الأم تلاحظ بفريزة الأم أن هذا الظل حالك من فرط القذارة.

تسأل هل لها أن تتدخل. ولكن «زوزى» تضحك فقط ضحكة ودودة وتقول لا. أنا أستطيع التصرف وحدي.

فيما بعد تقول الأم للأب، إنها تأمل أن تستمر «زوزى» طويلاً في الحفاظ على براءتها وبشاشتها.

وبينما يزحف «هاينتس» خلف «زوزى» ماكرأ ويلقى في أثناء ذلك ظله على ثوبها الخاص بلعب التنس، يساور «بريجيته» الخوف من أنها لن تحمل. ولكن الشيء المؤكد أنها ستحمل؛ لأن جسمها مناسب لذلك، حتى عندما يضطرب رأس «بريجيته» كل الاضطراب. سيستمر هذا الخوف حيناً، لا تقارير جديدة، انتهاء القدر بالنسبة إلى «بريجيته».

من حياة «پاولا» لا تزال هناك بعض الفصول التي نورد تقريراً عنها وهي تتخذ لها بنية علوية جدلية هائلة لا تطابق بحال من الأحوال أهمية القصص. في رأس «پاولا» تختلط أمنيات وأحلام وتصورات مكونة خليطاً لا يهضم. من الطرفاة بمكان أن نشارك في مشاهدة «پاولا» وهي تتكفى دائماً على وجهها. ومن الطرفاة بمكان بالنسبة إلى الواقفين أن يشاركوا في مشاهدة «پاولا» وهي تتكفى دائماً على وجهها طبقاً لقوانين جاذبية الثقل والحب.

وإذا كانت «بريجيته» تشغل في مجلاتها بثيللات المليونيرات، فهي تحسب في رأسها توأ لنفسها مقاييس بيت العائلة الواحدة القادم، ثم تفكر بعد ذلك مباشرة في الموضوع الذي تشغله أماكن العمل والحائط الذي يشق فيه باب.

عندما تقرأ «پاولا» نفس المجلات، فإنها تستفرق فيها كل الاستغراق، ثم إذا بالبیت هناك، قد انتقل على جناح الهواء، ثم إذا بالحديقة الهائلة هناك، قد بسطت في محيط نقى، مثل كواليس المسرح، وهؤلاء شباب سعداء يرتعون داخله، هم: «إيريش» وعائلته الشابة. والكلبان الألمانيان من فصيلة الشيفر علاوة عليهم.

لهو شامل يحيط بكل شيء. والناس من أبناء القرية يقفون عند السياج ويحملقون ويحسدون.

«پاولا» كثيراً ما تفكر في إحساس الإنسان بأن يكون محسوداً ومعجباً به، «بريجيته» كثيراً ما تفكر في إحساس الامتلاك والافتاء والحياسة.

«پاولا» تفكر في الأثر، دون أن تكون لها القدرة على تدبير شروط حدوثه. وكذلك «إيريش» لن يستطيع أن يدبر، وهو ما لا تستطيع «پاولا» حتى الآن أن تخمنه.

«بريجيته» تشغل بالسبب، «بريجيته» تتمسك برجل الأعمال «هاينتس»، وبهذا يأتي الأثر من تلقائه. «بريجيته» بنت المدينة.

«پاولا» بنت الريف.

وبعد ذلك مباشرة «پاولا» و«بريجيته» تفكران
بنغمة متسقة (١) في عقد قرانهما. وهذا التفكير
يتطلب وقتاً.

بالنسبة إلى «بريجيته» يشغل هذا التفكير المستمر
وقت عملها كله ووقت فراغها كله.

بالنسبة إلى «پاولا» يشغل هذا التفكير المستمر
وقتها كله وهو وقت عمل.

(١) نغمة متسقة تجمع نغمتين سابقتين unisono مصطلح موسيقى.

(الترجم)

الساعات تتسرب سراعاً

الساعات تسير سيرتها العنيدة، «پاولا» توشك على الوضع، إذا استمرت الساعات تسير سيرتها هذه. القابلة تنتظر منذ حين.

جهود «پاولا» التي لا معنى لها والتي تتركز كلها على «إيريش» تستمر في سيرها أبعد مما رأى الناس في أى وقت مضى أى سائر يسير هنا.

إذا حل مساء يذهب الناس ويتخذون أماكنهم في الألواج. يأخذون معهم كل عيالهم وكل أشياءهم. ومن هناك يتابعون بعيونهم الاحتياطات الحمقاء التي تتخذها «پاولا».

أهالى القرية والرأى العام متطابقان.

الرأى العام يوافق صراحة على جهود «پاولا» الحمقاء والمهينة الهادفة إلى اصطيد صيد ثمين.

الصيد الثمين اسمه «إيريش».

على «پاولا» أن تقنن وضعها المستهجن.

وهى تحتاج فى ذلك إلى «إيريش». والصيد الثمين «إيريش» لا يحتاج فى قطع خشب البناء والاستخدام إلا إلى نفسه: إيريش.

«پاولا» عملت شيئاً قذراً^(١) وعليها الآن أن تلتهم هذا الشيء القذر. وحدها. وهناك من يطالب «إيريش»، الصيد النفيس، بأن يساعدها فى التهام الشيء القذر، حتى يفرغ الصحن أسرع.

«إيريش» يجلس على عرشه القائم وسط الحانة.

«پاولا» تدخل وتعرض ألعابها الصغيرة، ومعلوماتها وقدراتها، وكلها ضئيلة.

كأن العرض فى سيرك، وإن زاد ما فيه من فكاهاة.

للأسف لم يستمتع «إيريش» بالكثير منه؛ لأنه كان منذ وقت طويل قد وقع على رجل مخمور لا يكف عن ثرثرة حاله نائم، عندما تنهياً «پاولا» لحركة سالتو مزدوجة إلى الخلف مع لفة إلى الداخل.

لم يسترد «إيريش» حتى الآن ربتة على الكتف، ولا خبطة كف على الظهر، ولا لكزة كوع فى الضلوع، ولا ما هو أخشن من ذلك من التعبير عن الاحترام من بلد الأحلام إلى واقع حضور «پاولا» الفض.

إلى الآن لم يأخذ أحد «إيريش» مأخذ رجل ملء هدومه. وهو الآن مسئول عن بطن «پاولا» الممتلئ،

(١) بتصريف من المترجم.

وسرعان ما يؤخذ مأخذ رجل ملء هدومه. كان «إيريش» يُعتبر حتى هذا الحين عبيطاً غيبياً لا يستطيع أن يحتال على المصطافات حتى يدفعن كل ما لديهن من مال وأشياء حتى القميص، سقيم المخ لم ينجح في امتحان رخصة القيادة حتى عند الإعادة للمرة الثالثة، ضعيفاً عليلاً لا يستطيع أن يصيب جذع شجرة بالفأس. وكان رأى الجميع أنه سيصيب رأسه هو بدلاً من جذع الشجرة. ولكنه أصاب «پاولا» إصابة رهيبة وصلت حتى نخاع عظمها، ورجت كيانها. رأى الجميع حتى الآن في «إيريش» حيوان شغل مختلف عنهم، فصحيح أنهم هم. أيضاً حيوانات شغل، ولكنهم لا يشعرون بأنهم كذلك. الجميع الآن يعبرون لـ «إيريش» عن احترامهم لفعلته التي كسرت «پاولا».

ما من شك في أن «پاولا» مكسورة.

مفاصل كتف «إيريش» تزيق معذبة في حُقها، فقبضته التي اعتادت على البلطة مضطرة إلى أن تطبق عندما يقوم بمصافحة لم يألُفها. تهانينا يا «إيريش».

وهذه هي كومة من كئوس البيرة المجانية والإشنبص المجانى والنبيذ المجانى من المهنتيين، وهؤلاء هم المهنتيون الذين يهنئونهم بنعكشة شعره مجاناً، وبلكمه في ضلوعه مجاناً، وبالشلاليت المازجة الكثيرة المجانية التي تهال على مقعدته.

مرة أخرى ترفع ركلة لثيمة خبيثة ولكن نيتها طيبة
«إيريش» من مفاصله إلى أعلى حتى تدوى قرقعة
وصرير (١) .

ثم يقع «إيريش» مثل جوال عضلات ميت ويعود
أدراجه ويستقر على كرسيه المعهود .

مثل هذا الكم من خبرات النجاح لم يعهده
«إيريش» من قبل قط .

للأسف لم يعد «إيريش» يستطيع _ ومثله فى ذلك
«پاولا» تماماً _ أن يذكر سبب هذه الفعلة التى أته بلقب
بطل مهما عصر ذهنه، فلم يؤد إلى المكان صخب
دراجة بخارية موبيد، بل طريق هادئ من طرق الغابة .
انمحي كل شىء من ذاكرة «إيريش» (٢) .

ومع ذلك فمن الممتع أن يمثل الواحد فى دائرة
الرجال والشباب شخصية محترمة . لم ينعم «إيريش»
من قبل بمتعة، وهو الآن يجد الكثير جداً من المتعة .
رجل صغير، كبير جداً .

فى الساعة العاشرة مساءً ظهور «پاولا» الحامل
فى شهورها الأخيرة، دخول الأم الحامل غير المتزوجة
الحانة .

(١) فى هذه السطور تصوير للطريقة الخشنة الفظة التى
يستخدمها هؤلاء الأجلاف لتحية زميلهم لقيامه بفعلة مقية . وتوحى
بليتك إلى القارئ بأن التفاهم مع مثل هؤلاء العتاة بالمقل أو
الضمير أو المبادئ صعب . (المترجم)

(٢) كلمة النقلة من فقرة إلى فقرة هنا Weg, weg وتعنى :
طريق ومحو . ونلاحظ أن مجازة هذه التقنية الشكل تفرض إدخال
تغييرات شكلية على النص العربى، وكثيراً كما يضطر المترجم
لإغفالها . (المترجم) .

تهليل، خبط بالأقدام، صفير، تصفيق. الآن تحل
البهجة.

عقد آخر مراهنات.

«پاولا» لم يعد لها توصيف يحدد درجة الجودة،
والتوصيف إلزامى بالنسبة لتفاح المائدة. «پاولا» لم
يعد لها قيمة تجارية.

«پاولا» تحمل تبعات ما فعلته وتدخل بها. «پاولا»
تود أن تلقى قصيدتها. تنص القصيدة، وهي ذات
إيقاعات حرة، على أن «إيريش» ملزم بأن يعود إلى
البيت؛ لأن الوقت قد تأخر وهو ملزم بأن يذهب في
اليوم التالي إلى العمل الثقيل، وتنص على أن «پاولا»
مضطرة إلى الانصراف بعد قليل وإلى أن تدع طفلاً
يخرج من أحشائها، وأن «پاولا» وطفلها الذي لم يولد
بعد ينتظران «إيريش». مهما طال الانتظار. بعبارة
أخرى: امرأتك وطفلك بداخلها ينتظرانك يا
«إيريش». وأرجوك، أرجوك، يا «إيريش» أن تعطيني
اسمك.

ولكن «إيريش» لم يعد (وهو مخمور) يستطيع أن
ينطق اسمه. «پاولا» تأخرت مرة أخرى تأخراً مفرطاً
في الحضور.

الجميع يرون أن «إيريش»، إذا كان قد تحتم عليه
أن يرضخ، لا ينبغي أن يرضخ إلا عندما يكون الطفل
موجوداً، ويكون هبوط قيمة «پاولا» قد أصبح انعدام
قيمة.

عندما تحط قيمة شخص، فإن ذلك يؤدي إلى صعود بسيط في قيمة الجميع. إن إذلال «پاولا» يعوضها عما تقوم به هي من كثير من الإذلال الذاتي الذي هو في بعض الأحيان أشد بشاعة.

فجأة أصبحوا جميعاً مرة أخرى أشخاصاً في مواجهة لا شخص واحد.

نحن مجتمعون اليوم في هذا المكان؛ لكي نثمن ونقيّم محاولات «پاولا» لجرجرة «إيريش» إلى البيت. المثمنون الذين يحددون الثمن يرفعون إلى أعلى اللافعات وعليها الدرجات.

ترتمى «پاولا» على «إيريش» وتبذل يأسسة جهداً جهيداً لجرجرة هذا الكائن المخمور الذي سيصبح بعد قليل أيضاً كائناً متقيئاً إلى البيت.

«پاولا» تشد «إيريش»

«پاولا» تعتقد أن لها حق في «إيريش».

الهواء الكثيف المثقل بالدخان وغيام البيرة والرائحة النتنة وضروب من عرق الرجال.

«پاولا» الحامل التي تقترب من السادسة عشرة من عمرها، تشد عضلاتها مثل حصان الفيط، وترفع «إيريش» السكران بجهد جهيد إلى أعلى، ولكنها لا تتقدم بشيلتها الحلوة.

أيدي زملاء «إيريش» في الغابة تنتزع من يدي «پاولا» الغنيمة الثمينة بقوى متوحدة.

قوة «پاولا» المنفردة لا تستطيع شيئاً ضد قوى سادة الغابة المتوحدة. خسرت «پاولا» واضطرت إلى ترك «إيريش». «پاولا» واتها حسن حظ وسط سوء الحظ، فلم يرفضها أحد في بطنها ولم يصب الجنين بعيب.

أم «پاولا» كانت سترضى كل الرضا بإصابة الطفل في بطن «پاولا» بعيب. وأفضل ما كانت تتمناه أن يحدث إجهاض أو ولادة فاشلة.

وأغلب الظن أن الطفل للأسف أصبح بعد كل هذه الشهور قادراً على الحياة خارج «پاولا».

سيضرب أحدهم إذا «إيريش» مرة أخرى ضربة ترفعه وتحطه على دكة الحانة، فهو لم يستوعب شيئاً من كل هذا. «پاولا» تزحف جارةً أذيالها نحو البيت وهي تشيل شيلة ثقيلة عليها هي الطفل. وكان الأحب إلى «پاولا» أن يكون «إيريش» هو شيلتها الثقيلة، وأن تفقد الطفل. وتضرب «پاولا» نفسها مراراً ضربات بعيدة لا تطول الهدف؛ لأن الظلمة حالكة حالكة. ولكن كل هذه الضربات المميتة لا تميت الصغير في بطنها.

وتلم بالفراش في البيت منتحبة باكية، لقد شدت «پاولا» طوال الطريق الجنين معها وهي تسير إلى أمام نحو المكان الذي فيه بيتها. وتطامن «پاولا» رأسها إلى الأرض مثل كلب الصيد الذي يشمشم، وتصل إلى فرن الدار التي لم تعد «پاولا» تجد فيها ما يرتاح إليه الإنسان في داره.

وتربع «پاولا» ذراعياً . اللتين ستحملان الطفل بعد قليل . تحت رأسها الذى سيميل لينظر إلى الطفل، وتتمنى أن يكون على الأقل ولداً لا بنتاً .

«پاولا» تتمنى، ليتها يكون ولداً لا بنتاً .

فى اليوم التالى وفى الوقت المناسب مبكراً، يشرعون فى تخويف «پاولا» من آلام الطلق التى يقولون إنها ستكون موجعة مبرحة .

لو كان لـ «پاولا» زوج لكانوا قبل الطلق واسوها ونهنهوها وهونوا عليها .

وذات يوم . الهواء فيه لطيف . تدخل «پاولا» المستشفى وتضبط بحركات صغيرة عسيرة كل العسر طفلاً ليخرج منها إلى نور النهار . وحددت «پاولا» وهى قادمة فى سيارة الإسعاف أن يحمل الابن اسم أبيه «إيريش»، وأن تحمل البنت اسماً حضرياً هو «زوزانه» .

تحدث أبواها الخائبان إلى سرير المستشفى قائلين أن يتزوجك «إيريش» بسبب بنت أقل احتمالاً من أن يتزوجك بسبب ولد .

ولكن أم «پاولا» تحب المولود مسبقاً، لأنه عيل محبوب . وأم «پاولا» تنتظره أيضاً من كل النواحي .

وأصبحت «زوزانه» بنتاً لم يتزوج أبواها .

وأصبحت «پاولا» أما لم تتزوج .

والاشتان أنثيان .

تلك سعادة والتزام أيضاً فى نفس الوقت أن تتصرف «پاولا» كإنسان وليس كحيوان أنثى .

هو التزام جميل. أجمل من التزام «إيريش» بقطع الخشب.

«پاولا» أكبر من ابنتها بست عشرة سنة فقط، ومع ذلك فهي توشك أن تقطع ما بينها وبين الحياة.

أنت يا «پاولا» لم تختلفى فى أى نقطة عن حيوان الغابة، لأن ولادة صغار تستطيعه كل أنثى، ولكن ما من أنثى تستطيع أن تجعل أحداً يتزوجها، هذا ما نبهتها إليه بنبرة جادة خالة جاءت إلى سريرها مسرعة من المدينة التى انتقلت إليها لزواجها هناك. «پاولا» ترقد فى سرير الولادة وتسمع التبيهاات وتتحب.

فى مقدور الخالة أن تتكلم بسهولة على راحتها، لأنها تزوجت خبازاً فى مدينة كبيرة وهى والخباز يمتلكان سيارة.

على راحتها تعد الخالة القادمة من المدينة إذاً بأن تكلم «إيريش» وبأن تنهال عليه حتى يلين، وهو ما لا بد من فعله مع الرجال عندما لا يريدون أن يفعلوا شيئاً ما طواعية.

ثم إن الرجال قد يكونون أيضاً أحياناً طيبى القلب.

التنقيط الدائم يلين الحجر، ويلين «إيريش» بكل تأكيد!

إذلال الذات ثم الإلانة: الطريق الوحيد.

كذلك خالة المدينة تجد أن المولود أصبح طفلاً لطيفاً. ولا ينبغى السماح بتجريد الطفل من قيمته.

وهو علاوة على ذلك طفل لطيف، بينما «پاولا»
سفاة سمكية قبيحة.

أولاً الشغل مص عظم «إيريش» والآن تنهال عليه
خالة المدينة حتى يلين.

وسنقص فيما بعد الشكل الذي اتخذه «إيريش»
بعد أن انهالت عليه خالة المدينة وكيف ألاته.

تقرير قبل النهائي

ومضة السعادة التي تعنى بالنسبة إلى «بريجيته» أن تكون زوجة وأماً لا تزال حتى اليوم غائبة.

اليوم يسير أناسٌ في نزهة لأهداف استعراضية (معاطف جديدة!) من خلال الحديقة. في أثناء هذه النزهة يجرى لقاء مصادفة مع «زوزى» التي يبدو عليها أنها مصنوعة كلها من ذهب وتأخذ ابن اختها في عربة أطفال وتصحب بسلسلة كلباً عملاقاً أصيلاً من جنس الشيفر له وثيقة تبين سلالته.

تلك صورة تخطيط في غاية البراعة. هنا وجدت الطبيعة أعظم صياغة لها، الحيوان الأصيل البديع و«زوزى» التي هي أيضاً حيوان أصيل ولكن من نوع مختلف. إنها تبدو في الضوء الذي يسقط من خلال ورق الشجر على رأسها تجسيداً لكل الأمهات اللاتي كن يوماً ما أمهات. مع أن «بريجيته» ترى أن «زوزى»

لا يمكن أن تصبح أبداً أما جيدة؛ لأنها أنانية ولأنها لا يمكن أن تخضع أبداً مصالحها لمصلحة طفل.

وسوء الفهم الذي وقعت فيه «بريجيته» يتلخص في أن «زوزى» يمكن أن تخضع مصالحها لمصلحة طفل إذا كان الطفل من النطفة الصحيحة.

و«هاينتس» ليس هو الرجل المناسب. إنه لا يستطيع أن ينال من «بريجيته» الجلفة الخشنة الطبع أقل القليل من الأحاسيس.

فما بالك بـ«زوزى» الناعمة الراقية.

«زوزى» لا تلبس معطفاً جديداً مثل «بريجيته»، ولكن ملابس نزهتها المرسلّة المصنوعة من خامات غالية تعطى انطباعاً أكثر كمالاً من معطف «بريجيته» الجديد الربيعي المبكر. منظر «زوزى» هو: أم وطفل في نزهة.

الكلب الجميل يكمل الصورة، قوته تلوح مكبحة على نحو عجيب ورقيق متسق مع عربة الأطفال ومع سوزى.

دعيني أصبح الرجل الفاشم الذي تقيدينه بالسلسلة وتروضينه يا «زوزى»، هذا ما يفكر فيه «إيريش» في نهم وبمسحة من القذارة في أفكاره.

يظهر للجميع في الحال كم تحب «زوزى» الطفل الصغير. صورة بدون تعليق.

أن تكون جميلة ونضرة، هذا ما ينبغي أن يكون.

«بريجيته» تتصور نفسها عندئذ وضيفة وسطحية
«زوزى» وهى تلبس المعطف الجديد المصنوع من
الصوف المخلوط بالأورلون. وهو المعطف الذى
أعجبك فى المحل كل الإعجاب يا «بريجيته»، يا
متقلبة.

«هاينتس» يكلم «زوزى» على الفور، الطفل يناسبك
جيداً.

على الرغم من إشعاع «زوزى» الأمومى المؤكد فإن
«هاينتس» يأخذ حيالها وضع التأهب....

تعجل «هاينتس» وأحس بإحساس قائد سيارة
سباق من الرتبة الأولى قبل الانطلاق.

«بريجيته» يتملكها مرة أخرى إحساس كراهية.
يبدو أن امتحان الأسطوات، ومحل المستقبل، وحساب
توفير الحمومين، أن كل ذلك ينبغى تحيته جانباً، إذ
يبدو أن «هاينتس» وقد غشاه إحساس المنزلق على
الجليد فى بداية السباق، ذلك الإحساس الذى لم
يعرفه مع «بريجيته» قط، سيركز كل التركيز على
«زوزى».

«زوزى» تناسبها الأمومة التمثيلية جيداً، كم
ستناسبها الأمومة الحقيقية عندما يحين حينها.

«زوزى» تأتي من بيئة مختلفة كل الاختلاف،
و«هاينتس» صنع لكى يعبر من فوق هذه البيئة
الراقية.

إذا كان هناك من يصلح لهذه المهمة، فهو «هاينتس».

وكذلك «زوزى» اليوم أقل ميلاً إلى طبع النضال من ذى قبل.

لا تهتم بمجموعات ترتدى زياً خاصاً، يمكن أن يقوم الإنسان بهجمة من أجل حلها، لا تهتم بنوادى مناقشات، يصرح فيها الإنسان برأيه، لا تهتم بمسيرات، يستطيع الإنسان أن يشارك بالسير فيها.

«زوزى» تصرح بأن الطفل الصغير فى عريته الصغيرة لا يعلم حتى الآن من كل هذا شيئاً وأنها تتوى أن تبعد عنه كل قبيح.

«بريجيته» غارقة فى القبيح حتى رقبتها.

ليس الروث بالشئ الجميل.

«زوزى» تعطى «بريجيته» نصائح لتربية الأطفال، وتستخدم عندئذ كلمات سيكولوجية أجنبية لا تفهما «بريجيته».

وعلى الرغم من ذلك فـ«بريجيته» ستكون بكل تأكيد أما أفضل من «زوزى»، كما تقول. وفى الوقت نفسه تُضمّن «زوزى» كلامها أنها لا تزال صغيرة على إنجاب أطفال، ولكن الرجل الوحيد المعين سيطرد منها هذه الترهات وسيختارها لمهنة الأم على الرغم من صغر سنها.

عندئذ ستجيب «زوزى» بـ نعم.

«زوزى» تقول حرفياً: ربما يطرد منى أحدهم هذه الترهات.

«بريجيته» تفهم القليل مما تقوله «زوزى».

ولكن «بريجيته» تفهم أن «هاينتس» يرى نفسه فى دور هذا الوحيد ويرى «زوزى» فى دور ملكه. بينما هى «بريجيته» ملكه.

الحمد لله أن «زوزى» لا تستجيب لهذا العرض، لأنها لا تعرف بعد، ما يمكن أن يعنيه على نحو أو آخر، امتلاك محل خاص.

«زوزى» لا تعرف بالفعل حتى الآن من هو الرجل الصحيح وما هو شكله: مثل «هاينتس».

«هاينتس» يتولى عن «زوزى» بأدب راق الإمساك بسلسلة الكلب: قوة مزاجية مرتبطة بأناقة.

هكذا ينشئ «هاينتس» ارتباطاً بينه وبين «زوزى»، هو بالنسبة إلى «بريجيته» لا يمكن اختراقه ولا يمكن هدمه. وهذه هى «زوزى» وقد دفعتها هذه الطبايع النورية إلى حافة الوجود ترى بعينيها الروحيتين المدربتين تدريباً ناقصاً الصورة التالية: هى تنظف البراز من سلطانية المرحاض اليوم مرة مستخدمة شعر «هاينتس». وقد تقوم بعد ذلك بدس رأسه كلها كاملة فيها.

علماً بأن تاريخ اليوم مناسب جداً والملابس جديدة جداً. فإذا لم تتجح اليوم، فلن تتجح أبداً مرة أخرى. إما اليوم وإلا فلا.

إذا استطاعت «بريجيته» أن تهبه ولداً من صلبه، فستبهت «زوزى» بالضرورة عندئذ وهى تقف بجانب الطفل ابن أختها.

عندئذ سيستطيع «هاينتس» أن يتعلم كيف يميز الطفل الصحيح عن الطفل الزائف: أن يميز لحمه ودمه عن ابن أخت «زوزى».

وتبع القولَ فعلٌ.

أنا يا هاينتس، أحبك، أحبك جداً جداً، هكذا تقول «بريجيته» ألياً، وقد وصلت البيت أخيراً. شعرها يلمع مَحْمَرّاً فى الشمس، وتلك لمعة من فعل الصبغة الموجودة فيه. لدى «هاينتس» فى منذ وقت طويل رغبة

ويمكننا اليوم أن نعلن خبراً هو أن تفاهماً حدث أخيراً بين الشاب والشابة، وهو أمر لن يتضح إلا بعد عدة أسابيع.

وهكذا وصلت «بريجيته» فى نهاية المطاف إلى قَدْر.

أخيراً جاء من «هاينتس» شىء من نور أيضاً على «بريجيته».

اليوم حملت «بريجيته» مبروك.

وهكذا لن تنهى «بريجيته» حياتها فى البرد والعزلة، وهو ما كانت ستضطر إليه.

صعود «بريجيته» هو نجاح عمل تتابع قليلاً قليلاً بجهد جهيد. استطاعت «بريجيته» مرة أخرى أن تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيته» ستكون في المحل (محل الأجهزة الكهربائية) قوة عاملة بلغت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيته» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه. «بريجيته» اعتقدت أن هناك أيضاً حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج، وظل الحق في جانبها: هناك حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج في المصنع، ألا وهي «هاينتس».

حيث تكون إرادة، يكون هناك أيضاً طريق.

ولقد وجدت «جيتي» (١) هذا الطريق. الحمد لله إنها ليست بطبيعتها عاقرة، بل خصبة، وإلا كان كل شيء قد انتهى إلى الفشل.

جسم «بريجيته» الشجاع. المنتصر هو القدرة على الإنجاب. وبصفة خاصة

ربما كان لـ «زوزي» أيضاً مثل هذه الأعضاء، ولكن هذا شيء لا بد من إقامة الدليل عليه.

«بريجيته» الآن على أية حال فوق في العلالى.

هيا إلى العمل في الإنجاب وإلى العمل في محل الأجهزة الكهربائية، يا «بريجيته».

هل لديكم كذلك أرحام؟ هذا ما أتمناه! إننا نرى الأمر على خير وجه في مثال «بريجيته» التي لم تدع

(١) اختصار تدليل لاسم «بريجيته». (المترجم).

هذا العضو الأنثوى المهم يضمروهي تشتغل فى
المصنع على خط الإنتاج، وإنما سمت به.... إلى كامل
قدرته الاستخدامية.

ما نهايته خير، كله خير.

موت «ربو» يجعل الأمر ممكناً

حديث خالة المدينة وخالة الريف أثمر - كما
أثمرت العلاقة بين «إيريش» و «پاولا» - لأن «ربو»
نفق (١) بالربو بفتة. فجأة أصبح «ربو» فى قلب تربة
المقابر الحالكة حيث لم يعد يستطيع أن يضر أحداً
بشئ.

على العكس من ذلك تحس أم «إيريش» حولها
بالضد تماماً، تحس تحديداً بفراغ لا يصدق العقل
حل فجأة، فراغ لم يعد موظف حكومى سابق يطلق
من خلاله أوامره المدوية.

الأم توسد عظامها المشوهة كرسياً وتتفض بين
الفينة والفينة مثل كلب الصيد، كأنما سيدوى تكليف
أو رغبة أو أمر، وهو ما لن يدوى أبداً.

وكذلك الخنفرة والتزييق والخشخشة كأنها نُفخت
وأخمدت. وخيم السكون.

(١) بدلاً من أن تقول سمات. (المترجم).

لم يعد هناك ما يطن أو يرن من خلال الحجرة المطبخ.

وهكذا بين عشية وضحاها يصل الإنسان إلى حياة فارغة بينما رفات «ربو» وسد اللحد للراحة الأبدية منذ قليل.

كانت الأم قد اندفعت في ثورة غاضبة شرسة إلى حيث تجرى استعدادات دفن «ربو» وكأنما أرادت أن توجه مرة أخرى نشاطها كله إلى هدفه الصحيح الأوحيد ألا وهو «ربو». ثم انتهى الأمر وخيم السكون.

الجددة الهرمة هي التي بقيت وحدها على قيد الحياة وهي التي أرسلت ابنتها (الآن: الأم) ولما تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها للخدمة في البيوت وعرضتها لأول مسافحة.... في حياتها. والأم لم تسامح أمها، الجدة، بل ترد لها فعلتها أضعافاً مضاعفة.

أما أن الجددة فيما مضى من الزمان وكانت في الثانية عشرة من عمرها قد أرسلت للشغل في البيوت وتعرضت لأول مسافحة.... فأمر نسيه أهل الريف بذاكرتهم الضعيفة منذ أمد بعيد. الجدة وحدها هي التي تعرفه، ولم يعد أحد ينصت إليها.

والأحسن على أية حال، بعد أن لم يعد للأم زوج تخدمه، أن تقوم بإهانة أمها، بدلاً من ألا تفعل شيئاً إطلاقاً. وإذا بتعبيرات قبيحة وتمنيات بالموت تتردد بين جنبات الجبال.

وفى قلب تشنجات بكاء ونحيب الجدة الهرمة تسببت فيها ابنتها المترملة حديثاً والتي أصبحت بلا «ريو»، انقضت خالة «پاولا». نحن نتذكر. إنها ترجو أن تفك «إيريش» من رابطة العائلة، وأن تلصقه فى «پاولا». تقول فيما تقول العيل المسكين يضطر إلى أن يكبر بلا أب، ألا يكفى أن أولادك أنت كان عليهم أكثر الوقت أن يكبروا بدون آبائهم؟ الطفل يحتاج إلى أب تماماً كما يحتاج إلى أم. الطفل يحتاج إلى اليد القوية كما يحتاج إلى يد الأم الناعمة (١).. الطفل يحتاج إلى الأبوين معاً، لا منفصلين .. هذا أفضل للطفل .. واضح .. «پاولا» عملت عملة قذرة وعملة عبيطة، ولكنها صغيرة السن جداً، وأنت أيضاً كنتِ صغيرة السن، و«پاولا» ستسلك مستقبلاً سلوكاً مهذباً ولن تعمل أعمال قذرة بعد الآن.

ثم إن «إيريش» ليس بريئاً إلى هذا الحد فى هذه العملة، وهى تحتاج دائماً إلى اثنين، على الرغم من أن الدافع يكون أقوى عند الرجل، ولا يمكن أن يوجه إليه الكثير من اللوم لهذا السبب.

والرجل من الممكن أن يدبر أمور حياته وحده، بينما المرأة، «پاولا»، لا تستطيع ومعها الطفل أن تدبر أمورها وأن تضرب العوائق، وكذلك تحتاج إلى أن يضربها «إيريش»، تحتاج مرةً إلى يد رجل قوية.

(١) الكلام كما تكتبه يلينك متواصل بدون علامات ترقيم، وقد أضفت النقطتين للفصل والتوضيح. (المترجم).

الطفل يحتاج إلى أبيه: «إيريش».

ومن يعرف إذا كان «إيريش» أصلاً هو الأب، بهذا ردت بكلاحة الأم الغاضبة الثائرة. إذا فرطت امرأة فى نفسها مع رجل، فإنها عند الضرورة تفرط فى نفسها مع رجال كثيرين. ومن يعلم، ربما لا يكون ابنى «إيريش» هو الأب، من يعلم.

وتبع هذا الإذلال المعهود الصمت المعهود. وأصاب شىء من إذلال «پاولا» الخالة القادمة من المدينة والتي لا ذنب لها. سأصنع «پاولا» فى مقابل ذلك صفة هائلة، هذا ما نوته وعقدت عليه الأيمان.

عما قريب ستدق أجراس عقد القران فى الكنيسة!

عما قريب ستدق أجراس عقد القران فى الكنيسة! بيم بام بيم بام.

أم «إيريش» حولت المسار بقوة مراراً وتكراراً تجاه العوائق كل العوائق، ولكن هناك حيث كان من قبل جدار خرسانى سميك هو «ربو» تهاوى كل شىء وكأنه صنع من زبد طرى، تلك خبرة مثيرة، لم يعد من فى سنى يستطيع أن يتحملها كما ينبغى. أن تكون فجأة موضوع الرجاء، أن يكون على فجأة أن أحقق شيئاً، أن أقف فجأة كشخص أعلى حيال شخص أوطى يرجوها، كل هذا يؤدى بالمرأة المنتظمة عموماً إلى اضطراب عنيف.

هذه المرأة أيضاً دخلت فى تجربة اليمة.

واحد خطفه الموت، فمن بقى؟ لا أحد على الإطلاق.

الأم تقول، صعب أن نضطر إلى التخلي عن إنسان؟ لا بد أن يكون الشخص قوياً جداً؛ ليتحمل شيئاً من هذا القبيل. الأم قوية إنها تحمل إناءين حديدين مملوءين بمشروب ساخن وكأنها لا تحمل شيئاً، على الرغم من أنها ليست إلا هيكلًا عظمياً.

إن من يستطيع أن يتحمل «ربو» عشر معشار الوقت الذي تحملته الأم شخصاً يقيناً قوى. من الذي ستكرهه الآن، إذا كان الجميع قد تركوا البيت؟

الإجابة: لم يبق إلا الجدة الهرمة، التي أصبحت الآن جدة كبرى، يمكنها أن تكرهها. فليُنصب الكره كله إذاً على الجدة الكبرى! ولعوا الأنوار المبهرة.

بلغة المدينة ترجو الخالة القادمة من المدينة الأم أن تسعد اثنين من الشباب تسيطر عليهما وحدها مثل راكب الدراجة الذي يسيطر عليها ويداه في الهواء، بلغة المجلات.

قولى نعم، دعى للطبيعة حقها ومسارها الطبيعي، وكل ما عدا ذلك سيظهر من تلقاء ذاته. هكذا تتكلم.

فى البداية سارت الطبيعة مسارها الجبار وعلى
الحظ أن يدخل الساحة. الخالة القادمة من المدينة
ترى أن على الأم ألا تتغلق على هذا المسار الطبيعى
الذى تسيره الطبيعة.

وأخيراً تتفتح أم «إيريش» المذهولة على مسار
الطبيعة. وهاهى ذى تبعد عن الطريق حتى تستطيع
الطبيعة أن تتطلق إلى الداخل، وهاهى ذى الطبيعة
قد أتت. من الممكن أن يتم عقد القران.

ربما يكف «إيريش» عن إدمان الخمر، نصيحة
قذفتها الخالة القادمة من المدينة عميانياً. ووصلت
بها نهائياً إلى خير منعطف.

سيقام إذاً حفل قران أبيض جميل.

«إيريش» يوافق زائفاً، سيان بالنسبة إليه.

إما أن يسلم النقود لبابا إلا ما يضيعه فى الكحول
والدراجة البخارية، وإما أن يسلم قليلاً منها لـ «پاولا»،
والباقى للبنك.

ليست هذه رواية موضوعها الوطن.

وهى ليست رواية موضوعها الحب، حتى إذا لاح
أنها كذلك.

فهى، على الرغم من أنها فى ظاهرها تتناول
الوطن والحب، لا تتناول الوطن والحب.
هذه الرواية تتناول موضوع «پاولا».

وموضوع «پاولا» يحدده «إيريش»، أما موضوع قوى
"إيريش" البدنية فيحدده آخرون، إلى أن تتفتت
أحشاؤه وتبلغ به ميتة مبكرة يكون الكحول قد لعب
فيها دوره. «إيريش» يحدد حياة «پاولا» وحياة ابنته
«زوزانه».

سيقيم الزوجان الشابان مؤقتاً عند والدي «پاولا»
الذين سينزلان لهما عن حجرة. وهما فرحان بأنهما
أدخلا زوجين شابين العش، وأن «پاولا» و«زوزانه» لن
يدخلاه وحدهما.

وعما قريب ستكون أربعة، لا ثلاثة فقط! هذا ما
همست به الزوجة الشابة ذات يوم. وعما قريب
سنملك سكناً خاصاً أو بيتاً صغيراً خاصاً، فانتظر
عما قريب (١).

عما قريب ستكون لدينا مبالغ مقتصدة (٢)، وهي
الآن ليست لدينا بعد. ليس لدينا في وقتنا هذا إلا
أنفسنا وحبنا.

ورغبتنا. سنقوم بالعمل برغبة وحب. وسيكون
العمل لطيفاً محبوباً.

«پاولا» استهلكت منذ وقت طويل رغبتها وحبها، أو
ما اعتبره كذلك.

(١) عبارة مأخوذة من آخر قصيدة كتبها جوته وتنبأ فيها بموته
الوشيك. والتلميح المقصود لا يغيب عن فطنة القارئ: عما
قريب سيموت العجائز ويتسع البيت للصغار. (المترجم).

(٢) مبالغ اقتصدها الأم المعجوز سيحصل عليها الورثة بعد موتها
"عما قريب". (المترجم)

أما «إيريش» فلم يكن عنده من قبل قط رغبة أو حب.

كان عنده دائماً عمله فقط وما كان يرغب فيه وما كان يحبه.

كلاهما عندهما «زوزانه». وعندهما يدان، يدان لكل واحد منهما يستطيع بهما طبقاً للحال أن يقبض قبضة متينة. وستظهر آثار الأيادي القابضة عما قريب في جسم «زوزانه». إلى أن تأتي يد أكبر وأقوى فتمتد إليه. قد يكون الاسم بيتر وقد يكون هيللى. ولن يكون يقيناً ربنا الحبيب.

الذى سيبارك رباط هذين الشابين، الذين باركا نفسيهما وحدهما من قبل بطفل، ويعقده. وستكون هناك قبل ذلك دروس دينية كاثوليكية عن الزواج تلقى عليهما في دار القسيس حيث ستعامل «پاولا» أسوأ معاملة على اعتبار أنها أقدر شيء. ولكن كل هذا سيطويه النسيان يوماً ما. يوماً ما سنتعقد العقدة.

وسنصف فيما بعد حفل زفاف جميل حتى لا يكون نسيج الأحداث مفرط التعاسة.

لا ينبغي لنا ألا نصف إلا ما هو سلبي وقبيح.

الأشخاص الرئيسيون المشاركون في الأحداث يشعرون بفرحة مسبقة وهم ينتظرون ذلك.

الأشخاص الرئيسيون المشاركون فى الأحداث لا تكاد تكون لديهم للأسف المقدرة على أحاسيس الفرح. لم يعد من الممكن أن يجعل الإنسان من حصان عجوز كدح فى الفيطان حصاناً من فصيلة الليبيتسانر (١) .

إلا أن "پاولا" احتفظت بنزعتها التفاؤلية.

«پاولا» ممتنة امتنان الكلب. مرعبٌ أن يضطر الإنسان إلى أن يرى مع آخرين امتنان «پاولا». الامتنان يحول دون انبثاق الفرح. كذلك تحس «پاولا» بالارتياح. وهى من ناحية المبدأ مستعدة كذلك لولادة أخرى. استعدادات حفل الزفاف تبدأ.

«إيريش» يجد الطفل لطيفاً. ولكنه على أية حال رجل ولا يستطيع بحكم طبيعته أن يجد فى الأطفال الصغار شيئاً، هذا ما تشرحه «پاولا» الجديرة بالشرح مرة أخرى. «پاولا» فرحانة جداً «پاولا» فرحانة جداً. «پاولا» تقبل الطفل مراراً وتكراراً أمام الناس بحب متأجج، وهو من حق الأم وواجبها.

(١) لهذه الفصيلة من الخيل شهرة خاصة فى النمسا ولها مدرسة فروسية من أيام الأباطرة النمساويين، اتخذت اسمها من مدينة ليبيتسيا غير بعيد عن ترييستا وكانت تابعة للتاج الإمبراطورى النمساوى، ولها مكان فى هيينا تعرض فيه مهاراتها بتذاكر دخول غالية، ويضرب بها المثل فى النمسا عند الحديث عن السمات الأرستقراطية. (المترجم)

«إيريش» يحب موتوراته وخمره القوية.

«پاولا» تحب زوجها القادم وطفلها وبيتها الخاص

القادم.

الآن يصبح كل شيء على ما يرام!

صوت قبلات «پاولا» يسمعه من بالحجرة المجاورة.

الآن يصبح كل شيء على ما يرام.

عن رحم «بريجيته»

أخيراً يبدأ فى الازدهار والنمو، ومحتواه الذى ظل حيناً بلا شكل يزدهر وينمو معه.

عندما ألم بها الغثيان لأول مرة مبكراً وصعد القيء إلى أعلى، عرفت أن اليوم لم يعد بعيداً. فليس من الممكن إطلاقاً أن يكون هناك سبب آخر لصعود القيء إلى أعلى.

وتبصق «بريجيته» قياها القليل فى سلطانية المرحاض. بعد ذلك مباشرة تذهب «بريجيته» إلى عملها فى المصنع كإنسان جديد، كإنسان ولد من جديد. لديها الفرصة عن طريق المولود الجديد أن تولد تقريباً هى نفسها أيضاً من جديد. ستكون هناك بنية وجود علوية ثانية.

الآن تصبح الحياة لطيفة بحق.

الطبيعة بنت سرأ كبيراً حول الصيرورة والفناء فى الطبيعة. عما قريب ستعرف «بريجيته» هذا السر.

الصيرورة والفناء، بوصف أكثر دقة: طفل «بريجيته» سيصير. الوالدان المشتغلان بالقيادة على المسافات البعيدة سيفنيان والمأمول أن يفنيا بسرعة، وإلا سيكون أمامهما أن يقيما إقامة طويلة ثقيلة في دار المسنين؛ لأن على الشيخوخة أن تفسح مكاناً للشباب وعنفوانه. كل ما في الأمر أن الوالدين المشتغلين بالقيادة على المسافات البعيدة لا يعرفان إلى الآن شيئاً عن قدرهما السخيف.

وعلاوة على ذلك على معلم «هاينتس» في أقرب حين ممكن أن يفنى ويقضى نحبه، لأن «هاينتس» الذي تعلم في محله الصغير قد أتم تعليمه الآن ويحتاج إلى فرصته.

إنه يقف هنا من سيخلفك مستقبلاً في تولى العمل، هل على عيني المعلم الذي لم يعقب أولاداً غشاوة سميكة من الورق المقوى؟

آمال «هاينتس» في صعود، شد حيلك شدا!

وعائلته الصغيرة المكتملة ستسهل على المعلم الموت، لكي يستطيع «هاينتس» عما قريب أن يستقل بمحله. وعلى الإنسان أن يعمل بهمة على التحديث والتجديد والدهان والتوسيع، فيكون كل شيء محدثاً ومجدداً ومدهوراً وموسعاً.

على القديم أن يفسح المكان للشباب، و«بريجيته» تفسح في بطنها مكاناً لجديد أفضل وأجمل مما كان حتى الآن نائماً بائراً فيه (١).

(١) من الموروث الفلسفي: الإنسان باعتباره العالم الصغير الذي ينسجم في العالم الكبير، الميكروكوسموس والماكروكوسموس، وكذلك الموت والصيرورة ودورتها Stirb und werde! (المترجم).

وسيحتل الطفل الصغير مكاناً مهماً: وريث المحل! وستحتل «بريجيته» المكان المهم الثانى: مُعاونة فى المحل وفى تدبير المنزل.

حتى هذا الحين كانت «بريجيته» تشغل مكاناً بلا أهمية: عاملة معاونة فى المصنع. وتلك درجة أقل، لا بل عدة درجات أقل.

وجاء اليوم الذى قالت لـ «هاينتس» الخبر «ريجيتته» تعترف لـ «هاينتس» بسرّها. «هاينتس» خَشى هذا طوال الوقت، وهو الآن لا يستطيع أن يتملص. الجنتلمان لا يتملص من الواجب. قبل أن أَدفع نفقة الطفل أريد على الأقل من الأم إسهاماً فى المحل فى صورة عمل، هذا ما قاله «هاينتس» من كلام يعبر عن التعالم موجه إلى عائلته المذهولة كل الذهول التى تكاثفت وكأنها تتعرض لعاصفة.

من فم الأب سائق المسافات البعيدة وقع وهمّ اسمه «زوزى».

من فم الأم امرأة سائق المسافات البعيدة وقع وهمّ اسمه «زوزى».

بعد قليل ستسقط الفاكهة من الأشجار، وسيكون على الوالدين أن يتركا البيت، ليفسحوا مكاناً للجبل التالى. دفتر توفيرهم يبقى هنا.

الأب يعانى من ألم فى الفضاريف وألم فى القلب. وفجأة يصاب الأب بألم ثانٍ يفشى أيام الشيخوخة.

ولكن: المؤاخاة بين المقاولات والثقافة (زوزى) لم
يُن لها مرة أخرى أن تتحقق.

مقاولات «هاينتس» تبقى وحدها هنا .

كذلك الأم كان لديها خطط ثقافية عليها الآن أن
تتخلى عنها. تصورت أنهما سيكونان زوجين جميلين،
«زوزى» الحبوبة تلبس أبيض فى أبيض بلون الثلوج،
وابنها «هاينتسى» يلبس أسود فى أسود بلون الغراب!
هل هناك تضاد أكثر إمعاناً فى التضاد من هذا
التضاد؟

هل هناك شيء يكون فى وقت واحد تناقضاً
وانسجاماً؟ أو كان يمكن أن يكون كذلك؟

ثم بعد ذلك كذلك أولاد يمكن أن تساعدهم الأم
فى الواجبات المدرسية؟ ويتعلمون مرة المقاولات من
الأساس ...

ما كان يجوز أن يحدث.

«بريجيته» ليست الضد بالنسبة إلى «هاينتس»،
«بريجيته» مثل «هاينتس» ولكنها أوطى بكثير.

هى بالأحرى إنسان بسيط.

«هاينتس» يشعر بأن حمل «بريجيته» كأنه إجبار
يمكن فى نهاية المطاف أن يصبح نافعاً.

سيتم زواج.

«بريجيته» تتمشى فوق السحاب وتعتقد أنها شيء
خاص فى حالتها وأنه من الضرورى العناية بها.

«بريجيته» على حق.

فترة العناية بـ «بريجيته» إذا بدأت.

عما قريب ينتهى العمل على خط الإنتاج فى

المصنع بالنسبة لـ «بريجيته».

يا له من سعد لا يوصف بكلام.

بدلاً من دانتيلا پرلون جامدة تنزلق الآن چاكتات

صوفية صغيرة ناعمة من بين أصابع «بريجيته»

المفعمة بالأمومة. «بريجيته» فيها اعتداد كبير

بإنجازها.

مرت بعملية تحول من كائن خنثى غير مكتمل إلى

كائن أنثوى.

وكذلك معلم «هاينتس» المسن فرحان بقرب قدوم

الطفل فرح بهلول مخرف. يقول خير أن يأتى الآن

مرة أخرى دمّ شاب لم يستهلك بعد، أما تسليم المحل

فهو لا يتكلم عنه. الحمار العجوز.

المعلم المسن لا يدع مجالاً للشك فى أنه هو هنا

دائماً السيد وأنه باق كذلك.

«هاينتس» لا يدع أمام «بريجيته» مجالاً للشك

فى من يكون السيد فى البيت الآن. و«بريجيته»

سعيدة كل السعادة؛ لأنها أصبح لها فى النهاية

سيد. عندما يظل الإنسان طوال كل هذا الوقت بلا

سيد، فإنه يحس بالارتياح عندما يجد سيداً طيباً

لطيفاً.

أم فرحانة بقرب قدوم الطفل الصغير. وهى عاكفة على شغل التريكو بلا انقطاع وبلا معنى كالمجنونة من أجله. وهى تستطيع ذلك دون أن تتعلمه. فهى تحديداً لم تتعلم شيئاً.

أبو «هاينتس» يزمجر كما يزمجر الأب العجوز دائماً فى السينما وفى التليفزيون، ولكنه مثل ما يحدث فى السينما والتليفزيون لا يعنى فى الحقيقة شيئاً مما يقوله.

«بريجيته» تراعى بطنها، وتلقى الرعاية هى وبطنها. وهذا شئ تطيب له نفسها.

«زوزى» تتمنى السعادة. "زوزى" تتمنى السعادة على نحو ودى.

«هاينتس» و«ريجيته» يشكران. «بريجيته» تقول سنتزوج قريباً. قبل أن يرى الناس شيئاً.

على الآن أن أراعى نفسى جداً وأن أستعد فى سكون لقدوم الطفل. «بريجيته» تتصت إلى ما فى داخلها حيث لا تسمع صدى.

«زوزى» تقول إنها لا تريد أبداً أن يكون لها أولاد، وهذا معناه أنها يقيناً تريد أولاداً ذات مرة، عندما تزداد نضجاً، وتكون قد خففت وطأة الجوع فى العالم، أما الآن فتريد أن تنتظر بالنسبة للأولاد، لأنها تريد أولاً أن ترى الدنيا وترى الجوع، وهى الآن أصغر سناً من أن تقوم بهذا. وعندما تكون قد رأت الدنيا، فربما تريد أن تذهب كمعاونة إنمائية لمدة عام إلى

جزء من أشد أجزاء هذه الدنيا كآبة. وقد تريد أن تتزوج ذات مرة عندما يأتي الرجل المناسب، وعندما يأتي الرجل المناسب، فإنها تريد أيضاً أن تتجب أطفالاً.

«زوزى» تنتظر الحب الكبير الذى ما زالت (ابتسامة صغيرة) تؤمن به.

أما ما لم تقله «زوزى» ولكنها تفكر فيه، فهو شاب من هيئة الجامعة، إذا ظهر فى الأفق الآن فوراً فسيجد قلب «زوزى» ويدها مفتوحين

فى الوقت الحالى لا تزال «زوزى» مؤقتاً غير مستعدة، منغلقة، بنتاً كما ينبغى أن تكون البنات، مزدهرة ومحاطة بجدار منيع. إنها تنتظر كزهرة خشخاش، زهرة ترونجان (١) أو زهرة عباد شمس مقفلة أن يأتى واحد

بباقة ورد مليئة بالورود.

و«زوزى» تقول أيضاً، أن تكون المرأة وحدها لا يكفى، لا بد من أن تستخدم السمات الأنثوية للمرأة فيما خلقت له: الرعاية والعناية والمساعدة بأوسع معانيها.

إنها تقدم مجاناً وبلا رسوم نصائح لحياة «بريجيته» الجديدة. «هاينتس» يعلق عليها بتلميحاته المبتهجة إلى وضعه الجديد المقبوض المقيد على نحو

(١) زهرة زرقاء برية جميلة تظهر فى زراعات الحبوب واسمها العلمى centaurea cyanus. (المترجم)

يغلب عليه التفكه والهزل المبتذل، وهذا هو طبعه. «زوزى» تغمض عينيها بشدة من الفزع، لأن «هاينتس» وضيع. «هاينتس» يحس بنفسه رجلاً أكثر من أى وقت مضى، وهو حقاً كذلك.

«بريجيته» تبعد «هاينتس» مبهجة عن «زوزى»، ذلك الخطر الخفى الذى أبطل أخيراً مفعوله. وتشير مبهجة إلى أن «هاينتس» الآن عما قريب (١) سيكون زوجاً وأب أسرة. لا بنات غريبات بعد الآن. كلاهما يذهبان مبهجين إلى عقد القران. «زوزى» تفكر مبهجة، إنه اعتقد فعلاً أنه يمكنه أن يتزوجنى، وما يمكن أن يتزوجنى إلا رجل أحسن بكثير جداً جداً.

«بريجيته» تفكر مبهجة، لقد نلت أنا أحسن رجل، ولم تنله «زوزى».

العائلة تطلق مبهجة تلميحاتها إلى البطن الكبير وكأن ثقلاً ثقيلاً فى ساقهم. كلهم مبهجون اليوم. وفى المساء عرض بيتر ألكسندر البهيج.

«بريجيته» تحس كأنها فى حمام ساخن.

(١) تراكيب شعبية متكررة فى أسلوب يلينك تتميز بإطناب ساذج من نوع : الآن + عما قريب. وبكثرة استخدام «ذات مرة» و«عما قريب» على طريقة العبارة المحشورة بسبب وبغير سبب إلخ (الترجم).

عقد القران

أخيراً جاء اليوم المأمول. جو أزرق مشرق يحيى
اليوم المأمول الذى طال انتظاره. أخيراً جاء اليوم
المأمول. جو أزرق مشرق يحيى اليوم المأمول الذى
طال انتظاره.

«بريجيته» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى
الأرض خاطته الخياطة لها خصيصاً.

«پاولا» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى الأرض
خاطته لها الخياطة، مدرستها السابقة، خصيصاً.

«بريجيته» تحمل على ذراعها باقة من الورد
الأبيض.

«پاولا» تحمل على ذراعها باقة من الورد الأبيض.

«هاينتس» يرتدى حلة سوداء جديدة وپاڤيون
سموكينج (١).

(١) باللهجة النمساوية Mascherl. (المترجم).

«إيريش» يرتدى حلة سوداء جديدة بكرافته جميلة.

«هاينتس» يقول باستمرار نكتاً سخيفة عن حريته الضائعة.

على «إيريش» تقال نكت كثيرة عن حريته الضائعة.

«هاينتس» يتكلم عن محله القادم، «بريجيته» تسانده في ذلك، وتضع يدها على يده بحركة تتم عن الامتلاك.

«إيريش» يفكر في موتوراته، "پاولا" تفكر في أنها نجت مرة أخرى.

«بريجيته» ممتة. «پاولا» ممتة.

«بريجيته» تفكر في أنها ستمرد أحياناً، وبصفة عامة «هاينتس» على حق، وهي ستعمل ما يقوله.

«پاولا» تفكر في أنها من الآن فصاعداً ستعمل ما يقوله لها «إيريش».

«بريجيته» وجدت في النهاية مكملاً فعلياً لحياتها: شريكاً في الهناء والعناء.

«پاولا» وجدت في النهاية مكملاً فعلياً لحياتها: شريكاً في الهناء والعناء.

إلى «هاينتس» و«بريجيته» جاء أقارب كثيرون.

إلى «إيريش» و«پاولا» جاء أقارب كثيرون.

حفل زواج «هاينتس» و«بريجيته» مؤثر جداً ومهيب.

حفل زواج «إيريش» و«پاولا» مؤثر جداً ومهيب.

«بريجيته» سعيدة جداً.

«پاولا» سعيدة جداً.

«بريجيته» بلغت المرام.

«پاولا» بلغت المرام.

«بريجيته» حامل واما قريب ستستطيع أن تطوق

طفلها بذراعيها.

«پاولا» عندها طفل. وهي تطوقه بذراعيها منذ

برهة. ولكن من الضروري أن يبقى الطفل اليوم في

البيت .

«هاينتس» هو الآن السيد في البيت، كما يقول

مبتهجاً.

«إيريش» هو الآن السيد في البيت، كما لا يستطيع

أن يعبر، ولكن كما يقول له الآخرون هامسين.

«هاينتس» يشرب عدة كئوس نبيذ فيشعر بالبهجة

ويقول إنه الآن السيد في البيت، وإن باستطاعة

والديه أن يموتا ميتة البهائم، ولكنه يعبر عن ذلك

بتعبير أرق. الوالدان هما أول التعمساء في هذه

الصحبة الفرحة.

«إيريش» يتجرع الكثير من الخمر ويسكر حتى

يفقد الوعي ولا يعود يستطيع أن يقول شيئاً. «پاولا»

لا تزال على الرغم من ذلك سعيدة في هذه الصحبة

الفرحة.

والدا «هاينتس» يدفعان نفقات حفل القران متبرمين ومعلقين تعليقات لاذعة، أم «بريجيته» تشارك ببعض المال، ولكن ما تدفعه ضئيل، والدا «هاينتس» يقولان كلاماً لاذعاً عن أصل «بريجيته».

والدا «پاولا» يدفعان سعيدين نفقات حفل القران لا يحق لأحد أن ينظر إليهما بعد الآن نظرة احتيار.

فيما بعد يأتي دور الرقص.

فيما بعد يأتي دور الرقص.

ينطبق هذا على الحاليتين.

هذا الذي يجرى الاحتفال به هو أن تذهب أخيراً

امرأة ورجل إلى البيت.

«بريجيته» و«هاينتس» سيقيمان في بيت والدي

«هاينتس» الصغير في الحديقة الشريبرية الصغيرة

إلى أن يتمكنوا من إثارة غيظهما وحنقهما وإخراجهما

ويتمكنوا من البناء وتوسيع البيت والمحل وكذلك

التجهيز والفرش.

«پاولا» و«إيريش» سيحصلان عند والدي «پاولا»

على حجرة صغيرة إلى أن يتمكنوا من الحصول على

مسكن صغير أو حتى من بناء بيت!

بالنسبة إلى «بريجيته» و«هاينتس» يعنى هذا الآن

أن يوفرا ويوفرا، فالزواج وتكوين بيت يكلفان مالاً!

بالنسبة إلى «إيريش» يعنى هذا الآن أن يوفرا

ويوفرا؛ لأن الزواج وتكوين بيت يكلفان مالاً!

على الزوجتين أن توفرا المال لزوجيهما.

«هاينتس» و«بريجيته» سينجحان في ذلك.

«إيريش» و«پاولا» لن ينجحا في ذلك.

الكهربائي يكسب الكثير.

الخشاب يكسب القليل.

«إيريش» يشرب الخمر.

«هاينتس» لا يشرب الخمر إلا نادراً وباعتدال.

«إيريش» يضيع كل شيء تقريباً على الخمر.

«هاينتس» لا يضيع على الخمر شيئاً؛ لأنه طموح

وعاقل.

أحوال «بريجيته» و«هاينتس» على ما يرام حتى

إنهما عما قريب سيكونان قد طردا الوالدين من

البيت.

أحوال «بريجيته» و«هاينتس» على ما يرام حتى

إنهما عما قريب سيرزقان بولد آخر: «هارالد».

أحوال «پاولا» و«إيريش» سيئة. سيرزقان بعد عام

بولد آخر: «كارل».

مؤقتاً نريد . ولما يثقل علينا الهم بعد . أن نرقص

في حفل زواج «بريجيته» و«هاينتس».

مؤقتاً نريد . ولما يثقل علينا الهم بعد . أن نرقص

في حفل زواج «پاولا» و«إيريش».

وأن نستمتع باليوم الجميل.

وأن نستمتع باليوم الجميل.

«پاولا» علقت قدرها بـ «إيريش»، وسيظل ذلك معلقاً في رقبتها ثقيلاً كحجر الطاحونة الضخم.

«بريجيته» علقت قدرها بـ «هاينتس»، وكانت على حق، وسيأتيها ذلك بمحل خاص وبسيارة جميلة. بطريق المصادفة أصاب «پاولا» حظٌ سيئٌ وستعاني سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفة أصاب «بريجيته» حظٌ حسنٌ وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك استثمرت «بريجيته» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «پاولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيته» واثاها الحظ والنجاح.

«پاولا» لم يواتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيته» يرتهن بالمصادفة التي واثتها.

حظ «پاولا» يرتهن بالمصادفة التي أولتها ظهرها.

«هاينتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حرفة غير ذات مستقبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هاينتس» يعرف ما يعوّل عليه في الحياة الاقتصادية.

«إيريش» لا يعرف شيئاً عما يعوّل عليه في الحياة الاقتصادية. «إيريش» يعرف ما يعوّل عليه في رياضة

سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيطرة سريعة.

«هاينتس» يعرف أنه يعرف حق المعرفة. «هاينتس» يعرف أن زوجته لا تعرف حق المعرفة. «هاينتس» له سلطة على زوجته الجاهلة.

«إيريش» لا يعرف حق المعرفة. «إيريش» له رغم ذلك سلطة بلا حدود على زوجته، وهو ما سيستغله.

أحلام «بريجيته» و«هاينتس» شكلها تماماً كشكل أحلام «پاولا».

«إيريش» ليست له أحلام سوى أحلام موتوراته. ولكن «إيريش» عنده الكحول.

أحلام «بريجيته» و«هاينتس» ستتحقق.

أحلام «پاولا» لن تتحقق.

كذلك «إيريش» لن يحصل على رخصة قيادة، وهو ما يصيبه بضربة قاسية، وربما يؤدي إلى إطالة عمره.

هكذا يكون على كل واحد من هؤلاء الأربعة السعداء كل السعادة اليوم أن يحمل نصيبه.

الملك يأتي في نهاية المطاف بالمسئولية.

عدم الملك لا يأتي بأى شيء.

لن يؤدي هذا إلى أن عبء «پاولا» سيصغر.

تزوج اليوم اثنان لا يملكان شيئاً واثنان يحلمان بأن يكونا من الملاك في المستقبل.

Twitter: @ketab_n

أعليّ يا ترى أعليّ يا ترى أن أخرج من البيت (١) ..

وجاءت السنوات وراحت وأصبح الأطفال
أناساً (٢).

ونما «هاينتس» النمو الذي كان يتمناه، فأصبح

(١) تتوع على أغنية شعبية muss i denn, muss i denn zum städtele hinaus/ und du mein Schatz bleibst hier../ wenn i Komme, wenn i Komme./ wenn i wieder komme, wenn i wieder Komm./ kehr i ein mein schatz bei dir إلخ معناها تقريبا: أعلّى أن أخرج من البلد، أعلّى أن أخرج من البلد، وأنت يا حبيبتي تبقيين هنا ... وعندما أعود، وعندما أعود، وعندما أعود مرة أخرى أدخل البيت عليك يا حبيبتي..- ونلاحظ ما أخذته يلينك بصفة عامة من الغناء الشعبى من تكرار بعض الكلمات ومن موضوعات منها خروج الرجل وترك الحبيبة وحدها فى البيت إلخ (المترجم)

(٢) تعمدت يلينك استخدام كلمة Leute وهى بهذا المعنى مألوفة ومحبوبة فى اللغة الدارجة، ولم تقل كباراً، وفيما بعد ستتكلم عن الرجل الذى هو السيد المتسلط، وعن المرأة التى تتعرض للتسلط إلخ... (المترجم)

رجل أعمال من الدرجة الأولى، رجلاً سداداً في
الموضع الذي تدعو إليه الحاجة، رجلاً سداداً بمعنى
الكلمة. كانت زوجته تباع في المحل أدوات كهربائية.
وكانت من أجل ذلك كانت قد وفرت بهمة واشتغلت
بجد واقترضت قروضاً كثيرة. ثم استمرا من أجل
ذلك يوفران بهمة ويشتغلان بجد ويقترضان قروضاً
كثيرة. كانا يعملان بجد ويوفران بهمة.

كان كل شيء قد جرى كما تمت «بريجيته»
وتصورت. كان عندهما طفل لطيف وكان الثانى في
الطريق. فما الذى كان ينقصهما لينعما بالرضا؟ لم
يكن ينقصهما شيء بعد ذلك لينعما بالرضا، لكن لا،
كان شيء ينقصهما لينعما بالرضا: كانا يريدان أن
يكون عندهما المزيد من المكان فى بيتهما اللطيف
الجديد الذى يلمع ويبرق.

وكان هناك شيء يتمنيانه على أشد ما يكون
التمنى: أن يزيد كل شيء زيادة مستمرة ويكبر كبراً
مستمراً. هكذا يزيد كل شيء باستمرار ويكبر دائماً.

وذات يوم حدث أيضاً. أخيراً جاء اليوم المأمول.
فى الحديقة كان ورق الشجر قد تلون بألوان مختلفة
وخريفية، وكانت زهور النجمة والداليا قد تفتحت،
وكانت الشمس تذهبُ التفاح والكمثرى التى ستضج
قريباً، وكانت الطيور قد هاجرت إلى الجنوب لتبقى
هناك حيناً من الزمن، وها هما والدا «هاينتس»
المسنان يقفان متأهبين للرحيل مع صناديقهم وعلبهم
وحقائبهم بباب بيتهم اللطيف الذى تم توسيعه، والذى

قضايا فيه سنوات طوال سعداء جنباً إلى جنب إلى جنب، والذي ريباً فيه «هاينتسى» الصغير ليصبح إنساناً بالغاً مجداً، بأن جعلاه إنساناً مستقلاً، وهو ما أصبحه، مقاولاً مستقلاً، وبذراً فيه المزيد وجنيا المزيد، وظلاً يبذران ويجنيان أكثر فأكثر، ورأيا هناك علاوة على ذلك فصول السنة تأتي وتروح، وتلقيا خطابات وكتبا بطاقات عيد الميلاد، وقضايا ساعات وساعات زرقاء (١) أمام التليفزيون والبيرة.

وقف المسنان أشعثين أغبرين من أثر العاصفة لينتقلا للسكنى فى شقة ضيقة جرسونيرة، صغيرة ولكنها غير إنسانية، لكى يفسحا مكاناً للشابين اللذين أصبح العالم الآن . وفيه بطبيعة الحال بيت العائلة الواحدة الكبير والموسع . ملكاً لهما . هيا إلى الشقة ذات الحجرة الواحدة التى ستليها دار المسنين . هل كان هذا وداع، وحركة إلى أمام ووراء، وتلويحاً بسرعة بسرعة، لابد أن ننتقل بالسيارة .

مرة أخرى يحملان الحفيد الصغير على الأذرع، مرة أخرى يضمنان الولد إلى القلب والصدر، مرة أخرى ينظران نظرات سامة مسممة إلى امرأة الابن وقيمانها ويجدانها أخف وزناً من كل تقييم، ومرة أخرى يحيطان بنظرات وداع الملكة الخاصة القديمة، الحديقة وركن نباتات جبال الألب ومجموعة شجر الصنوبر ومجر الورد . ماذا سيفعل الشبان اللذان لم يألفا شغل الحدائق بها، هل سيتركانها تبور أم

(١) الأزرق دلالة علي السكر (المترجم).

سيعتيان بها كما ينبغي وكما فعل الأب سائق
المسافات الطويلة الذي لم يتخلف عنها لحظة على
الرغم من آلام ظهره؟ ألم تفرورق عينا بابا بالدموع،
ويبتل جانبا فمه باللعباب الذي أخذ يمسحه سراً دون
أن يراه أحد؟ ألم يثقل الحزن قلب ماما؟

لا ينبغي أن يلحظ الشابان شيئاً من هذا، وليبنيا
حياتهما كما يريدان، ونحن المسنين لا ينبغي أن نقف
في طريقهما! «بريجيته» وحدها هي التي أفسدت
ابننا «هاينتسى» كلية. لولا «جيتي» (١) لكنا لا نزال
هنا، نزرع ونسوى ونبذر ونسيّف. بسبب «جيتي»
ينتزعوننا من جانب حفيدنا، بهجة عمرنا وفخاره.

ولكننا سنزودك كثيراً يا «هارالدي»! هل تفرح
عندما تأتي تيتا وجدو؟ ويقول «هارالد» مهلاً : نعم،
وأنت تأتيني دائماً بشيء معك؟ وتتأثر تيتا وهي تعده
بذلك، ولما تتكيف على الإطلاق مع الحياة في المدينة
النتنة، فلم يعد هناك شجر ولا نجيل ولا حساب
توفير، هناك فقط برودة جامدة وصحراء خرسانية
كثيبة وعزلة. على امتداد كيلومترات.

لا إنسان تقول له كلمتين.

لا إنسان في هذه الصومعة الخرسانية يتسم
بالإنسانية والصدّاقة. أسفى علينا أن يحل بنا كل هذا
في أيام شيخوختنا!

ولكن الشباب على حق.

(١) اختصار اسم «بريجيته» (المترجم).

ولكن «هارالد» ولد رائع. ينبغي أن يرث محل أبيه ذات يوم وأن يديره. وما بناه الأب يستطيع الابن عندئذ أن يزيده توسيعاً. الأساس موجود.

لا تبعثر الميراث الأبوي يا «هارالد» عندما تصل الأمور إلى هذا الحد، لا تبعثره، حذار يا «هارالد».

صحيح أن أمك مهمة وخايبة، أفسدت لنا ابنا العزيز «هاينتسى»، ولكن بابا سيأخذ على عاتقه أن تصبح ذات يوم رجلاً مجداً مجتهداً، لأنه هو نفسه رجل مجد مجتهد. وفي استطاعة جدّو أيضاً أن يعلمك ما لا بد أن يعلمه الرجل، كيف تتسلق الشجر، وكيف تصنع نبلة ترمى بها الطيور، وكيف تلعب بالقطارات، وألا تولول مثل البنات عندما تجرح ركبتيك. سيأتى جدّو كثيراً للزيارة وليعتنى بالحديقة، لأن الشباب ليس لديهم إلا القليل من الوقت لهذا الغرض، وستأتى تيته كثيراً معى، وعندما يأتى جدّو للزيارة سيريك كيف تصبح رجلاً عظيماً بحق، يا «هارالد».

لأن جدّو هو أيضاً رجل، هذا ما ينبغي أن تعرفه.

«هاينتس» الذى يفرغ صبره والذى عليه أن يذهب لعمل تركيبات كهربائية سيعينّ عما قريب عاملاً فنياً، وهو يعتقد أن على الرجل العجوز المقرز (١) أن يرحل من البيت، فإذا لم يفعل سيعطى هو دفعة من عنده،

(١) فى الأصل كلمة مبتذلة متداولة على المستوى المنحط اجتماعياً ولنوياً وأقربها حرفياً مؤخرة أو مقعدة أو عجز، ولها مقابل مبتذل بالعربية الدارجة المنحطة. (المترجم).

فقد أوشك حبل صبره أن ينقطع. وهو لا يعترض على أن يأتي الرجل العجوز المحكح كلما أراد، أما الآن فعليه دون ريث أن يرحل. ولكما أن تزورانا كلما حلا لكما، سيبتهج لهذا بصفة خاصة «هارالد»، وزوجتى، وكذلك أنا ابنكما «هاينتس». وبصوت غير مسموع: هيا جُراً أذبالكما أخيراً.

ألا إنه رحيل حزين بحق.

«بريجيته»، سيدة البيت، التى كانت فى تلك اللحظة مشغولة بتدبير المنزل، تأتى للوداع. لقد أصبحت امرأة نظيفة ممتلئة قليلاً. الزواج أفادها كما يرى الناظر إليها. الكراهية أكلت قلبها وكل ما بداخل كيائها. ولكن بهجة الامتلاك بقيت لديها. وهى تتشبث بها بقبضة من حديد.

«بريجيته» الزوجة والأم التى نظفت حتى الآن ملايين الأطنان من الفائط، تودع والدى زوجها وقد امتلأت كراهية. هى أخيراً وحدها. أخيراً انطلقت السيارة. أخيراً تصبح العائلة وحدها ونستطيع أن تحيا حياتها كما ينبغى لأى عائلة.

توأ يبدأ «هاينتس» و«بريجيته» الحياة العائلية التى هى فى كل يوم أى هى شغل شغل شغل.

ولكن الشغل فى نهاية المطاف يجعل الحياة حلوة ويجعل الحياة حياة. هذا ما تركه الوالدان العجوزان تراثاً وميراثاً، هذا، وكذلك المال المقتصد الذى يكمن فى البيت وفى المحل.

مرة ثانية تحيط «بريجيته» بعينها وبحواسها الأخرى مملكتها الصغيرة التي سيجرى توسيعها عما قريب . الكلمة الأخيرة لتقرير ذلك لم تُقل بعد والذي سيقولها هو «هاينتس» . وتدخل إلى البيت مطلقه زفرات ارتياح، دافعةً أمامها بركلاتها الولد «هارالد» .
بابا خرج .

«هارالد» لا يستطيع الكلام كما ينبغي بعد . أحياناً يجد من يضمه إلى صدره بقوة ويقبله، وهذا شيء يفضله أكثر . أما الشوكولاتة والحلوى والبسكويت فهي ما يفضله كل التفضيل .

بابا فى شغل التركيبات الكهربائية، ماما تبيع كوع صرف من الستينلس ستيل وهو أفضل من العادى .

كذلك تبيع ماما سيشوار للشعر، ودفايتين كهربائيتين تنفثان الهواء دافئاً ومرآة تواليت من النوع الجديد الذى يمكن إضاءته . ماما يمكنها أن تكون راضية عن يومها؛ لأنه كان يوماً طيباً .

ستزيد الأيام الآن زيادة مطردة .

وهكذا عاد الرضا الداخلى أخيراً إلى هذه المرأة .

أما «زوزى» الثرثرة التى لا يأخذونها مأخذ الجد، فيقولون إنها الآن على صداقة مع طالب جامعى . كذلك «زوزى» ستحمل على ظهرها مصير المرأة كما حملته «بريجيته» . «بريجيته» الأكثر شطارة عرفت قبل «زوزى» مصير المرأة .

كان مصير «بريجيته» رميةً أصابت الهدف تماماً،
ولا شكوى لها في هذه الناحية. وقد حققت كل هذا
وحدها بأنوثتها ومن الرجال أولى القوة من
يحتاج لتحقيق هذا الذي حققته إلى قوة أكبر بكثير
منها.

فلماذا لدينا نحن النساء فتنتنا في نهاية المطاف؟
ولهذا كان العنوان: أعلى يا ترى أعلى يا ترى...

وماذا أوتيت «پاولا» مملكة أيضاً

فى هذا الوقت أحاطت «پاولا» كذلك مملكتها الصغيرة ببصرها .

مملكة «پاولا» الصغيرة تتكون من حجرة صغيرة فى بيت والديها الصغير. هنا تهيمن «پاولا» .

هى تهيمن على ابنها الأكبر وابنها الأصغر. وعلى «پاولا» يهيمن زوجها .

كثيراً ما يستطيع الشجار والنقار بنفثتهما المسمومة أن يسمما حياةً عائليةً بكاملها .

كثيراً ما يسمم الشجار والنقار بنفثتهما المسمومة حياة «پاولا» و«إيريش» العائلية بكاملها . على الرغم من خطر التسميم يستمر «إيريش» و«پاولا» و«إيريش» فى الشجار والنقار .

ومع ذلك فـ «إيريش» فى نهاية المطاف زوجى، هذا ما تفكر فيه «پاولا» . وهى تجتهد أشد الاجتهاد فى أن يكون هناك جو طيب، لكى يستطيع الطفلان النمو فى

هدوء وتستطيع هي نفسها أن تتمو في هدوء لتصبح امرأة.

اليوم على سبيل المثال تتلقى «پاولا» دعوة إلى حفلة رقص في القرية المجاورة. هل لى أن أذهب إلى هذه الحفلة الراقصة، سؤال تسأله «پاولا» مضطربة النفس قبل الموعد بثلاثة أيام. «إيريش» يعدها قائلاً: نعم، عندما تكونين قد فرغت من الوفاء بمطالب الطفلين، لك أن تذهبي. ستتولى أمى أمر الطفلين.

اليوم يوم الحفلة، الذى تلف فيه «پاولا» خصائل شعرها. فلما عاد «إيريش» إلى البيت سألها، إلى أين تزمع الذهاب، فأجابت بأنها تريد الذهاب إلى الرقص في القرية المجاورة مع صديقتها وزوجها. هذه هي المرأة الأولى التى تستطيع فيها «پاولا» الخروج.

ولكن إيريش يقول الآن فجأة أنا لا أسمح بذلك.

«پاولا» تبكى وتولول. «پاولا» تبكى وتولول على نحو يلين له الحجر، كأنها طفلة. وعلى الرغم من ذلك لا يسمح لها بالذهاب للرقص. وتعند «پاولا» نتيجة لذلك مدة طويلة وتقطب أساريرها. ولكن «إيريش» ظل صلباً لا يلين؛ لأنه فى هذه النقطة لا يعرف الهزل.

ولكن «پاولا» لم تستطع أن تظل ممتعضة طويلاً عندما ضحك طفلها مبتهجين.

«پاولا» لديها الآن المنظومة المحكمة التي تمنيتها لنفسها. وهي جزء من هذه المنظومة، وما هي بالجزء المستعصى على الانتظام فيها. «پاولا» منتظمة. فهناك تروس مسننة تدور حولها، وهي تنتظم (١) طائفة فيها.

تمكن «إيريش» أخيراً من السيطرة على إنسان، حتى لو كان هذا الإنسان شخصاً شديد التفاهة مثل «پاولا». هنا الآن شخص يعمل ما يأمر به. «إيريش» له الحق في أن يمنع أو يسمح. وهذا شعور جديد يتذوقه كله حتى الثمالة. أحياناً كذلك بإعطاء أوامر لا معنى لها.

أما الشيء الذي تتمناه «پاولا» لنفسها فهو في النهاية بيت صغير خاص. الشيء الذي تتمناه «پاولا» لنفسها هو في النهاية بيت صغير تتصرف فيه وتدبر مثل الذي لدى «بريجيته».

أن يكون للشجار والنقار أن يدخلاه.

على العتبة ستسد «پاولا» في وجههما الطريق وتقول لهما: مكانكما في الخارج يا شجار ويا نقار وكذلك أنت يا كراهية. فهذا بيتي!

(١) لاحظ طريقة الكتابة في استخراج الدلالات المختلفة في الكلمة الأصل والاشتقاقات على شكل تنويعات من نظم ومنظومة وانتظام إلخ. ولاحظ كذلك طريقة أسنة الجردات من قبيل شجار ونقار وكراهية، وتوجيه الكلام إليها، وهي طريقة مألوفة عند البسطاء وفي الحديث مع الأطفال. (المترجم).

ولما لم يكن بيت «پاولا» ملكاً لها وكان علاوة على ذلك مكانياً محدوداً جداً، فلا تستطيع الراحة أن تلم به، بل عليها عند عتبة الباب أن تلمم أذيالها وتعود من حيث أتت (١) .

بينما قام الدليل منذ أمد بعيد على أن الشجار يمكن أن يهدم كل كيان اجتماعي. «إيريش» يسرف في شرب الكحول، وهو الشيء الذي ستوقفه «پاولا» عند حده، على الفور بعد أن تكون قد عبرت عتبة البيت الجديد الذي لن يستطيع الحصول عليه لأن «إيريش» يسرف في عب الكحول. سيبقى الكحول خارج البيت مع الشجار والنقار.

أما الشغل البدني الثقيل فسيدخل البيت على أية حال دون ما تردد وسيبقى فيه.

في هذا المكان الصغير ينام ويطيق الزوج والزوجة.

الطفلان ينامان عند تيته التي لم يعد زوجها منذ وقت طويل ينام عندها، بل في غرفة ضيقة تحت السقف الجمالون.

عندما تذهب «پاولا» والطفلان يتعلقان بها لشراء الحاجيات، فإنها تحسد عابراً البائعات على نظافتهن ونضارتهن، أولئك اللاتي كانت تحتقرهن فيما مضى. بصعوبة تحافظ «پاولا» على نظافتها ونضارتها وهما الشيء الذي بقي لها والذي كان دائماً يمثل فتنتها الكبرى. وهو الآن يكبدها جهداً أشد كثيراً من ذي

(١) اللعب بكلمتي einkehren و، في الترجمة kehrtmachen ألم ب ولمم أذياله . (الترجم)

قبل. وعليها علاوة على ذلك أيضاً أن تعنى بنظافة زوج كثيراً ما يتقياً على نفسه بل ويتبول أحياناً على نفسه.

وهذا شيء لا بد من أن تقدر عليه زوجة السكير، تلك هى الشروط الأساسية. ويسمع كل ذى أذن الناس فى القرية يتضحكون وهم يقولون إن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من أى امرأة ها.ها.

والواقع أن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من زوجته «پاولا»، وإن صح أنه ربما يحب طفليه أكثر من ربع قنينة نبيذه. وهو كثيراً ما يشتري لهما آيس كريم. وهما يستطيعان أن يصفقا تصفيقاً جميلاً تعبيراً عن الرجاء والتوسل (١).

لا يزال «إيريش» يحب موتوراته.

ذات يوم تحصل «پاولا» على رخصة القيادة. تتجح «پاولا» فى امتحان القيادة من أول مرة. «إيريش» يفرح لذلك، لأنه يأتيه بسيارة إلى البيت، وهذا صحيح، فبدلاً من المسكن المأمول أتاه بسيارة مستعملة ماركه سيمكا إلى البيت.

أتت السيارة بطفرة جديدة وذروة فى حياة «پاولا». إنها تستطيع الآن أن تلف فى المدينة راكبة سيارة، وهو ما لا يسمح لها به «إيريش» إلا إذا كان معها.

(١) كما يتعلم الأطفال الصغار عندنا «صفق سوسة تبقى عروسة»، يتعلم نظراؤهم فى ألمانيا أن يصفقوا تعبيراً عن «أرجوك». أرجوك»، والكبار يجدون متعة فى ملاحظة الأطفال فى أثناء ذلك (المترجم).

«پاولا» واحدة من نساء قليلات فى المنطقة لديهن رخصة قيادة. وهى لا تستطيع أن تقود السيارة إلا إذا كان «إيريش» راكباً معها يقلد بضمه ضجيج الموتور بصوت مرتفع.

ذات يوم ذهبت «پاولا» إلى إيطاليا لقضاء عطلة مع إيريش والسيارة الجديدة، وظل «إيريش» طوال جزء كبير من الطريق يقلد بضمه ضجيج موتورات سيارات النقل بصوت مرتفع.

بقيت الطفلتان مع والدى «إيريش».

كانت تلك ذروة جميلة. كانت هى الذروة فى حياة «پاولا» حتى الآن.

بعد الذروة عاد الزوجان إلى البيت. لم يكونا هنا غريبين كما كانا فى إيطاليا، بل هما غريبان فى البيت. وشرعت «پاولا» على الفور تتمنى سكناً جديداً، ولكن بلا جدوى.

وسرعان ما غرقت «پاولا» من جديد فى معمعة الحياة اليومية.

وسرعان ما غرق «إيريش» من جديد فى الغابة والنبذ والبيرة.

أما الطفلتان فهما لطيفتان ظريفتان ممتازتان فى الطاعة الفورية.

تسهر على هذا الحماة والأم وماما وبابا. الطفلتان تطيعان حرفياً عند سماع الكلمة، بل قبلها أحياناً.

تلك فرحة حقة لـ «پاولا» أن تكون طفلاتها حسنتي الخلق والصحة إلى هذا الحد. وأهل القرية يقولون كيف يتمنى الإنسان مزيداً من الأمنيات الأنانية عندما يكون عنده أولاد على هذه الدرجة من النباهة والالطف.

عندما تكسر البنت ذراعها ذات يوم تستطيع «پاولا» أن تذهب بها بالسيارة الخاصة إلى المستشفى في المدينة. «إيريش» يتفهم أن تركب «پاولا» السيارة في هذه المرة دون الحصول على تصريح منه. ولكن هذه المرة لا تمثل بحال من الأحوال بداية عملية تعلم بالنسبة لـ «إيريش».

شيئاً فشيئاً أباد العمل في الغابة جزءاً كبيراً من جمال «إيريش» القديم ومحاها، كما أباد جلد يديه كله تقريباً. لا تكاد المصطافات يدرن برءوسهن للنظر إليه. ولا يكاد الإنسان الآن يستطيع أن يميز «إيريش» عن غيره من الخشابين. كذلك ازداد تلبداً على نحو لافت للنظر.

كذلك «پاولا» تحولت إلى إنسان أكثر تلبداً مما كانت في الماضي، على الرغم من أن شغل البيت يرضيها بل يمتعها.

والشئ الذي لا تجده «پاولا» هو قليل من البهجة وأقل من القليل من الحنان. وعلى الرغم من ذلك فلا تزال «پاولا» قريرة العين؛ لأنها لها مكان محدد الأبعاد في الحياة ولديها أولاد. وهي ترجو أن يستمر هذا الحال على ما هو عليه.

لم تعد «پاولا» تفكر فى الخياطة. وقد شغلت مكانها فى المصنع بنتٌ متدرجة غيرها قادمة من المنطقة المجاورة الواسعة، بل خلفت هذه أخرى.

عيون القرية على «پاولا» مثلما هى على كل الآخرين الذين انتظمت حياتهم وتحددت بحدود. وعيون القرية تسهر على ألا يحدث تجاوز لأى من هذه الحدود.

ونظراً لأن «پاولا» تتصرف طبقاً لمقررات أصحاب العيون القروية، فإنها مسجلة عندهم على اعتبار أنها شر تدعو إليه الضرورة، ولكنها لا تتعرض لإزعاج ولا يذكرها أحد بكلمة، ولا يضعها فى موضع خارج نطاق بقية السكان الاناث.

أحاط الناس دون نية طيبة بما بذلته «پاولا» من جهود من أجل «إيريش»، وهم يراقبون بشئ من التدر الخفيف جهودها فى مكافحة الكحول وفى التصدى للتدهور البدنى، كما ينظر قراء صحيفة يوم الأحد إلى النكت إذا استطاعوا أن يفهموها. ولم يعد أحد يلاحظ نظافتها المتميزة وعنايتها بنفسها، لأنهم الفوها، وهم يقبلون أن يكون لها أولاد مثل غيرها.

كل شئ سليم.

«پاولا» فى حقيقة الأمر سعيدة، ولكنها مازالت ترجو أن يكون لها ملكها الخاص الذى يمكنها من أن تحقق فيه مهنتها ألا وهى: ربة بيت وأم. ليس هناك مال لبلوغ هذا الهدف.

ليس لـ «پاولا» أن تتجاوز حدود رأسها الصغير العنيد، تلك عبارة لوم قد ترد في رواية من الروايات المسلسلة التي يقرأها محدودو التفكير.

لو كانت «پاولا»، في تصور الرواية المسلسلة، قد لظمت العقل لما انخرطت في ذلك الطريق الذي انخرطت فيه، طريق سقوطها.

المكان الذي ستنتهي إليه هو طريق السقوط.

المكان الذي بقى فيه «إيريش» دائماً وما زال فيه اليوم كذلك هو الطريق المستقيم. الغابة والحانة.

القرية والرواية المسلسلة تقولان إن على الزوجة أن تصون فرن (١) البيت، وأن تحفظه وألا ترمى فيه قذارة.

«پاولا» لم تحفظ الفرن ولم تصنه فترة قصيرة، «پاولا» رمت على الفرن في البيت قذارة. كلف هذا «پاولا» رأسها.

(١) الفرن (ووقوده من خشب وفحم المنطقة) هو رمز البيت، فيه يُخبز وفوقه يُطهى ومنه يشع الدفء، والأسرة في البيوت القديمة قبل أن تظهر التدفئة المركزية والسخانات والمواقد والأفران الحديثة كانت تجتمع عند الفرن. وللفرن في الموروث الشعبي المصري وفي موروثات أمم كثيرة دور شبيه. ومشكلة الفرن التي تتحدث عنها يلينك بين السطور هي أن المجتمع القروي النمساوي والألماني القديم لا يعرف للمرأة مكاناً إلا عند الفرن. (المترجم).

Twitter: @ketab_n

وخطبة أخرى

شهادة المعلم معلقة في برواز على حائط محل
«بريجيته» و«هاينتس» للأدوات الكهربائية.

وكذلك في بيت والدَي «زوزى» يجرى اليوم احتفال
بخطبتها. هو مدرس شاب في مدرسة متوسطة.
والحضور حلقة من المناقشين المتحمسين حول
الشابين، كانت أحياناً تأخذ نفسها بالجد كل الجد.
لا مرح فارغ العقل.

«بريجيته» الفارغة العقل ترزح بحسب رأى
«زوزى» تحت عبء مثلث: المرأة والأم وسيدة الأعمال.

«زوزى» الأريية لا ترزح إلا تحت عبء ثنائي: المرأة
والأم (عما قريب). تركت دراسة الجرمانيات التي
كانت بدأتها فهي تنتظر عما قريب طفلاً.

المرأتان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن
الجديدة.

المرأتان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن الجديدة.

«هاينتس» يزدهر تحت تأثير مطبخ «بريجيته». إنه الآن سمين مثل الخنزير، والسمنة أيضاً في أساسها عنده استعداد وراثي. «هاينتس» يميل إلى البدانة، وكثيراً ما تكون فنون طهى «بريجيته» موضوع تندر.

لم تكن فنون «هاينتس» باعتباره رجل أعمال قط موضوع تندر من أى نوع. إنها فنون جادة ومرتبطة بالوجود.

كذلك «جيتي» لديها الآن شحم امرأة لطيفة ممثلة، وكرش صغير لطيف. ويهدف شحم «بريجيته» إلى التعبير عن أنها: امرأة ربة بيت وأعمال وأم سعيدة.

ولديها شيء من التوازن ينتشر كذلك على ما حولها. أما «زوزي» فتريد بالاستعانة بالرياضة البدنية أن تظل رشيقة لتكون وتبقى بالنسبة إلى زوجها الحبيبة الوسيمة. وكذلك تريد أن تحافظ على لياقتها العقلية. وهى تتوى أن تستمر فى قراءة كتب كثيرة جيدة وأن تصل بمعلوماتها اللغوية إلى الكمال. وكذلك هذان الزوجان الشابان يريدان أن يبنيا بيتاً (١).

(١) من الجمل المسكوكة التراثية التي تجري بين الألمان مجرى المثل، وبخاصة في منطقة الجنوب المتاخمة للنمسا: تشتغل وتشتغل وتبني البيت _ وكثيراً ما يؤدي هذا إلى أعباء ثقال وتضحيات ومصائب. (المترجم)

وكذلك (١) تريد «زوزى» أن تكون شريكة مفكرة. فمن المفيد أيضاً للأولاد أن تكون الأم من الناحية الفكرية على أعلى مستوى.

والدا «هاينتس» منظرهما سيئ. تنقصهما الحديقة والهواء الطلق فيها. كذلك ينقصهما الحفيدان. بهذه المشكلات يلقيان عدم الفهم وعدم التسامح من أولادهما (ولد واحد) وزوجاتهم (زوجة واحدة).

وكم يودان لو استطاعا أن يأتيا كثيراً للزيارة، وهو ما ليس فرضاً عليهما وليس مسموحاً لهما. فحساب الأب سائق المسافات البعيدة في صندوق التوفير خاو، ومن الخير أنه كذلك. فقد كان ما في حساب التوفير من أجل الأولاد الذين من أجلهم يعيش الإنسان في نهاية المطاف (٢). أما أن يقوم الإنسان برحلة جميلة فلم يعد أمرها ممكناً.

و«جيتى» تعيش من أجل الأولاد ومن أجل المحل. والمحل يعيش من أجل «هاينتس». ولا أظن أن له صديقة؟

(١) لاحظ تكرار كلمة كذلك وكلمة أيضاً للتعبير عن المقارنة والزيادة والنسبية. (المترجم)

(٢) لاحظ تكرار عبارة «في نهاية المطاف» في اللغة الألمانية بصفة عامة، وفي لغة يلينك بصفة خاصة. وهي عبارة قد تعبر عن معنى وقد لا تعبر، فإذا عبرت عن معنى محدد فيكون المعنى هو الهدف أو الهدف البعيد، وإلا فهي تعبر عن معنى مثل: هكذا الدنيا. (المترجم)

لا، لا. الأكل الجيد عند ماما، وهكذا تدعى «بريجيته» الآن، يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة في مكان بعيد غير معروف وغير آمن.

هكذا، الأكل الجيد عند ماما يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة، سؤال توجهه ابنة عم «هاينتس» إلى ابن عمها «هاينتس» على سبيل المزاح وهي ترمق «بريجيته» بنظرة جانبية.

ويجيب «هاينتس» على سبيل المزاح أن المغامرة قد تجتذبه ولكن كل واحد هنا يعرف أن تلك كذبة. وهكذا رضى الجميع.

وكذلك «زوزى» تطبخ عن حب وياتقان منذ الصغر، ولكنها لا تطبخ إلا أصناف المطبخ العالى الرفيع، وهي تتضمن الرچيم والأطباق الخاصة الأجنبية، والتي لا تسبب البدانة فالبدانة ليست عصرية.

«زوزى» امرأة أكثر عصرية، بينما «بريجيته» دقة قديمة بعض الشيء، ولكنها ودودة.

و«هاينتس» يحب «بريجيته» بالذات لهذا السبب. ولا يود أن تكون غير ذلك.

وما كان ليستطيع أن يتعامل مع امرأة عصرية. وهكذا أصبحوا جميعاً أناساً راضين سعداء، يحتلون مكانهم فى الحياة، ويحتلون المزيد من المكان. فـ «هاينتس» يمكن، إذا استمر فى التهام الأكل بنهم كالحيوانات، أن يحتل مكانين فى الحياة. ولكن هذه دعابة حسنة النية.

فالمكانان . أو ما هو أكثر من مكانين . اللذان يحتلها «هاينتس» في رأسه، يمكنه أن يحتلها في الحياة أيضاً عما قريب بشخصه .

الأكل اليوم لحم خنزير محمر وكنودل (١) .

«زوزى» تقول على سبيل الفكاهة إنها راضية بالمكان الذى تحتله الآن فى الحياة، وإنها لا تروم تبديله بأى مكان آخر تحتله مثلاً مكان من أتمت دراسة جامعية عظيمة كاملة وفشلت فى الحياة نتيجة لذلك .

«زوزى» عصرية ودقة قديمة فى آن واحد، هى مزيج يحبه على نحو خاص خطيبها الذى اختطباها منذ قليل .

بصفة عامة: أفضل شئ هو الوسط الرشيد، هذا هو رأى الذى جاهرت به «زوزى» على نحو أشد جدية من أن يناسب رأسها الصغير الجميل .

وزوج المستقبل يوافقها على رأيا وهو يضحك .

(١) لحم الخنزير المحمر أو المشوى كثيراً ما يكون غنياً بالشحم . أما الكنودل Knodel فهى كرة فى حجم كرة التنس تقريباً تصنع من البطاطس والمواد النشوية مثل الخبز المعجن والدقيق والنشا مع إضافات مكسبات للطعم من بهارات وخضرة ربما قطع من الكبد أو السجق أو اللحم، ويطهونها بسلقها فى ماء أو حساء، من أطعمة جنوب ألمانيا والنمسا الشهيرة الغنية بالسعرات المسببة للبدانة . (المترجم)

Twitter: @ketab_n

كيف استسلمت «پاولا» للانحراف

لا نعرف ماذا دار في رأس "پاولا" آنذاك عندما سلكت طريق الانحراف.

هل كانت الرغبة في المال، أم الرغبة في رفاهية متواضعة، هي التي أوصلتها إلى حيث انحدرت إلى السقوط؟ أم هل كانت رغبة جنسية غير منضبطة كان المفروض أن يحققها لها زوجها؟ وهو «إيريش» أولاً وقبل كل شيء آخر؟

هل كانت هي إذاً الناحية الجنسية في «پاولا» أم رغبتها في الأمان أم رغبتها في أمان يشتري بالمال، أم رغبتها في مسكن خاص؟

القرية تود أن تعرف، ولكنها تركز إلى تخمينات. والحقيقة الواقعة هي أن «پاولا» ارتكبت فعلة قذرة هائلة. هذه الفعلة القذرة وضعت نهاية للأمان كل الأمان وهو ما أثبت أن الأمان لا يمكن أن يكون شيئاً يشتري بالمال. وإنما يستطيع الإنسان بالصبر والمثابرة

أن يكسب الأمان. وعلى الرغم من أن «پاولا» كانت منذ سنين فى حبها صبورة ومثابرة فإنها لم تكسب أماناً.

كل الأساليب الغربية للحصول على زوج والإبقاء عليه تحظى هنا بالاستحسان.

أسلوب «پاولا» فى الإبقاء على زوجها وفى أن تهيب له بيتاً مريحاً، سوف يستحقه هو وأولادها، ولا يستطيع «إيريش» أن يكسبه، لقى هنا الرفض والإدانة. كان أسلوب «پاولا» هو أسلوب الخنازير، ونالت «پاولا» عليه الجزاء الذى تستحقه.

لم أفعل ما فعلته إلا من أجل الأولاد و«إيريش»، هذا ما يمكن أن تكون «پاولا» قد قالته، فلم ينصت إليها أحد.

الوقائع تتكلم لفتها الخاصة وتتكلم عن نفسها.

عندما تتعرض كرامة رجل لإهانة فمن الصعب محوها. وليس للمرأة أن تبدأ بالتعرض للكرامة.

كذلك «پاولا» لم تُدخل الكرامة أصلاً فى بيتها. ذات يوم توجهت «پاولا» سراً إلى المدينة، ولا أحد يعلم السبب، كان مقصدها هو الذهاب إلى السينما ومحل الحلوانى، وهما لا يوجدان فى القرية. و«پاولا» تعتقد أن ما فعلته هذا جزء من الحياة، وهذا خطأ. ولا نستطيع لضيق الوقت أن نجعل «پاولا» نفسها تتكلم.

عندما كانت «پاولا» تركن السيارة عند محطة
السكك الحديدية انحنى شخص غريب إليها وسألها
من خلال نافذة السيارة: ألا نريد أن نذهب قليلاً
لقبيلات؟

فى البداية قالت «پاولا» لا فأنا متزوجة ولى
طفلتان ظريفتان.

ولكنها وافقت بعد ذلك على أن تذهب مع الرجل
مسافة إلى مكان لا تراقبه العيون.

ونحن لا نعرف ماذا جاش عندئذ فى رأس «پاولا»
الذى نفت عنه الخياطة منذ سنوات، ودخله «إيريش»
والأولاد منذ حين.

فى رأس «پاولا» جاش شىء خاطئ.

فى جسم ... «پاولا» لم يتحرك ساكن منذ وقت
طويل. وإذا لم يكن الإنسان يحس بشىء فليس معنى
ذلك أنه لم يحدث.

لقد فعلت «پاولا» ما فعلته من أجل أسرتها.

ربما تستطيع «پاولا» بهذه الطريقة أن تمنح
أسرتها سكناً ثابت الأركان. عجيب أن «پاولا»
استطاعت أن تصمد هذا الوقت الطويل بدون هذا
السكن الثابت الأركان. بينما كانت وهى فى الخامسة
عشرة من عمرها لا تحلم بشىء آخر غير هذا
السكن، بالستائر البيضاء وأدوات منزلية تلمع وتبرق.
الأمان تلزمه أربعة حيطان خاصة وفوقها سقف.

ربما كانت هذه فرصة «پاولا» لبناء عش. «پاولا»
تريد أن تقلد السونونوات (١) بأن تبني عشاً. وهذا ما
تتغنى به أغنية أوبريت مشهورة محبوبة.

ليس لـ «پاولا» أن تقتنى شيئاً لا يخصها.

اقتناء البيت واجب على «إيريش».

والوسائل الأنثوية لا تصلح لاقتناء شىء.

تقول «پاولا» لهذا الرجل ولمن تلاه ولمن تلا الذى

تلاه، أنا أحب زوجى. هل تهدينى شيئاً من المال؟

وتتلقى «پاولا» شيئاً من المال هديةً.

وربما فكر «إيريش»، أتمنى أن أكسب لقمة عيشى

ذات مرة أيضاً بمثل هذه السهولة.

لم تفكر «پاولا» فى أن المال الذى يكون فجأة

معها سيثبد الاهتمام بالضرورة. إنها تريد أن توفر

فقط قليلاً قليلاً كالسنجاب. جزءً من هذا المال

تتفقه فى المقهى. «پاولا» تريد أن تدفع ذات يوم مقدم

مسكن.

(١) السونونو ويجمع على السونونوات طائر مفرد ماهر فى الطيران

، لون ريشه بنى أو أسود يخالطه بياض، جناحاه طويلان

ضيقان مدبيان، وذيله منفرج : بالألمانية Schwalbe

(Hirundinidae)، يهاجر من المناطق الباردة إلى المناطق

الدافئة وبخاصة إفريقيا، ثم يعود إلى ألمانيا فتكون عودته إيذاناً

بالربيع، وهو مشهور ببناء أعشاشه بلعابه الخاص الذى يبصقه

فيتجمد على حجارة أو طين واجهات المباني أو فى داخلها أو

فى الحظائر أو فى شقوق يحضرها فيها. وهو بهذا المعنى

معرّوف للألمان والأوروبيين. ونحن نراه فى مصر خاصة فى

الشتاء. (المترجم)

«پاولا» تحصل بجسدها دون عقلها على المال
لشراء شقة صغيرة.

ما تفعله «پاولا» دعارة. «پاولا» مومس. إنها تتلقى
المال من رجال أغراب، وفي السيارة على المقعد
الخلفى أو على النجيلة يفعل رجل أجنبى.... معها ما
لا ينبغى أن يفعله إلا «إيريش». فعلة خاطئة فى مكان
خاطئ. عمل عابث دون تدبر.

على من يمارس هذا النشاط أن يعمل على نطاق
أوسع.

كان المفروض أن تعرف «پاولا» أنها لا تستطيع أن
تصل إلى شىء عن طريق شىء من قبيل جسدها.
ولكن «پاولا» لم تتعلم شيئاً منذ الأيام القصيرة التى
كانت فيها بنتاً.

جسد «پاولا» لا يعترض بل يقوم بواجبه. ولكن
البيئة المحيطة تمتع عن الرضا بما تفعله «پاولا»
بجسدها.

البيئة المحيطة تصبح شاهداً على هذه الفعلة فى
خميلة.

ذهب سائق عربة نقل خاصة بالغابة ليتبول فى
هذا الموضع الذى لا يذهب إليه أحد إلا أن يكون أرنباً
برياً صغيراً أو وعلاً صغيراً، فرأى جزءاً عارياً من
جسد «پاولا» ورجلاً لا تربطها به علاقة زواج. يقول
إنهما كانا متشابكين على نحو قمىء.

وظل يعيد ما قاله مراراً وتكراراً.

ثم إنه كان يعرف اسم «پاولا» وعنوانها.

رأى أن ما مارسه «پاولا» هنا فى قلب الطبيعة البريئة خيانة فى حق صديقه «إيريش» خيانة. «پاولا» خانت زوجها مع رجل أو مع رجال متعددين.

ثم إن الرجل كان غريباً عن المكان. لم يكن شاباً من شباب الناحية هنا. رجل غريب وسخ العش.

أف للشيطان. وهى أم، أنجبت طفلتين وهى تتعاطى الآن الحبوب.

خيانة فى حق صديقه «إيريش»!

«پاولا» تستحق قطم رقبتها أو على الأقل أن تعقم، حتى لا تستطيع أن تنجب بعد ذلك أولاداً يمكن أن تتقل إليهم ما تجمعهم من ميراث. «پاولا» أسوأ من كلبة لا تستطيع بفريزتها أن تقاوم الكلاب.

«پاولا» انقطمت رقبتها ولكنها لم تعقم. بخت فى وسط النحس.

ثم إن «پاولا» طلقها «إيريش» على أساس ارتكابها الفحشاء.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «پاولا» على الإطلاق، فقد تحطم زواجها فى الحال بعد خطئها المتكرر.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «پاولا» على الإطلاق، فقد تحطمت سعادتها فى نفس الوقت الذى تحطم فيها زواجها.

وعلى الرغم من أن «پاولا» صارت صراعاً شديداً، فقد تحطمت هي نفسها أيضاً مع كل ما تحطم.

وعلى الرغم من أن «پاولا» حاولت محاولات واهنة لصد العواقب، فقد تحطمت بنيتها الاجتماعية كلها فوق كل الحطام الآخر.

ليتها فكرت في ذلك من قبل، فقد فات الأوان.

لو كانت «پاولا» قد تخيلت ما سيتحطم نتيجة ما فعلت عن تدبير من مساس خاطئ بزواجها، لما كانت قد بدأت بالتحطيم.

حدث ما حدث بقوة انهيار ثلجي مبتل.

الإنسان يعيش هنا مع الطبيعة تكلمه ويكلمها بدون كلفة ولا يستطيع أن يتصدى لها لأنها أقوى.

وكذلك «إيريش» يعاني جداً منها، وأمه تقول إنه لا يتجازها أبداً.

ولكن لا ينبغي أن يعاني الأولاد معاناة بالغة الشدة من الفعلة القذرة الخنزيرية (١) التي ارتكبتها أمهم، هذه أمنية الحماية.

(١) الكلمة الألمانية بالغة العنف وهي Sauerei مشتقة من Sau أي أنثى الخنزير التي ينسب إليها منتهى القذارة روثاً وأفعالاً ومنها العلاقة بين الذكور والإناث. والترجمة بالفعلة القذرة لا تكفي ولهذا أضفت إليها صفة الخنزيرية، واللغة الألمانية فيه كلمة Schweinerei وهي منسوبة إلى ذكر الخنزير Schwein وهي تعبر أيضاً عن الفعلة المفرطة القذارة، وإن قلت عن قذارة أنثى الخنزير. (المترجم).

الطفلتان تعانيان معاناة فظيعة من الفعلة القذرة
الخنزيرية التي ارتكبتها الأم؛ لأنهما فجأة لا يكادان
يلمحان ماما الحبوبة، أو لن يلمحانها أبداً.

وهما تسألان عن السبب ولا تفهمانه. من الخير
أن هاتين الصغيرتين اللتين تشبهان دودتين صغيرتين
خرجتا لتوهما من البيضة لا تفهمان بعد. عندما
تبلغان من العمر ما يكفى ستفهمان. والأرجح أنهما لن
تتفهما ما فعلته.

وسيكون من شأنهما أن تدينا الأم، كما يقول زميل
ذكى من زملاء «إيريش» فى الشغل، يستطيع أيضاً أن
يعبر عن نفسه شفاهةً.

الطفلتان تقيمان الآن عند والدى «پاولا» فى
الحجرة التى أقام فيها والداهما عندما كانا زوجين.

«إيريش» يبيع لزوجته السابقة السيارة. عملية بيع
حزين. فقد قضيا بها شهر غسلهما الثانى فى
إيطاليا، وربما كان من الممكن. لو لم يتغير الحال.
ذات يوم أن يبدلاها بسيارة رياضية سريعة. لم يبق له
الآن إلا الدراجة البخارية الموييد.

والدراجة البخارية الموييد تقله أحياناً إلى صديقه
الجديدة الغنية، ابنة فلاح من الناحية. ولكن عب ربح
قنينة نبيذ أحب إلى نفسه من أى امرأة، وستنتهى
هذه العلاقة المبتدئة يقيناً عما قريب بالفشل هى
الأخرى.

ربما تكون النساء الآن أيضاً مختلفات عند ذى
قبل.

«باولا» بدأت بالتحطيم، وهي الآن قد تحطمت
نهائياً.

أصبحت صبية الخياطة المتدرجة المفعمة بالآمال
امرأة محطمة معلوماتها في الخياطة غير كافية.
هذا أقل من القليل.

Twitter: @ketab_n

تذييل

هل تعرفون هذه المنطقة الجميلة بوديانها
وتلالها؟ (١)

على البعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق لم تؤته
مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعى وحقول وغيطان هذه المنطقة؟
هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس المسالمين فيها؟

فى قلب هذه المنطقة الجميلة بنى أناس طيبون
مصنعاً. المصنع المنضوى على نفسه المقام من
الألومنيوم المضلع يشكل تبايناً جميلاً يتضاد مع
الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينضوى فى
المشهد الطبيعى.

(١) تنويعة على قصيدة جوته الشهيرة : «هل تعرف البلد الذي
يزدهر فيه الليمون ..» ويبدو أن موضوعها ما يجري على
الإنسان عندما يهفو إلى المكان الآخر، فقد يجمع خبرات طيبة
وقد يجمع خبرات مؤسفة. (المترجم).

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينضوى
على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم سامقاً.

يا لوفرة الخير في أنه يقوم هنا، في هذا المكان
الجميل، لا في مكان آخر لا جمال فيه.

والمصنع يبدو على منظره كأنه جزء من هذا
المشهد الطبيعي الجميل.

يبدو على منظره كأنه نما هنا .. لكن لا عندما
يتأمله الإنسان عن كثب يرى أن: أناساً طبيين شيدوه.

فلا شيء يخرج في نهاية الأمر من لا شيء.

وهناك أناس طبيون يدخلون المصنع ويخرجون
منه.

أليس هذا الإنسان الذي يدخل هنا ويخرج هو
صاحبنا «پاولا»؟

قضى، نهارك سعيد يا «پاولا» ! حقاً، إنها هي. إنها
في ظاهرها لم تتغير، لا تزال كما كانت دائماً رشيقة،
نظيفة. إلا هذه النعمة الخفية من الوهن في وجهها،
تلك التي لا يراها الإنسان إلا عندما يدقق البصر.
وهذه التجميدة: هل كانت بالأمس هنا؟

لا، هذه تجميدة جديدة. ولا يمكن أن تكون هذه
شعرة بيضاء؟ لا عليك يا «پاولا» ارفعي رأسك عالياً!

«پاولا» تعمل هنا خياطة غير متعلمة على خط
الإنتاج.

«باولا» تعمل هنا خياطة غير متعلمة على خط الإنتاج (١) .

«باولا» انتهت هناك حيث خرجت «بريجيته» لتتعرف على الحياة. «بريجيته» عرفت الحياة ووجدت فيها سعادتها.

كذلك «باولا» أرادت أيضاً أن تتعرف على الحياة، وهى الآن تتعلم الشغل باعتبارها عاملة مبتدئة فى مصنع للملابس الداخلية.

ذلك أيضاً نوع من الحياة.

فى المساء ينهمر البشر على المنطقة الطبيعية كأنما كانت ملك يمينهم.

«باولا» لديها الآن شقة صغيرة يمتلكها المصنع كذلك ولهذا فهى رخيصة.

«باولا» تتجزأ أقل مما ينجز إنسان مبتهج؛ لأنها غير مبتهجة. وعلى الرغم من ذلك فعملها كافٍ، فالمصنع صبور. كذلك «باولا» لم يعد فى داخلها أثر من فراغ الصبر.

«باولا» أتت إلى هذا المكان؛ لكى تعمل فى الخياطة لا لكى تكون مبتهجة. كان من الممكن فيما مضى أن تكون مبتهجة (٢) .

(١) تكرار مقصود فى الأصل (المترجم).

(٢) موضوع البهجة والابتهاج موضوع محورى فى الشعر الفنائى، نذكر من أمثله ترنيمة البهجة للشاعر الألمانى العظيم شيللر.
(المترجم)

هى الآن تخيط دون مبهجة مشدات وسوتيانات وكورسيهات وسلييات. «پاولا» تزوجت وانهارت.

لن تسرح نظرتها أبداً إلى الخارج نحو طائر أو نحلة أو عود نجيلة. كان عندها ما يكفيها من الطيور والنحل وعيدان النجيلة. ولكنها لم تستطع فيما مضى أن تقدرها حق قدرها.

كل إنسان يستطيع أن يتمتع بالطبيعة خيراً من «پاولا» الآن.

«پاولا» تجلس إلى ماكينة الخياطة وتؤدى واجبها. لديها الكثير من المسئولية، ولكنها لم يعد لديها نظرة شاملة ولا بيت تدبره.

فى المساء تلم بشقتها الصغيرة بيتاً لها وتفكر فى البيت. «پاولا» أشد وهناً من أن تشعر بعدم الرضا.

«پاولا» لم يعد لها أولاد ولم يعد لها زوج، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابها من الوهن ما يحول بينها وبين الشعور بعدم الرضا.

كان لـ «پاولا» ذات مرة زوج وطفلان.

كذلك الشغل لا يجعل «پاولا» راضية.

الشغل جعل «پاولا» بليدة.

الخياطة فى دم «پاولا». ولكنها نذفت هذا الدم، ولهذا السبب لا ينجح شغلها مثلما ينجح شغل الأخريات. وهو ما يؤدى إلى خصومات من الأجر.

«پاولا» تخيط بقلبها كله؛ لأنها لم تعد لديها أسرة يمكن أن تحتل جانباً من قلبها.

«بريجيته» لديها الآن أسرة ومحل احتلا قلبها كله.

ليست خيرة النساء من يخطن بقلوبهن كلها.

و«پاولا» ليست خير النساء.

«پاولا» عاشت قدرها من قبل في مكان آخر.

وقدرها ينتهي هنا.

«بريجيته» بدأت هنا قدرها. «بريجيته» أفلتت.

«پاولا» أصابتها المصيبة. ولو مرت بها الحياة مرة

عابرة، فلن تحاول «پاولا» أن تكلمها. فلم تعد تحب

الثرة.

هذه هي الحياة يا «پاولا» تتطلق بعريتها!

أما صاحبتنا «پاولا» فلا تزال تبحث عن مفاتيح

سيارتها.

إلى اللقاء يا «پاولا» وطريق السلامة.

Twitter: @ketab_n

الفهرس

٥ سلسلة الجوائز
٧ كلمة المترجم
٣٥ العاشقات
٤١ بداية
٥٣ على مثال «پاولا»
٦٧ ما هذا الذى يبرق هناك
٧٩ ويستمر مثال «پاولا» السىء
 كذلك تشمئز «بريكتيه» من «هايبتس» ..
٩١ كذلك «بريكتيه» تشمئز من «هايبتس» ^(١) ..
١١٧ كان مرة أخرى عناقاً جميلاً
١٢٥ الحب وحده هو الذى يجعلنا نعيش !
١٣٥ فى أثناء النزهة تمسك «بريكتيه»
١٣٩ تفصيلات «پاولا»

- ١٥١ ذات يوم كانت «بريجيته» و«هاينتس»
- ١٦٣ تابع: مشاعر «پاولا»
- ١٧٣ «بريجتيه» تكره «هاينتس»
- ١٧٩ الحب إذا هنا
- الفرق بين «زوزى» و«بريجيته» المشترك
- ١٩١ المحتمل بين «زوزى» و«بريجيته»
- ٢٠٥ حيث يكون حب، يكون أيضاً طريق
- ٢١٥ للأسف
- ٢١٧ وقد حدث
- ٢٢٧ بل لى صديقة
- ٢٣٣ فوق فى الطبيعة
- علينا فى هذا الموضع أن نقطع بشيء من
- ٢٤٥ المباغته قدر بريجيته
- ٢٥٣ الآن تزداد «پاولا» بدانته
- ٢٦١ قدر بريجيته التالى
- ٢٦٩ الساعات تتسرب سراعاً
- ٢٧٩ تقرير قبل النهائى
- ٢٨٧ موت «ربو» يجعل الأمر ممكناً
- ٢٩٧ عن رحم «بريجيته»
- ٣٠٥ عقد القرآن
- أعلى ياترى أعلى ياترى أن خرج من

٢١٢ البيت (١)
٢٢١ وماذا أوتيت «پاولا» مملكة أيضاً
٢٢١ وخطبة أخرى
٢٢٧ كيف استسلمت «پاولا» للانحراف
٢٤٧ تذييل
٢٥٢ الفهرس

Twitter: @ketab_n

صدر من هذه السلسلة

- ١ - «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيمييه» -
رواية - جائزة ميديسيس.
- ٢ - «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» -
رواية - جائزة «أنتر».
- ٣ - «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى
شلبى» - رواية - جائزة الدولة التقديرية.
- ٤ - «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد
عفيفى مطر» - سيرة ذاتية - جائزة «سلطان
العويس».
- ٥ - «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» -
مسرح - جائزة «أبها».
- ٦ - «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس
منصور» - سيرة ذاتية - «جائزة مبارك».
- ٧ - «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» -
رواية - «جائزة التفوق».
- ٨ - «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحينة العسال» -
مسرح - «جائزة التفوق».

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.egyptianbook.org

E - mail : info@egyptianbook.org

إلفریده بیلینک

أدبیه نللساوبیه ولدت فى ٢٠ اکتوبر ١٩٤٦ .
درست علم المسرح والموسيقى وتاریخ
الفن وعلم الثقافة وعلم النفس وعلم
الاجتماع وعلم الجنس .

حصلت على العديد من الجوائز المحلية
والعالمية قبل حصولها على جائزة نوبل
عام ٢٠٠٤ .

الجائزة : جائزة نوبل فى الآداب

أكبر جائزة فى العالم ، وأعلى مرتبة من
جميع التقديرات ، تمنح فى فروعها
المختلفة كل عام فى العاشر من
ديسمبر ، وهو تاريخ وفاة صاحبها الصناعى
السويدي ومخترع الديناميت " ألفريد
نوبل " الذى أسسها عام ١٨٩٥ كدعوة
لتحقيق السلام فى العالم ، ومنذ عام
١٩٠١ أصبح العالم كله ينتظر توزيع
الجائزة على الأدباء والعلماء ودعاة السلام ،
الذين يقومون بإنجازات أدبية وعلمية
وخدمات اجتماعية نبيلة تهدف إلى رفى
الإنسانية وتطورها .

وجائزة نوبل فى الآداب هي أرفع جائزة أدبية
فى العالم . تمنح لقمم الإبداع فى
فروعه المختلفة : رواية ، شعر ، مسرح ،
وأول من حصل عليها من العالم العربى
الكاتب المصرى " نجيب محفوظ " عام
١٩٨٨ .

العاشقات، رواية عن فتاتين نسعيان إلى
نوع من الصعود الاجتماعي عن طريق
الارتباط برجلين لا يحبانهما. وعلى ضوء
الصراع الأبدي بين الرجل والمرأة تتشابك
المصائر والأحداث في صعود سيمفوني
تتميز به "الفريده يلينك".
في هذه الرواية تتعمد المؤلفة تعرية
النفاق القردى والاجتماعى بكل صراحة
وسخرية واستنكار. تصف مجتمع القرية
فى "النمسا" الذى يكيل بمكايل
مختلفة. فهو يتصنع التمسك بالأخلاق
والشرف، ولكنه غارق فى الفساد، يرضى
بالسكر والاعتصاب والعنف والانتصار
للفاسدين الظالمين.



الهيئة المصرية العامة للكتاب